1199

٩٢٨٤٦

الفـــن : بلاغة ..... الرقم : ١١٩٩

العنـــوان : اعجاز القرآن (ط) ..... القاضي الباقلاني

اسم المؤلف : محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر ، ابو بكر (-٤٠٢/١٠١٢)

مصـــادره : الاعلام ٧/٤٦ ، سركيس ٥٠١

أولـــه :

.....

آخـــره :

.....

اسم الناسخ : محمود صالح بن صالح يونس الحكيم

نوع الخط وتاريخ النسخ : نسخ ١٢١٢هـ

ملاحظـات :

عدد الأوراق : ١٦٢ عدد الأسطر : ١٩ المقاس : ٢٤ × ١٧ سم

المكتبة المصور عنها المخطوط ورقمه فيها : روضة خيري بمصر ٤٢٤

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عمادة شئون المكتبات - المكتبة المركزية
قسم المخطوطات
الرقم : ١١٩٩٠
الثمن : .....

١٩٧١/١٢/٢٠

١٤٢٤

ملك كاتبه بسوفي عمل ١٧ محرم سنة ١٣٧٤

مكتبة
احمد خيري
رقم عام
تاريخ الورود ١٣٦٤هـ

اعجاز القرآن تاليف القاضي
ابي بكر الباقلاني
رحمه الله

٢

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عمادة شئون المكتبات - المكتبة المركزية
قسم المخطوطات
الرقم : ١١٩٩
الفن : .....

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنعم على عباده بما هداهم اليه من الايمان
والمتم احسانه بما اقام لهم من جلى البرهان الذى
حمد نفسه بما انزل من القران ليكون بشيرا ونذيرا
وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وهاديا الى
ما ارتضى لهم من دينه وسلطانا واوضح وجه تبيينه
ودليلا على واحدانيته ومرشدا الى معرفة عزته
وجبروته ومفصحا عن صفات جلاله وعلو شانه
وعظيم سلطانه وحجة لرسوله الذى ارسله وعلما
على صدقه وبينة على انه امينه على وحيه وصانع
بامره لما اشرفه من كتاب يتضمن صدق متحمله
ورسالة تشتمل على تصحيح قول موديها بين فيه
سبحانه ان بحجته كافيه هادية لايحتاج مع وضوحها
الى بينة تعدوها او حجة تتلوها وان الذهاب عنها
كالذهاب عن الضروريات والشك فى المشاهدات
ولذلك قال عز ذكره ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس
فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين
وقال عز وجل ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا
فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن

نسخه ٧

قوم

قوم مسحورون فله الشكر على جزيل احسانه وعظيم
مننه والصلاة على محمد المصطفى واله وسلم ومن اهم
ما يجب على اهل دين الله كشفه واولى ما يلزم بحثه
ما كان لاصل دينهم قواما ولقاعدة توحيدهم عمادا
ونظاما وعلى صدق نبيهم صلى الله عليه وسلم
برهانا ولمعجزته ثبتا وحجة لاسيما ولكهل ممدود
الرواق شديد النفاق مستول على الافاق والعلم
الى عفاء ودروس وعلى خفاء وطموس واهله فى جفوة
الزمن اليهم يقاسون من عبوسه لقا الاسد الشتيم
حتى صار ما يكابدونه قاطعا عن الجواب من سلوك
مناهجه والاخذ فى سبيله فالناس بين رجلين
ذاهب عن لحق ذاهل عن الرشد واخر مصدود
عن نصرته مكدود فى صنعته فقد ادى ذلك الى
خوض الملحدين فى اصول الدين وتشكيكهم اهل
الضعف فى كل يقين وقد قل انصاره واشتغل
عنه اعوانه واسلمه اهله فصار عرضة لمن شاء
ان يتعرض فيه حتى عاد مثل الامر الاول على ما خاضوا
فيه عند ظهور امره فمن قائل قال انه سحر وقائل
يقول انه شعر واخر يقول انه اساطير الاولين

نسخه الواجب

وقالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا الى الوجوه التى حكى
الله عز وجل عنهم انهم قالوا فيه وتكلموا به فصرفوه
اليه وذكر لى عن بعضهم انه جعل بعد له ببعض
الاشعار ويوازن بينه وبين غيره من الكلام ولا يرضى
بذلك حتى يفضله عليه وليس هذا ببديع من ملحدة
هذا العصر وقد سبقهم الى عظيم ما يقولونه
اخوانهم من ملحدة قريش وغيرهم الا ان اكثر من
كان طعن فيه فى اول امره استبان رشده وابصر
قصده فتاب واناب وعرف على نفسه لكن بغريزة
طبعه وقوة اتقانه لتصرف لسانه بل لهداية ربه
وحسن توفيقه ولكن الجهل فى هذا الوقت اغلب والملحد
فيه عن الرشد ابعد وعن الواجب اذهب وقد كان
يجوز ان يقع ممن عمل الكذب النافعة فى معانى
القرآن وتكلم فى فوائده من اهل صنعة العربية وغيرهم
من اهل صناعة الكلام ان يبسطوا القول فى الابانة
عن وجه معجزته والدلالة على مكانه فهو احق بكثير
مما صنفوا فيه من القول فى الخرود قيق الكلام فى الاعراض
وكثير من بديع الاعراب وغامض النحو فالحاجه الى هذا
امس والاشتغال به اوجب وقد قصر بعضهم

نسخه والملحدون

فى

فى هذه المسئله حتى ادى ذلك الى تحول قوم منهم الى
مذاهب البراهمة فيها وراوا ان عجز اصحابهم عن
نصرة هذه المعجزة يوجب الا مستنصر فيها ولا وجه
لها حين راهم قد برعوا فى لطيف ما ابدعوا وانتهوا
الى الغاية فى ما احدثوا ووضعوا ثم راوا ما صنفوه
فى هذا المعنى غير كامل فى بابه ولا مستوفى فى وجهه
قد اخل بتهذيب طرقه واهمل ترتيب بنيانه وقد
يعذر بعضهم فى تفريط يقع منه فيه وذهاب عنه
لان هذا الباب مما يمكن احكامه بعد التقدم فى امور
شريفة المحل عظيمة المقدار تقدم دقة المسلك لطيفة
الماخذ واذا انتهينا الى تفصيل القول فيها استبان
ما قلناه من الحاجة الى هذه المقدمات حتى يمكن بعدها
احكام القول فى هذا الشان وقد تصفح لحاظ
فى نظم القرآن كتابا لم يزد فيه على ما قاله المتكلمون
قبله ولم يكشف عما يلتبس فى اكثر هذا المعنى وسالنى
سائل ان نذكر جملة من القول جامعة تسقط الشبهات
وتزيل الشكوك التى تعرض للجهال وتنتهى الى ما يخطر
لهم ويعرض لافهامهم من الطعن فى وجه المعجزة
فاجبناه الى ذلك متقربين الى الله عز وجل ومتوكلين

نسخه عليه و

على حسن توفيقه ومعونته ونحن نبين ما سبق
فيه البيان من غيرنا ونشير اليه ولا نبسط القول
لئلا يكون ما الفناه مكررا ومقولا بل يكون مستفادا
من جهة هذا الكتاب خاصة ونصف ما يجب وصفه من نسخه ونصف اليه
القول فى تنزيل متصرفات لخطاب وترتيب وجوه
الكلام وما تختلف فيه طرق البلاغة وتتفاوت
من جهته سبل البراعة وما تشتبه له ظاهر الفصاحة
ويختلف فيه المختلفون من اهل صناعه العربيه ///
والمعرفة بلسان العرب فى اصل الموضع ثم ما اختلفت
به مذاهب مستعمليه فى فنون ما ينقسم اليه الكلام
من شعر ورسائل وخطب وغير ذلك من مجارى
لخطاب وان كانت هذه الوجوه الثلثه اصول ما يبين
فيه التفاصح وتقصد فيه البلاغة لان هذه امور
يتعمل لها فى الاغلب ولا يتجون فيها ثم من بعد هذا نسخه يتعمد ويتجون
الكلام الدائر فى محاوراتهم والتفاوت فيه اكثر لان //
التعمل فيه اقل الا من غزارة طبع او فطانه تصنع
وتكلف ونشير الى ما يجب فى كل واحد من هذه الطرق
ليعرف محل عظيم القران وليعلم ارتفاعه عن مواقع
الوجوه وتجاوزه لحد الذى يصح او يجوز ان يوازنه

بينه

بينه وبينها او يشتبه ذلك على متأمل ولسنا نزعم
انه يمكننا ان نبين ما رسمنا بيانه واوردنا شرحه وتفصيله
لمن كان عن معرفة الادب ذاهبا وعن وجه اللسان
غافلا لان ذلك مما لا سبيل اليه الا ان يكون الناظر
فيما نعرض عليه مما قصدنا اليه من اهل صناعة
العربية قد وقف على جمل من محاسن الكلام ومتصرفاته
ومذاهبه وعرف جملة من طرق المتكلمين ونظر
فى شئ من اصول الدين وانما ضمن الله عز وجل فيه
البيان لمثل من وصفناه فقال كتاب فصلت اياته
قرانا عربيا لقوم يعلمون وقال انا جعلناه قرانا
عربيا لعلكم تعقلون

فصل

فى ان نبوة النبى عليه السلام معجزتها القران الذى
يوجب الاهتمام التام بمعرفه اعجاز القران ان نبوه
نبيا عليه السلام بنيت على هذه المعجزة وان كان
قد ايد بعد ذلك بمعجزات كثيرة الا ان تلك المعجزات
قامت فى اوقات خاصه واحوال خاصه وعلى
اشخاص خاصه ونقل بعضها نقلا متواترا يقع به
العلم وجودا وبعضها مما نقل نقلا خاصا الا انه
حكى بمشهد من الجمع العظيم وانهم شاهدوه فلو

كان الامر على خلاف ما حكى لانكروه اولا نكره
بعضهم فحل محل المعنى الاول وان لم يتواتر اصل النقل
فيه وبعضها مما نقل من جهة الاحاد وكان وقوعه بين
يدى الاحاد فاما دلالة القران فهى عن معجزة عامة
عمت الثقلين وبقيت بقا العصرين ولزوم الحجة بها
فى اول وقت ورودها الى يوم القيامة على حد واحد
وان كان قد يعلم بعجز اهل العصر الاول عن الاتيان
بمثله وجه دلالته وكذلك قد يغنى عجز اهل هذا العصر
عن الاتيان بمثله عن النظر فى حال اهل العصر الاول
وانما ذكرنا هذا الفصل لما حكى عن بعضهم انه زعم
انه وان كان قد عجز عنه اهل العصر الاول فليس
اهل هذا العصر بعاجزين عنه ويكفى عجز اهل العصر
الاول فى الدلالة لانهم خصوا بالتحدى دون غيرهم
ونحن نبين خطا هذا القول فى موضعه فاما الذى
يبين ما ذكرناه من ان الله تعالى حين ابتعثه جعل
معجزته القران وبنى امر نبوته عليه سور كثيرة وايات
نذكر بعضها وتنبه بالمذكور على غيره فليس تخفى
بعد التنبيه على طريقه فمن ذلك قوله تعالى الركتاب
انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور

باذن

باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد فاخبر انه انزله
ليقع الاهتداء به ولا يكون كذلك الا وهو حجه ولا
يكون حجة ان لم تكن معجزه وقال عز وجل وان
احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام
الله فلولا ان سماعه اياه حجة عليه لم يقف امره على
سماعه ولا يكون حجة الا وهو معجزه وقال عز وجل
وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين
على قلبك لتكون من المنذرين وهذا بين جدا فيما
قلناه من انه جعله سببا لكونه منذرا ثم اوضح ذلك
بان قال بلسان عربى مبين فلولا ان كونه بهذا
اللسان حجة لم يعقب كلامه الاول به وما من
سورة افتتحت بذكر الحروف المقطعة الا وقد اشتمل
فيها بيان ما قلناه ونحن نذكر بعضها لتستدل بذلك
على ما بعده وكثير من هذه السور اذا تاملته فهو
من اوله الى اخره مبنى على لزوم حجة القران والتنبيه
على وجه معجزته فمن ذلك سورة المؤمن قوله عز وجل
حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ثم وصف
نفسه بما هو اهله من قوله غافر الذنب وقابل التوب
شديد العقاب الى ان قال ما يجادل فى ايات الله

الا الذين كفروا فدل على ان الجدال فى تنزيله كفر ولكاد
ثم اخبر بما وقع من تكذيب الامم يرسلهم بقوله عز
وجل كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم
الى اخر الايه فتوعدهم بانه اخذهم فى الدنيا
بذنبهم فى تكذيبا لانبياء ورد براهينهم فقال
فاخذتهم فكيف كان عقاب ثم توعدهم بالنار فقال
وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب
النار ثم عظم شان المؤمنين بهذه الحجة بما اخبر
من استغفار الملايكة لهم وما وعدهم عليه من المغفرة
فقال الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم
ويؤمنون به ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت
كل شى رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك
وقهم عذاب الجحيم فلولا انه برهان قاهر لم يزم الكفار
على العدول عنه ولم يحمد المومنين على المصير اليه ثم
ذكر تمام الايات فى دعاء الملايكة للمومنين ثم عطف
على وعيد الكافرين فذكر ايات ثم قال هو الذى يريكم
اياته فامر بالنظر فى اياته وبراهينه الى ان قال رفيع
الدرجات ذو العرش يلقى الروح من امره على من يشاء
من عباده لينذر يوم التلاق فجعل القران والوحي

به كالروح لانه يؤدى الى الحياة الابد ولانه لا فائدة
للجسد من دون الروح فجعل هذا الروح سببا للانذار
وعلما عليه وطريقا اليه ولولا ان ذلك برهان بنفسه
لم يصح ان يقع به الانذار والاخبار عما يقع عند
مخالفته ولم يكن لخبر عن الواقع فى الاخرة عند ردهم
دلالته من الوعيد حجة ولا معلوما صدقه فكان
لا يلزمهم قبوله فلما خلص من الايات فى ذكر الوعيد على
ترك القبول ضرب لهم المثل بمن خالف الايات وجحد
الدلالات والمعجزات فقال اولم يسيروا فى الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين كفروا من قبلهم الى
اخر الاية ثم بين ان عقابهم صارت الى السواى
بان رسلهم كانت تاتيهم بالبينات وكانوا لا يقبلونها
منهم فعلم ان ما قدم ذكره فى السورة بينه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم ذكر قصة موسى ويوسف
عليهما السلام ومجيهما بالبينات ومخالفتهم حكمها
الى ان قال الذين يجادلون فى ايات الله بغير سلطان
اتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين امنوا كذلك
يطبع الله على كل قلب متكبر جبار فاخبر ان جدالهم
فى هذه الايه لا يقع حجة وانما يقع عن جهل وان

الله يطبع على قلوبهم ويصرفهم عن تفهم وجه
البرهان بجحودهم وعنادهم واستكبارهم ثم ذكر
كثيرا من الاحتجاج على التوحيد ثم قال الم تر الى الذين
يجادلون فى ايات الله انى يصرفون ثم بين هذه
الجملة وان من اياته الكتاب فقال الذين كذبوا بالكتاب
وبما ارسلنا به رسلنا فسوف يعلمون الى ان قال ”
وما كان لرسول ان ياتى باية الا باذن الله فدل على
ان الايات على ضربين احدهما كالمعجزات التى هى ”
ادلة فى دار التكليف والثانى الايات التى ينقطع عندها
العذر ويقع عندها العلم الضرورى وانها اذا
جاءت ارتفع التكليف ووجب الاهلاك الى ان قال
فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا بأسنا فاعلمنا انه
قادر على هذه الايات ولكنه اذا اقامها زال التكليف
وحقت العقوبة على الجاهدين وكذلك ذكر فى حم
السجدة على هذا المنهاج الذى شرحنا فقال عز وجل
حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت اياته
قرانا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فلولا انه
جعله برهانا لم يكن بشيرا ولا نذيرا ولم يختلف
بان يكون عربيا مفصلا او بخلاف ذلك ثم اخبر

عن

عن جحودهم وقلة قبولهم بقوله فاعرض اكثرهم
فهم لا يسمعون ولولا انه حجة لم يضرهم الاعراض
عنه وليس لقائل ان يقول ان يكون حجة وليس
يحتاج فى كونه حجة الى دلالة على صدقه وصحة نبوته
وذلك انه انما اخبر عليهم بنفس هذا التنزيل
ولم يذكر حجة غيره وبين ذلك انه قال عقيب
هذا قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى فاخبر انه مثلهم
لولا الوحى ثم عطف عليه بحمد المؤمنين به للصدقين
له فقال ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم
اجر غير ممنون ومعناه الذين امنوا بهذا الوحي
والتنزيل وعرفوا هذه الحجة ثم تصرف فى هذا
الاحتجاج على الوحدانية والقدرة الى ان قال فان
اعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة
عاد وثمود فتوعدهم بما اصاب من قبلهم من
المكذبين بايات الله من قوم عاد وثمود فى الدنيا
ثم توعدهم بامر الاخرة فقال ويوم يحشر ”
اعداء الله الى النار فهم يوزعون الى انتهاء ما ذكره
فيه ثم رجع الى ذكر القران فقال وقال الذين كفروا
لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون

ثم اثنى بعد ذلك على من تلقاه بالقبول فقال
ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم
الملائكة لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا ثم قال
واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو
السميع العليم وهذا ينبه على ان النبى صلى الله عليه
وسلم يعرف اعجاز القران وانه دلالة له على جهة
الاستدلال لان الضروريات لا يقع فيها نزغ الشيطان
ونحن نبين ما يتعلق بهذا الفصل فى موضعه ثم
قال ان الذين يلحدون فى اياتنا الى ان قال ان الذين
كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز لا ياتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهذا وان كان
متا ولا على انه لا يوجد فيه غير الحق مما يتضمنه
من اقاصيص الاولين واخبار المسلمين وكذلك
لا يوجد خلف فيما يتضمنه من الاخبار عن الغيوب
وعن الحوادث التى انبا انها تقع فى الثانى فلا يخرج من
ان يكون متا ولا على ما يقتضيه نظام الخطاب
من انه لا ياتيه ما يبطله من شبهة سابقة تقدح
فى معجزته او تعارضه فى طريقه وكذلك لا ياتيه
من بعده قط امر يشكك فى وجه دلالته وهذا

اشبه

اشبه بسياق الكلام ونظامه ثم قال ولو جعلناه
قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته اعجمي وعربي
فاخبر انه لو كان اعجميا لقالوا لكانوا يحتجون فى رده
اما بان ذلك خارج عن عرف خطابهم وكانوا يعتدون
بذها بهم عن معرفة معناه وبانهم لا يبين لهم
وجه الاعجاز فيه لانه ليس من شانهم ولا من
لسانهم او بغير ذلك من الامور وانه اذا تحداهم
الى ما هو من لسانهم وشانهم فعجزوا عنه وجبت
الحجة عليهم به على ما نبينه فى وجه هذا الفصل
الى ان قال قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم
به من اضل ممن هو فى شقاق بعيد والذى ذكرنا
من نظم هاتين السورتين ينبه على غيرها من
السور فكر هنا سرد القول فيها فليتامل المتامل
ما دللناه عليه يجده كذلك ثم مما يدل على هذا
قوله عز وجل وقالوا لولا انزل عليه اية من ربه
قل انما الايات عند الله وانما انا نذير مبين اولم
يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم
فاخبر ان الكتاب اية من اياته وعلم من اعلامه
وان ذلك يكفى فى الدلالة ويقوم مقام معجزات

غيره وايات سواه من الانبياء صلوات الله عليهم
ويدل عليه قوله عز وجل تبارك الذى نزل الفرقان
على عبده ليكون للعالمين نذيرا وقوله امر يقولون
افترى على الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك
ويمحوا الله الباطل ويحق الحق بكلماته فدل على انه جعل
قلبه مستودعا لوحيه ومستنزلا لكتابه وانه لو شا
صرف ذلك الى غيره وكان له حكم دلالته على تحقيق
الحق وابطال الباطل مع صرفه عنه ولذلك اشياء
كثيرة تدل على نحو الدلالة التى وصفناها فبان
بهذا وبنظايره ما قلنا من ان بنأ نبوته صلى الله
عليه وسلم على دلالة القران ومعجزته وصار له
من الحكم فى دلالته على نفسه وصدقه انه يمكن
ان يعلم انه كلام الله تعالى وفارق حكمه حكم غيره
من الكتب المنزله على الانبياء لانها لا تدل على نفسها
الا بامر زائد ووصف منضاف اليها لان نظمها
ليس معجزا وان كان ما يتضمنه من الاخبار عن
الغايبات والعيوب معجزا وليس كذلك القران
لانه يشاركها فى هذه الدلالة ويزيد عليها
فى ان نظمه معجز فيمكن ان يستدل به عليه وحل

فى هذا

فى هذا من وجه محل سماع الكلام من القديم سبحانه
لان موسى عليه السلام لما سمع كلامه علم انه ،،،
فى الحقيقه كلامه وكذلك من يسمع القران يعلم انه كلام
الله وان اختلف الحال فى ذلك من بعض الوجوه لان
موسى عليه السلام سمعه من الله جل وعز واسمعه
نفسه متكلما وليس كذلك الواحد منا وكذلك قد
يختلفان فى غير هذا الوجه وليس ذلك قصدنا بالكلام
فى هذا الفصل والذى نرومه الان ما بينا من اتفاقها
فى المعنى الذى وصفنا وهو انه عليه السلام يعلم انه
ما يسمعه كلام الله من جهة الاستدلال وكذلك
نحن نعلم ما نقرأه من هذا على جهة الاستدلال ،

فصل فى الدلالة على ان القران معجزة

قد ثبت بما بينا فى الفصل الاول ان نبوة نبينا صلى
الله عليه وسلم مبنية على دلالة معجزات القران
فيجب ان نبين وجه الدلالة من ذلك قد ذكر العلماء
ان الاصل فى هذا هو ان نعلم ان القران الذى هو ،،
متلو محفوظ مرسوم فى المصاحف هو الذى جابه
النبى صلى الله عليه وسلم وانه هو الذى تلاه على
من فى عصره ثلاثا وعشرين سنة والطريق الى معرفة

هذا هو النقل المتواتر الذى يقع عنده العلم الضرورى
به وذلك انه اقام به فى المواقف وكتب به الى البلاد
وتحمله عنه اليها من تابعه واورده على غيره من
لم يتابعه حتى ظهر فيهم الظهور الذى لا يشتبه على
احد ولا يحتمل انه قد خرج من اتى بقرآن يتلوه ويأخذه
على غيره ويأخذ غيره على الناس حتى انتشر ذلك
فى ارض العرب كلها وتعدى الى الملوك المصاقبة لهم
كملك الروم والعجم والقبط والحبش وغيرهم من
ملوك الاطراف ولما ورد ذلك مضادا الاديان اهل
ذلك العصر كلهم ومخالفا لوجوه اعتقاداتهم المختلفة
فى الكفر وقف جميع اهل الخلاف على جلته ووقف
جميع اهل دينه الذين اكرمهم الله بالايمان على جلته
وتفاصيله وتظاهر بينهم حتى حفظه الرجال وتنقلت
به الرجال وتعلمه الكبير والصغير اذ كان عمدة
دينهم وعلما عليه والمفروض تلاوته فى صلواتهم
والواجب استعماله فى احكامهم ثم تناقله خلف
عن سلفهم مثلهم فى كثرتهم وتوفر دواعيهم
على نقله حتى انتهى الينا ما وصفناه من حاله فلن
يتشكك احد ولا يجوز ان يتشكك مع وجود هذه

الاسباب

الاسباب فى انه اتى بهذا القرآن من عند الله فهو اصل
واذا اثبت هذا الاصل وجودا فانا نقول انه تحداهم
الى ان ياتوا بمثله وقرعهم على ترك الاتيان به طول
السنين التى وصفناها فلم ياتوا بذلك والذى يدل
على هذا الاصل انا قد علمنا ان ذلك مذكور فى القرآن
فى مواضع كثيرة كقوله وان كنتم فى ريب مما نزلنا
على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداكم
من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن
تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة
اعدت للكافرين وكقوله ام يقولون افتراه قل فاتوا
بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم
من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم
فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل انتم
مسلمون فجعل عجزهم عن الاتيان بمثله دليلا على انه
منه ودليلا على واحدانيته وذلك يدل عندنا على
بطلان قول من زعم انه لا يمكن ان يعلم بالقرآن الوحدانية
وزعم ان ذلك مما لا سبيل اليه الا من جهة العقل لان
القرآن كلام الله عز وجل ولا يصح ان يعلم الكلام
حتى يعلم المتكلم اولا فقلنا اذا اثبت بما بيناه اعجازه

وان لخلق لايقدرون عليه ثبت الذى اتى به غيرهم
وانه انما يختص بالقدرة عليه من يختص بالقدرة
عليهم وانه صدق واذا كان كذلك كان ما يتضمنه
صدقا وليس اذا امكن معرفته من جهة امتنع ان
يعرف من الوجهين وليس العرض تحقيق القول فى هذا
الفصل لانه خارج عن مقصود كلامنا ولكنا ذكرناه
من جهة دلالة الاية عليه ومن ذلك قوله قل لئن
اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران
لايا تون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وقوله
ام يقولون تقوله بل لايؤمنون فليا توا بحديث
مثله ان كانوا صادقين فقد ثبت بما بيناه انه تحداهم
اليه ولم ياتوا بمثله وفى هذا امران احدهما التحدى
اليه والاخر انهم لم ياتوا له بمثله والذى يدل على
ذلك النقل المتواتر الذى يقع به العلم الضرورى
فلا يمكن جحود واحد من هذين الامرين وان قال قائل
لعله لم يقرا عليهم الايات التى فيها ذكر التحدى
وانما قرا عليهم ما سوى ذلك من القران كان
كذلك قولا باطلا يعلم بطلانه مثل ما يعلم به
بطلان قول من زعم ان القران اضعاف هذا

وهو

وهو يبلغ خمس جمل وانه كتم وسيظهره المهدى
او يدعى ان هذا القران ليس هو الذى جا به النبى صلى
الله عليه وسلم وانما هو شى وضعه عمر او عثمان
رضى الله عنهما حيث وضع المصحف او يدعى فيه
زياده او نقصان وقد ضمن الله تعالى حفظ كتابه
ان ياتيه الباطل من بين يديه او من خلفه ووعده
لحق وحكاية قول من قال ذلك يغنى عن الرد عليه
لان العدد الذين اخذوا القران فى الامصار وفى البوادى
وفى الاسفار والحضر وضبطوه حفظا من بين صغير
وكبير وعرفوه حتى صار لا يشتبه على احد منهم
حرف لا يجوز عليهم السهو والنسيان ولا التخليط
فيه والكتمان ولو زادوا او نقصوا او غيروا لظهر
وقد علمت ان شعر امرء القيس وغيره على انه لا يجوز
ان يظهر ظهور القران ولا ان يحفظ كحفظه وان
يضبط كضبطه وان تمس الحاجه اليه مساسها
الى القران لو زيد بيت ونقص منه بيت لا بل لو غير
فيه لفظ لتبرا منه اصحابه وانكره اربابه فاذا
كان ذلك مما لا يمكن فى شعر امرء القيس ونظرايه
مع ان الحاجه اليه تقع لحفظ العربيه فكيف يجوز

او يكن ما ذكروه فى القران مع شدة حاجه اليه ؛
فى اصل الدين ثم فى الاحكام والشرائع واشتمال
الهمم المختلفه على ضبطه فمنهم من يضبطه لاحكام
قرائته ومعرفة وجوهها وصحة ادائها ومنهم من
يحفظه للشرائع والفقه ومنهم من يضبطه ليعرف
تفسيره ومعانيه ومنهم من يقصد بحفظه الفصاحة
والبلاغة ومن الملحدين من يحصله لينظر فى عجيب
شانه وكيف يجوز على اهل هذه الهمم المختلفه والاراء
المتباينه على كثرة اعدادهم واختلاف بلادهم وتفاوت
اغراضهم ان يجتمعوا على التغيير والتبديل والكتمان ويبين
ذلك انك اذا تاملت ما ذكر فى اكثر السور مما بيناه ومن
نظائره فى رد قومه عليه ورد غيرهم وقولهم لو نشأ
لقلنا مثل هذا وقول بعضهم ان هذا الاختلاف الى
الوجوه التى يصرف اليها قولهم فى الطعن عليه فمنهم
من يستهين بها ويجعل ذلك سببا لتركه الاتيان بمثله
ومنهم من يزعم انه مفترى فلذلك لا ياتى بمثله ومنهم
من يزعم انه دارس وانه اساطير الاولين وكرهنا
ان نذكر كل اية تدل على تحديه لئلا يقع التطويل ؛
ولو جاز ان يكون بعضه معتوما ما جاز على كله

ولو

ولو جاز ان يكون بعضه موضوعا جاز فى ذلك كله ؛
فثبت بما بينا انه تحدى اليه وانهم لم ياتوا له بمثل
وهذا الفصل قد بينا ان الجميع قد ذكروه وبنوا عليه
فاذا ثبت هذا وجب ان يعلم بعده ان تركهم للاتيان
بمثله كان لعجزهم عنه والذى يدل على انهم كانوا
عاجزين عن الاتيان بمثل القران انه تحداهم اليه
حتى طال التحدى وجعله دلالة على صدقه ونبوته
وتضمن احكامه استباحة دمائهم واموالهم ؛
وسبى ذريتهم فلو كانوا يقدرون على تكذيبه لفعلوا
وتوصلوا الى تخليص انفسهم واهليهم واموالهم
من حكمه بامر قريب هو عادتهم فى لسانهم ومالوف
من خطابهم وكان ذلك يغنيهم عن تكلف القتال
واكثار المراء والجدال وعن الجلاء عن الاوطان وعن
تسليم الاهل والذريه للسبى فلما لم يحصل هناك
معارضه منهم علم انهم عاجزون عنها يبين
ذلك ان العدو يقصد لدفع قول عدوه بكل ما قدر عليه
من المكايد لاسيما مع استعظامه ما ابدعه بالمجئ
من خلع الهته وتسفية رأيه فى ديانته وتضليل ابائه
والتغريب عليه بما جابه واظهار امر يوجب الانقياد

لطاعته والتصرف على حكم ارادته والعدول عن الفه
وعادته والانخراط فى سلك الاتباع بعد ان كان متبوعا
والتشييع بعد ان كان مشيعا وتحكيم الغير فى ماله
وتسليطه اياه على جملة احواله والدخول تحت تكاليف
شاقة وعبادات متعبه بقوله وقد علم ان بعض
هذه الاحوال مما يدعوا الى سلب النفوس دونه هذا
ولكميه حميتهم والهمم الكبيرة همهم وقد بذلوا
له السيف واخطروا بنفوسهم واموالهم فكيف يجوز
لا يتوصلوا الى الرد عليه والى تكذيبه باهون سعيهم
ومالوف امرهم ومايمكن تناوله من غير ان يعرق
فيه جبين او يشتغل به خاطر وهو لسيانهم الذى
يتحاطبون به مع بلوغهم فى الفصاحة النهاية
التى ليس وراها مطلع والرتبه التى ليس وراها
منزع ومعلوم انهم لو عارضوه بما تحداهم اليه
لكان فيه تهوين امره وتكذيب قوله وتفريق
جمعه وتشتيت اسبابه وكان من صدق به يرجع
على اعقابه ويعود فى مذهب اصحابه فلما لم يفعلوا
شيا من ذلك مع طول المدة ووقوع الفسحة وكان
امره يتزايد حالا فحالا ويعلوا شيأ فشيأ وهم على

العجز

العجز عن القدح فى اياته والطعن فى دلالاته علم مما
بينا من انهم كانوا لا يقتدرون على معارضتهم ولا
على توهين حجته وقد اخبر الله تعالى عنهم قوم
خصمون وقال لتنذر به قوما لدا وقال خلق
الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين وعلم
ايضا ان ما كانوا يقولون من وجوه اعتراضهم
على القران مما حكى الله عز وجل عنهم من قولهم
لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين
وقوله ما هذا الا افك مفترى وما سمعنا بهذا فى
ابائنا الاولين وقالوا يا ايها الذى نزل عليه الذكر
انك لمجنون وقالوا افتاتون السحر وانتم تبصرون
وقالوا ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون وقال
الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه
قوم اخرون فقد جاوا ظلما وزورا وقالوا اساطير
الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا
وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا
وقوله الذين جعلوا القران عضين الى ايات كثيرة
فى نحو هذا تدل على انهم كانوا متحيرين فى امرهم
متعجبين من عجزهم يفزعون الى نحو هذه الامور

من تعليل وتعذير ومدافعة بما وقع التحدى اليه
وعرف لكث عليه وقد علم منهم انهم ناصبوه
الحرب وجاهروه وناجزوه وقطعوا الارحام
واخطروا بانفسهم وطالبوه بالايات والاتيان
وغير ذلك من المعجزات يريدون تعجيزه ليظهروا
عليه بوجه من الوجوه فكيف يجوز ان يقدروا
على معارضته القريبه السهلة عليهم وذلك
يدحض حجته ويفسد دلالته ويبطل امره فيعدلون
عن ذلك الى سائر ما صاروا اليه من الامور التى
ليس عليها مزيد فى المنابذه والمعاداة ويتركون
الامر الحقيق هذا مما يمتنع وقوعه فى العادات
ولا يجوز اتفاقه من العقلاء والى هذا قد استقصى
اهل العلم الكلام واكثروا فى هذا المعنى واحكموه
ويمكن ان يقال انهم لو كانوا قادرين على معارضته
والاتيان بمثل ما اتى به لم تجز ان يتفق منهم
ترك المعارضه وهم على ما هم عليه من الذيرانة
والسلاقه والمعرفة بوجوه الفصاحة وهو
يستطيل عليهم بانهم عاجزون عن مباراته
وانهم يضعفون عن معجزاته ويكرر فيما اجابه ذكر
عجزهم

عجزهم عن مثل ما ياتى به ويقرعهم ويوبخهم عليه
ويدراك اماله فيهم وبنجح ما يسعى له بتركهم المعارضه
وهو يذكر فيما يتلوه تعظيم شانه وتفخيم امره حتى
يتلوا قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا
بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض
ظهيرا وقوله ينزل الملائكة بالروح من امره على
من يشا من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون
وقوله ولقد اتيناك سبعا من المثانى والقران
العظيم وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
وقوله وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون
وقوله هدى للمتقين وقوله الله نزل احسن
الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود
الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم
الى ذكر الله الى غير ذلك من الايات التى تضمن
تعظيم شان القران فمنها ما يتكرر فى السور
فى مواضع منها ومنها ما يتفرد فيها وذلك مما
يدعوهم الى المباراة ويحضهم على المعارضه
وان لم يكن متحديا اليه الا ترى انهم قد كانوا
يناقضون شعرا وهم بعضهم بعضا ولهم فى ذلك

مواقف معروفه واخبار مشهوره وايام منقوله
وكانوا يتنافسون على الفصاحة والخطابة والبلاغة
ويتمجون بذلك ويتفاخرون بينهم فلن يجوز والحال
هذه ان يتغافلون عن معارضته لو كانوا قادرين
عليها تحداهم اولم يتحداهم اليها ولو كان هذا
القبيل مما يقدر عليه البشر لوجب في ذلك امر
اخر وهو انه لو كان مقدورا للعباد لكان قد انتقق
الى وقت مبعثه من هذا القليل ما كان يمكنهم
ان يعارضوه به وكانوا لا يفتقرون الى تكلف
وضعه وتعمل نظمه في كمال فلما لم تر هم
احتجوا عليه بكلام سابق وخطبة متقدمة
ورسالة سالفة ونظم بديع ولا عارضوه به فقالوا
هذا افصح مما جئت به واغرب منه او هو مثله
علم انه لم يكن الى ذلك سبيل وانه لم يوجد له
نظير ولو كان وجد له مثل لكان ينقل الينا ولعرفناه
كما نقل الينا اشعار اهل الجاهلية وكلام الفصحا
ولكما من العرب وادى الينا كلام الكهان واهل
الزجر والسجع والقصيد وغير ذلك من انواع
بلاغاتهم وصنوف فصاحاتهم فان قيل الذى

بنى

بنى عليه الامر في تثبيت معجزة القران انه وقع
التحدى الى الاتيان بمثله وانهم عجزوا عنه بعد
التحدى اليه فاذا نظر الناظر وعرف وجه النقل
المتواتر في هذا الباب وجب له العلم بانهم كانوا
عاجزين عنه وما ذكر ثم يوجب سقوط تاثير
التحدى وان ما اتى به قد عرف المعجز عنه بكل حال
قيل انما حتيج الى التحدى لاقامة الحجة واظهار
وجه البرهان لان المعجزه اذا ظهرت فانما تكون
حجة بان يدعيها من ظهرت عليه ولا تظهر على
مدع لها الا وهى معلومة عند الله فاذا كان يظهر
وجه الاعجاز فيها للكافة بالتحدى وجب فيها التحدى
لانه تزول بذلك التبهة عن الكل وينكشف
للجميع ان العجز واقع عن المعارضه والا فان مقتضى
ما قدمناه من الفصل ان من كان يعرف وجوه
الخطاب ويتقن مصارف الكلام وكان كاملا
في فصاحته جامعا للمعرفة بوجوه الصناعة
لو انه احتج عليه بالقران وقيل له ان الدلالة
على النبوة والاية على الرسالة ما اتلوه عليك
منه لكان ذلك بلاغا في ايجاب الحجة وتماما في الزامة

فرض المصير اليه ومما يوكد هذا ان النبى صلى الله
عليه وسلم قد دعا الاحاد الى الاسلام محتجا عليهم
بالقران لانا نعلم انه لم يلزمهم تصديقه تقليدا
ونعلم ان السابقين الاولين الى الاسلام لم يقلدوه
وانما دخلوا على بصيرة ولم تعلمه قال لهم ارجعوا
الى جميع الفصحا فان عجزوا عن الاتيان بمثله فقد
ثبت حجتى بل لما راهم يعلمون اعجازه الزمهم حكمه
فقتلوه وتابعوا الحق وبادروا اليه مستسلمين
ولم يشكوا فى صدقه ولم يرتابوا فى وجه دلالته
فمن كانت بصيرته اقوى ومعرفته ابلغ كان الى
القبول منه اسبق ومن اشتبه عليه وجه الاعجاز
واشتبه عليه بعض شروط المعجزات وادلة النبوة
كان ابطأ الى القبول حتى تكاملت اسبابه واجتمعت
له بصيرته وترادفت عليه مواده وهذا فصل
يجب ان يتمم القول فيه من بعده فليس هذا بموضع
له ويبين ما قلناه ان هذه الاية علم يلزم الكل
قبوله والانقياد له وقد علمنا تفاوت الناس
فى ادراكه ومعرفة وجه دلالته لان الاعجمى لا يعلم
انه معجز الا بان يعلم عجز العرب عنه وهو يحتاج

فى

فى معرفة ذلك الى امور لا يحتاج اليها من كان
اهل صنعة الفصاحة فاذا عرف عجز اهل الصنعة
حل محلهم وجرى مجراهم فى توجه الحجة عليه ولذلك
لا يعرف المتوسط من اهل اللسان من هذا الشان
ما يعرفه العالى فى هذه الصنعة فربما حل فى ذلك
محل الاعجمى فى الا يتوجه عليه الحجة حتى يعرف عجز
المتناهى فى الصفة عنه وكذلك لا يعرف المتناهى فى معرفة
الشعر وحده والغاية فى معرفة الخطب او الرسائل
وحدهما غور هذا الشان ما يعرف من استكمل
معرفة جميع تصاريف الخطاب ووجوه الكلام
وطرف البراعة فلا تكون الحجة قائمة على المختص
ببعض هذه العلوم بانفرادها دون تحققه بعجز
البارع فى هذه العلوم كلها عنه فاما من كان متناهيا
فى معرفة وجوه الخطاب وطرق البلاغة والفنون
التى يمكن فيها اظهار الفصاحة فهو متى سمع
القران عرف اعجازه وان لم نقل ذلك ادى هذا
القول الى ان يقال ان النبى صلى الله عليه وسلم
لم يعرف اعجاز القران حين اوحى اليه حتى صدر
الحال بعجز اهل اللسان عنه وهذا خطا من القول

فصح من هذا الوجه ان النبى صلى الله عليه وسلم
حين اوحى اليه القران عرف كونه معجزا اوبان قيل
له انه دلالة وعلم على نبوتك انه كذلك من قبل
ان يقرأه على غيره او يتحدى اليه سواه ولذلك
قلنا ان المتناهى فى الفصاحة والعلم بالاساليب
التى يقع فيها التفاصيح متى سمع القران عرف
انه معجز لانه يعرف من حال نفسه انه لا يقدر
عليه ويعرف من حال غيره مثل ما يعرف من حال
نفسه فيعلم ان عجز غيره كعجزه هو وان كان
يحتاج بعد هذا الى استدلال اخر على انه علم على
نبوة ودلالة على رسالة بان يقال له ان هذه اية
لنبيه وانما ظهرت عليه وادعاها معجزة له وبرهانا
على صدقه فان قيل فان من الفصحاء من يعلم
عجز نفسه عن قول الشاعر ولا يعلم مع ذلك
عجز غيره عنه فكذلك البليغ وان علم عجز نفسه
عن مثل القران فهو قد يخفى عليه عجز غيره قيل
هو مع مستقر العادة وان عجز عن قول الشعر
وعلم انه معجز فانه يعلم ان الناس لا يتفكون
من وجود الشعر فيهم ومتى علم البليغ المتناهى
فى

فى صنوف البلاغات عجزه عن القران علم عجز غيره
لانه كهو لانه يعلم ان حاله وحال غيره فى هذا
الباب سواء اذ ليس فى العادة مثل للقران يجوز
او يعلم قدره احد من البلغاء عليه فاذا يكن لذلك
مثل فى العادة وعرف هذا الناظر جميع اساليب
الكلام وانواع الخطاب ووجد القران مباينا لها
علم خروجه عن العادة وجرى مجرى ما يعلم ان
اخراج اليد البيضا من لجيب خارج عن العادات
فهو لا يجوزه من نفسه وكذلك لا يجوز وقوعه من
غيره الا على وجه نقض العادة بل يرى وقوعه
موقع المعجزة وهذا وان كان يفارق فرق البحر
واخراج اليد البيضا ونحو ذلك من وجه وهو ان
يستوى الناس فى معرفة عجزهم عنه فكونه
ناقضا للعادة من غير تاءمل شديد ولا نظر بعيد
فان النظر فى معرفة اعجاز القران يحتاج الى تأمل
ويفتقر الى مراعات مقدمات الكشف عن
امور نحن ذاكروها بعد هذا الموضع فكل واحد
منها يؤل الى مثل حكم صاحبه فى الجمع الذى قدمناه
ومما يبين ما قلناه ان البليغ المتناهى فى وجوه

الفصاحة يعرف اعجاز القران وتكون معرفته
حجة عليه اذا تحدى اليه وعجز عن مثله وان لم
ينتظر وقوع التحدى فى غيره واما الذى يصتع
ذلك الغير وهو ما روى فى الحديث ان جبير ابن
مطعم ورد على النبى صلى الله عليه وسلم فى معنى
حليف له اراد ان يفاديه فدخل والنبى صلى الله عليه
وسلم يقرأ سورة والطور وكتاب مسطور فى صلاة
العجر قال فلما انتهى الى قوله ان عذاب ربك لواقع
ما له من دافع قال خشيت ان يدركنى العذاب
فاسلم وفى حديث اخر ان عمر بن الخطاب رضى
الله عنه سمع سورة طه فاسلم وقد روى ان
قوله عز وجل فى اول حم السجده الى قوله فاعرض
اكثرهم فهم لا يسمعون نزلت فى شيبة وعتبه
ابنى ربيعة وابى سفيان بن حرب وابى جهل
وذكرانهم بعثوهم وغيرهم من وجوه قريش
بعتبة بن ربيعة الى النبى صلى الله عليه وسلم
ليكلمه وكان حسن الحديث عجيب الشان بليغ الكلام
واراد وان يأتيهم بما عنده فقرا النبى صلى الله عليه
وسلم سورة حم السجده من اولها حتى انتهى

الى

الى قوله فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل
صاعقة عاد وثمود فوثب مخافة العذاب فاستكموه
ما سمع فذكر انه لم يسمع منه كلمة واحدة ولا اهتدى
لجوابه ولو كان ذلك من جنس كلامهم لم يخف عليه
وجه الاحتجاج والرد فقال له عثمان بن مظعون
لتعلموا انه من عند الله اذ لم يهتدى لجوابه
وابين من ذلك قول الله عز وجل وان احد من
المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله
ثم ابلغه مأمنه فجعل سماعه حجة عليه بنفسه
فدل على ان فيهم من يكون سماعه اياه حجة
عليه فان قيل لو كان على ما قلتم لوجب ان يكون
حال الفصحا الذين كانوا فى عصر النبى صلى الله
عليه وسلم على طريقه واحدة فى اسلامهم عند
سماعه قيل لا يجب ذلك لان صوارفهم كانت
كثيرة منها نهم كانوا يشكون منهم من يشك فى
اثبات الصانع وفيهم من يشك فى التوحيد
وفيهم من يشك فى النبوة الا ترى ان ابا سفيان
ابن حرب لما جاء الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليسلم اعام الفتح قال له النبى صلى الله عليه

وسلم ما ان لك ان تشهد ان لا اله الا الله قال بلى
فشهد قال اما ان لك ان تشهد اني رسول الله قال
اما هذه ففي النفس منها شي فكانت وجوه شكوكهم
مختلفة وطرق شبههم متباينة فمنهم من قلت
شبهه وتامل الحجة حق تاملها ولم يستكبر فاسلم
ومنهم من كثرت شبهه واعرض عن تامل الحجة
حق تاملها اولم يكن في البلاغة على حدود النهاية
فتطاول عليه الزمان الى ان نظر واستبصر وراعى
واعتبر واحتاج الى ان يتامل عجز غيره عن الاتيان
بمثله فلذلك وقف امره ولو كانوا في الفصاحه
على مرتبة واحدة وكانت صوارفهم واسبابهم
متفقه لتوافقوا الى القبول جملة واحدة فان
قيل فكيف يعرف البليغ الذى وصفتموه اعجاز
القران وما الوجه الذى ينظر فيه اليه والمنهاج
الذى يسلكه حتى يقف به على جلية الامر فيه قيل
هذا سبيله ان يفرد له فصل فان قيل فلم زعمتم
ان البلغاء عاجزون عن الاتيان بمثله مع قدرتهم
على صنوف البلاغات وتصرفهم في اجناس
الفصاحات وهلا قلتم ان من قدر على جميع هذه

الوجوه

الوجوه البديعه وتوجه من هذه الطرق الغريبه
كان على مثل نظم القران قادرا وانما يصرفه الله
عنه ضربا من الصرف او يمنعه من الاتيان بمثله ضربا
من المنع او تقصر دواعيه دونه مع قدرته عليه ،،
ليتكامل ما اراده الله من الدلالة ويحصل ما قصده
من ايجاب الحجة لان من قدر على نظم كلمتين بديعتين
لم يعجز عن نظم مثلها فاذا قدر على ذلك قدر على ضم
الثانيه الى الاولى وكذلك الثانيه حتى يتكامل قدر
الاية والسور فالجواب انه لو صح لكل ما امكنه نظم
ربع بيت او مصراع من بيت ان ينظم القصائد ويقول
الاشعار وصح لكل ناطق قد يتفق في كلامه الكلمه
البديعه نظم لخطب البليغه والرسائل ،،
العجيبه ومعلوم ان ذلك غير سائغ ولا ممكن على
ان ذلك لو لم يكن معجزا على ما وصفناه من جهة
نظمه الممتنع لكان مهما حط من رتبته البلاغة
فيه ووضع من مقدار الفصاحه في نظمه كان ابلغ
في الاعجوبة اذا صرفوا من الاتيان بمثله ووضعوا
عن معارضته وعدلت دواعيهم عنه فكان يستغنى
عن انزاله على النظم البديع واخراجه من المعرض

الفصيح العجيب على انه لو كانوا صرفوا على ما ادعاه
لم يكن من قبلهم من اهل الجاهلية مصروفين عما
كان يعدل به في الفصاحة والبلاغة وحسن النظم
وعجيب الوصف لانهم لم يتحدوا اليه ولم تلزمهم
حجته فلما لم يوجد في كلام من قبله مثله علم
ان ما ادعاه القائل بالصرفة ظاهر البطلان
وفيه معنى اخر وهو ان اهل الصنعة في هذا
الشان اذا سمعوا كلاما مطبعا لم يخف عليهم
ولم يشتبه لديهم ومن كان متناهيا في فصاحته
لم يجز ان يطمع في مثل هذا القران بحال فان
قال صاحب السوال انه قد يطمع في ذلك قيل
له انت تريد على هذا فتتزعم ان كلام الادمي قد
يضارع القران وقد يزيد عليه في الفصاحة ولا
يتحاشاه ويحسب ان ما الفته في لجزؤ الظفرة
هو ابدع واغرب من القران لفظا ومعنى ولكن
ليس الكلام على ما يقدره مقدر في نفسه ويحسبه
ظان من امره والمرجوع في هذا الى جملة الفصحا
دون الاحاد ونحن نبين بعد هذا وجه امتناعه
عن الفصيح البليغ ونميزه في ذلك عن سائر اجناس
الخطاب

الخطاب ليعلم ان ما يقدره من مساواة كلام
الناس به تقدير ظاهر الخطا بين الغلط وان هذا
التقدير من جنس من حكى الله تعالى قوله في محكم
كتابه انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف
قدر ثم نظر ثم عبس ثم ادبر واستكبر فقال
ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر فهم
يعبرون عن دعواهم انه يمكنهم ان يقولوا مثله
فان ذلك من قول البشر لان ما كان من قولهم فليس
يقع فيه التفاضل الى الحد الذي يتجاوز امكان
معارضته ومما يبطل ما ذكروه من القول بالصرفة
انه لو كانت المعارضة ممكنة وانما منع منها
الصرفة لم يكن الكلام معجزا وانما يكون المنع معجزا
اولا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه وليس
هذا باعجب مما ذهب اليه فريق منهم ان الكل
قادرون على الاتيان بمثله وانما يتاخرون عنه لعدم
العلم بوجه ترتيب لو تعلموه لوصلوا اليه به
ولا باعجب من قول فريق منهم انه لا فرق بين كلام
البشر وكلام الله تعالى في هذا الباب وانه يصح
من كل واحد من هما الاعجاز عن احد واحد //

فان قيل فهل تقولون بان غير القران من كلام
الله عز وجل معجز كالتوراة والانجيل والصحف
قيل ليس شى من ذلك بمعجز فى النظم والتاليف
وان كان معجزا كالقران فيما يتضمن من الاخبار
الغيوب وان لم يكن معجزا لان الله تعالى لم يصفه
بما وصف به القران ولانا قد علمنا انه لم يقع
التحدى اليه كما وقع التحدى الى القران ولمعنى اخر
وهو ان ذلك اللسان لا ياتى فيه من وجوه
الفصاحة ما يقع به التفاضل الذى ينتهى الى
حد الاعجاز ولكنه يتقارب وقد رايت اصحابنا
يذكرون هذا فى سائر الالسنة ويقولون ليس
يقع فيها من التفاوت ما يتضمن التقدير العجيب
ويمكن بيان ذلك بان الابحد فى القدر الذى نعرفه
من الالسنه للشى الواجد من الاسما ما نعرف
من اللغة وكذلك لا نعرف فيها الكلمة الواحدة
تتناول المعانى الكثيرة على ما تناوله العربية وكذلك
التصرف فى الاستعارات والاشارات ووجوه
الاستعمالات البديعة التى يجئ تفصيلها بعد
هذا ويشهد لذلك من القران ان الله تعالى وصفه

بانه

بانه بلسان عربى مبين وكرر ذلك فى مواضع كثيره
وبين انه رفعه عن ان يجعله اعجميا فلو كان يمكن
فى لسان العجم اذا راد مثل فصاحته لم يكن ليرفعه
عن هذه المنزلة وانه وان كان يمكن ان يكون من
فائدة قوله انه عربي مبين انه مما يفهمونه ولا
يفتقرون فيه الى الرجوع الى غيرهم ولا يحتاجون
فى تفسيره الى من سواهم فلا يمتنع ان يفيد
ما قلنا ايضا كما افاد بظاهره ما قدمناه ويبين
ذلك ان كثيرا من المسلمين قد عرفوا تلك الالسنه
وهم من اهل البراعة فيها وفى العربيه فقد
وقفوا على انه ليس يقع فيها من التفاضل والفصاحة
ما يقع فى العربيه ومنى اخر وهو انا لم نجد اهل
التوراة والانجيل ادعوا الاعجاز لكتابهم ولا ادعى
لهم المسلمون فعلم ان الاعجاز مما يختص به
القران ويبين هذا ان الشعر لا ياتى فى ذلك الالسنه
على ما قد اتفق فى العربيه وان كان قد يتفق منها
واصناف ضيقه لم يتفق فيها من البديع ما يمكن
ويا تى فى العربيه وكذلك لا ياتى فى الفارسيه
جميع الوجوه التى يتبين فيها الفصاحة على ما ياتى

فى العربية فان قيل فان المجوس تزعم ان كتاب
زرادشت وكتاب مانى معجزات قيل الذى يتضمنه
كتاب مانى من طريق النيرنجات وضروب من
الشعوذه ليس يقع فيها اعجاز ويزعمون ان فى
الكتاب لحكم وهى حكم منقولة متداولة على الالسن
لايختص بها امة دون امة وان كان بعضهم اكثر اهتماما
بها وتحصيلا لها وجمعا لابوابها وقد ادعى قوم
ان بن المقفع عارض القران وانما فزعوا الى الدره
اليتيمه وهما كتابان احدهما يتضمن حكما منقولة
توجد عند حكما كل امة مذكوره بالفضل فليس
فيها شى بديع من لفظ ولا معنى والاخر فى شى
من الديانات وقد تهوس فيه بما لايخفى على
متأمل وكتابه الذى بيناه فى لحكم منسوخ من
كتاب مترجم فى لحكمة فاى صنع له فى
ذلك واى فضيلة حازها فيها جأ به وبعد فليس
يوجد له كتاب يدعى مدع انه عارض فى القران بل
يزعمون انه اشتغل بذلك مدة ثم سرق ماجمع
واستحيا لنفسه من اظهاره فان كان كذلك فقد
اصاب وابصر القصد ولايمتنع ان يشتبه عليه

الحال

لكال فى الابتداء ثم يلوح له رشده ويتبين له
امره وينكشف له عجزه ولوكان بقى على اشتباه
لكال عليه لم يخف علينا موضع عقلته ولم يشتبه
لدينا وجه شبهته ومتى امكن ان تدعى العرس
فى شى من كتبهم انه معجز فى حسن تأليفه وعجيب
نظمه **فصل فى جملة وجوه اعجاز القران** ذكر
اصحابنا وغيرهم فى ذلك ثلاثة اوجه من الاعجاز
احدها يتضمن من الاخبار عن الغيوب وذلك
مما لايقدر عليه البشر ولاسبيل لهم اليه فمن ذلك
ما وعد الله تعالى نبيه عليه السلام انه سيظهر
دينه على الاديان بقوله له عز وجل هو الذى
ارسل رسوله بالهدى ودين لحق ليظهره على
الدين كله ولوكره المشركون ففعل ذلك وكان
ابو بكر الصديق رضى الله عنه اذا اغزى جيوشه
عرفهم ما وعدهم الله من اظهار دينه ليثقوا
بالنصر واستيقنوا بالفتح وكان عمر بن لخطاب
رضى الله عنه يفعل كذلك فى ايامه حتى وقف
اصحاب جيوشه عليه فكان سعد بن ابى وقاص
رحمة الله عليه وغيره من امراء لجيوش من جهته

يذكر ذلك لاصحابه ويحرضهم به ويوثق لهم
وكانوا يلقون الظفر من موجهاتهم حتى فتح الى اخر
ايام عمر رضى الله عنه الى بلخ وبلاد الهند وفتح
فى ايامه فارس الى الاصطخر وكرمان ومكران
وسجستان وجميع ما كان من مملكة كسرى وكل
ما كان يملكه ملوك الفرس بين البحرين من الفرات
الى جيحون وازال ملك ملوك الفرس فلم يعد الى
اليوم ولا يعود ابدا ان شاء الله تعالى ثم الى
حدود ارمينيه والى باب الابواب وفتح ايضا
ناحية الشام والاردن وفلسطين وقسطاط
مصر وازال ملك قيصر عنها وذلك من الفرات
الى بحر مصر وهو ملك قيصر وغزت الخيول فى
ايامه الى عموريه فاخذ الضواحى كلها ولم يبق
دونها الا ما حجز دونه بحر او حال عنه حبل منيع
او ارض خشنة او بادية غير مسلوكة وقال الله
عز وجل قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون
الى جهنم وبئس المهاد فصدق فيه وقال فى
اهل بدر واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها
لكم ووفى لهم بما وعد وجميع الايات التى يتضمنها

القران

القران من الاخبار عن الغيوب يكثر جدا وانما
اردنا ان تبنه بالبعض على الكل والوجه الثانى انه
كان معلوما من حال النبى صلى الله عليه وسلم
انه كان اميا لا يكتب ولا يحسن ان يقراء وكذلك
كان معروفا من حاله انه لم يكن يعرف شيأ من
كتب المتقدمين واقاصيصهم وانبأهم وسيرهم
ثم اتى بجمل ما وقع وحدث من عظيمات الامور
ومهمات السير من حيث خلق الله ادم عليه
السلام الى حين مبعثه فذكر الكتاب الذى جاء به
معجزة له قصة ادم عليه السلام وابتدا امره
وما صار اليه امره من الخروج من الجنه ثم جملا
من امر ولده واحواله وتوبته ثم ذكر قصه نوح
عليه السلام وما كان بينه وبين قومه وما انتهى
اليه امره وكذلك امر ابراهيم عليه السلام
الى ذكر سائل الانبيا المذكورين فى القران والملوك
والقرا عنه الذين كانوا فى ايام الانبيا صلوات
عليهم ونحن نعلم ضرورة ان هذا مما لا سبيل
اليه الا عن تعلم وان كان معروفا انه لم يكن
ما لا بسا لاهل الاثار وحملة الاخبار ولا مترددا

الى التعلم منهم ولا كان ممن يقرأ فيجوز ان يقع اليه
كتاب فياخذ منه علم انه لا يصل الى علم ذلك
الا بتاييد من جهة الوحى ولذلك قال عز وجل وما
كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك
اذا لارتاب المبطلون وقال وكذلك نفصل الايات
وليقولوا درست وقد بينا ان من كان يختلف الى
تعلم علم ويشتغل بملابسة اهل صنعة لم يخف
على الناس امره ولم يختلف عندهم مذهبه وقد
كان يعرف فيهم من يحسن هذا العلم وان كان نادرا
وكذلك كان يعرف من يختلف اليه للتعليم وليس
يخفى فى العرف عالم كل صنعة ومتعلمها فلو كان
منهم من يخفى امره والوجه الثالث انه بديع النظم
عجيب التاليف متناه فى البلاغة الى كد الذى
يعلم عجز الخلق عنه والذى اطلقه العلما هو على
هذه الجملة ونحن نفصل ذلك بعض التفصيل ونكشف
الجملة التى اطلقوها فالذى يشتمل عليه بديع نظمه
المتضمن للاعجاز وجوه منها ما يرجع الى الجملة
وذلك ان نظم القران على تصرف وجوهه واختلاف
مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم
ومباين

ومباين للمالوف من ترتيب خطابهم وله اسلوب
يختص به ويتميز فى تصرفه عن اساليب الكلام
المعتاد وذلك ان الطرق التى يتقيد بها الكلام البديع
المنظوم ينقسم الى اعاريض الشعر على اختلاف
انواعه ثم الى انواع الكلام الموزون غير المقفى ثم
الى اصناف الكلام المعدل المسجع ثم الى معدل
موزون غير مسجع ثم الى ما يرسل ارسالا فتطلب
فيه الاصابه والافادة وافهام المعانى المعترضه
على وجه بديع وترتيب لطيف وان لم يكن معتدلا
فى وزنه وذلك شبيه بجملة الكلام الذى
لا يتعمل ولا يتصنع له وقد علمنا ان القران خارج
عن هذه الوجوه ومباين لهذه الطرق ويبقى علينا
ان نبين انه ليس من باب السجع ولا فيه شى منه
وكذلك ليس من قبيل الشعر لان من الناس من
زعم انه كلام مسجع ومنهم من يدعى فيه شعرا
كثيرا والكلام عليهم يذكر بعد هذا الموضع فهذا اذا
تاملته التامل تبين بخروجه عن اصناف كلامهم
واساليب خطابهم انه خارج عن العادة وانه
معجز وهذه خصوصية ترجع الى جملة القران

وتميز حاصل فى جميعه ومنها انه ليس للعرب كلام
مشتمل على هذه الفصاحة والعزابة والتصرف
البديع والمعانى اللطيفه والفوائد العزيزة والحكم
الكثيرة والتناسب فى البلاغة والتشابه فى البراعة
على هذا الطول وعلى هذا القدر وانما ينسب الى
حكيمهم كلمات معدودة والفاظ قليلة والى شاعرهم
قصايد محصورة يقع فيها ما نبينه بعد هذا من
الاختلال ويعترضها ما نكشفه من الاختلاف
ويقع فيها ما نبديه من التعمل والتكلف والتجوز
والتعسف وقد حصل القران على كثرته وطوله
متناسبا فى الفصاحة على ما وصفه الله تعالى به
فقال عز من قائل الله نزل احسن الحديث كتابا
متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون
ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ولو
كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا
فاخبر ان كلام الادمى ان امتد وقع فيه التفاوت
وبان عليه الاختلال وهذا المعنى هو غير المعنى
الاول الذى بدانا بذكره فتامله تعرف الفضل
وفى ذلك معنى ثالث وهو ان عجيب نظمه وبديع

تأليفه

تأليفه لا يتفاوت ولا يتباين على ما يتصرف اليه
من الوجوه التى متصرف فيها من ذكر قصص
ومواعظ واحتجاج وحكم واحكام واعذار وانذار
ووعد ووعيد وتبشير وتخويف واوصاف وتعليم
اخلاق كريمه وشيم رفيعه وسير مانورة وغير
ذلك من الوجوه التى مشتمل عليها وتجد كلام
البليغ الكامل والشاعر المفلق والخطيب المصقع
يختلف على حسب اختلاف هذه الامور فمن الشعراء
من يجود فى المدح دون الهجو ومنهم من يبرز
فى الهجو دون المدح ومنهم من يسبق فى التقريظ
دون التباين ومنهم من يجود فى التباين دون
التقريظ ومنهم من يغرب فى وصف الابل او الخيل
او سير الليل او وصف الحرب او وصف الروض
او وصف الخمر او الغزل او غير ذلك مما يشتمل
عليه الشعر ويتداوله الكلام ولذلك ضرب المثل
بامرئ القيس اذا ركب والنابغة اذا رهب
وبزهير اذا رغب ومثل ذلك يختلف فى الخطب
والرسائل وسائر اجناس الكلام ومتى تأملت
شعر الشاعر البليغ رايت التفاوت فى شعره

على حسب الاحوال التى يتصرف فيها فيأتى بالغاية
فى البراعة فى معنى فاذا جاء غيره قصر عنه ووقف
دونه بان الاختلاف على شعره ولذلك ضرب المثل
بالذين سميتهم لانه لاخلاف فى تقدمهم فى صنعة
الشعر ولاشك فى تبريزهم فى مذهب النظم ،،
فاذا كان الاختلال بيتا فى شعرهم لاختلاف مايتصرفون
فيه واستغنينا عن ذكر من هو دونهم وكذلك
يستغنى به عن تفصيل نحو هذا فى الخطب والرسائل
ونحوها ثم نجد فى الشعراء من يجود فى الرجز ولايمكنه
نظم القصيد اصلا ومنهم من ينظم القصيد
ولكن يقصر فيه مهما تكلفه او عمله ومن الناس
من يجود فى الكلام المرسل فاذا اتى بالموزون قصر
ونقص نقصانا عجيبا ومنهم من يوجد بضد ذلك
وقد تاملنا نظم القران فوجدنا جميع مايتصرف
فيه من الوجوه التى قدمنا ذكرها على حد واحد
فى حسن النظم وبديع التاليف والوصف لاتفاوت
فيها ولا انحطاط عن المنزلة العليا ولا اسفاف
فيه الى الرتبه الدنيا وكذلك قد تاملنا مايتصرف
اليه وجوه الخطاب من الايات الطويله والقصيره

فراينا

فراينا الاعجاز فى جميعها على حد واحد لايختلف
وكذلك قد تفاوت كلام الناس عند اعادة ذكر
القصه الواحدة فراياه غير مختلف ولا متفاوت
بل هو على نهايه البلاغة وغاية البراعة فعلمنا
بذلك انه مما لايقدر عليه البشر لان الذى يقدرون
عليه قد بينا التفاوت الكثير عند التكرار وعند
تباين الوجوه واختلاف الاسباب التى يتضمن
ومعنى براع وهو ان كلام الفصحا يتفاوت
تفاوتا بينا فى الفصل والوصل والعلو والنزول
والتقريب والتبعيد وغير ذلك مما ينقسم اليه
الخطاب عند النظم ويتصرف فيه القول عند الضم
ولجمع الا ترى ان كثيرا من الشعراء قد وصف ،،
بالنقص عند التنقل من معنى الى غيره والخروج
من باب الى سواه حتى ان اهل الصنعة قد اتفقوا
على تقصير البحترى مع جودة نظمه وحسن وصفه
فى الخروج من التشبيب الى المديح واطبقوا على انه
لايحسنه ولايأتى فيه بشى وانما اتقن له فى مواضع
معدوده خروج يرتضى وتنقل يستحسن وكذلك
يختلف سبيل غيره عند الخروج من شى الى شى ،،

والتحول من باب الى باب ونحن نفصل بعد هذا ٭
ونفسر هذه الجملة ونبين ان القران على اختلاف
ما يتصرف فيه من الوجوه الكثيرة والطرق المختلفة
يجعل المختلف كالموتلف والمتباين كالمتناسب
والمتنافر في الافراد الى حد الاحاد وهذا امر عجيب
تتبين به الفصاحة وتظهر به البلاغة ويخرج به
الكلام عن حد العادة ويتجاوز العرف ومعنى
خاص وهو ان نظم القران وقع موقعا في البلاغة
يخرج عن عادة الكلام الانس والجن فهم يعجزون
عن الاتيان بمثله كعجزنا ويقصرون دونه كقصورنا
وقد قال الله عز وجل قل لئن اجتمعت الانس ٭
والجن على ان يا توا بمثل هذا القران لا ياتون
بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فان قيل هذه
دعوى منكم وذلك انه لا سبيل لنا الى ان نعلم عجز الجن
عن مثله وقد يجوز ان يكونوا قادرين على الاتيان
بمثله وان كنا عاجزين كما انهم قد يقدرون على
امور لطيفه واسباب غامضة دقيقه لا نقدر نحن
عليها ولا سبيل لنا للطفها اليها واذا كان كذلك
لم يكن الى علم ما ادعيتم سبيل قيل قد يمكن

ان

ان نعرف ذلك بخبر الله عز وجل وقد يمكن ان
يقال ان هذا الكلام خرج على ما كانت العرب
تعتقده من مخاطبة الجن وما يروون لهم من الشعر
ويحكون عنهم من الكلام وقد علمنا ان ذلك محفوظ
عندهم منقول عنهم والقدرة الذي نقلوه قد
تاملناه فهو في الفصاحة لا يتجاوز حد فصاحة
الانس ولعله يقصر عنها ولا يمتنع ان يسمع الناس
كلامهم ويقع بينهم وبينهم محاورات في عهد الانبيا
صلوات الله عليهم وذلك الزمان مما لا يمتنع فيه
وجود ما ينقض العادات على ان القوم الى الان
يعتقدون مخاطبة الغيلان ولهم اشعار محفوظه
مروية في دواوينهم قال طابش شعل

وادهم قد جئيت جلبا به كما ... اجتابت الكاعب لخيلا
الى ان حدا الصبح اشتاه ... ومزق جلبا به الأليلا
على شيم نار تنورتها ... فبت لها مدبرا مقبلا
فاصبحت والغول لي جارة ... فيا جارتا انت ما اهولا
وطالبتها بعضها فالتوت ... بوجه تهول واستغولا
فمن سال اين ثوت جارتي ... فان لها باللوى منزلا
وكنت اذا ما هممت اعتزمت ... واحزم اذا قلت ان افعلا

وقال اخر

عشوا ناری فقلت منون انتم فقال لجن قلت عموا ظلاما
فقلت الی الطعام فقال منهم زعیم یحسد الانس الطعاما

ویذکرون لامرئ القیس قصیده مع عمرو لکبتی واشعارالهما کرهنا ذکرها لطولها وقال ؛ عبید بن ایوب

فلله در الغول ای رفیقة لصاحب قفر خائف متقفر
ارنت بلحن بعد لحن واوقدت حوالی نیرانا تبوخ وتزهر

وقارد والرمة بعد قوله

قداعسف النازح المجهول معسفه فی ظل اخضر یدعوها هامنه البوم

للجن باللیل فی حافاتها زجل کما تناوح یوم الریح عیشوم
دویة ودجالیل کانهما یم تراطن فی حافاتها الروم

وقال ایضا

وکم عرست بعد النوی من معرس لها من کلام لجن اسوات سامر

وقال

ورمل عریف لجن فی عقباته هزیز کمضراب المغنین بالطبل

وان کان القوم یعتقدون کلام لجن ومخاطباتهم ؛ ویحکمون عنهم وذلک القدر والمحکی لایرید امره علی فصاحة العرب صح ما وصف عندهم من عجزهم

عنه

عنه کعجز الانس ویبین ذلک من القران ان الله تعالی حکم عن لجن ما تفاوضوا فیه من القران فقال واذ صرفنا الیک نفرا من لجن یستمعون القران فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضی ولوا الی قومهم منذرین الی اخر ما حکی عنهم فیما یتلوه فاذا ثبت انه وصف کلامهم ووافق ما یعتقدونه من نقل خطابهم صح ان یوصف الشی المألوف فانه یحط عن درجة القران فی الفصاحة وهذان لجوبان اشتد عندی من جواب بعض المتکلمین عنه فان عجز الانس عن القران یثبت له حکم الاعجاز فلا یعتبر غیره الا تری انه لو عرفنا من طریق المشاهدة عجز لجن عنه فقال لنا قائل فدلوا علی ان الملائکه تعجز عن الاتیان بمثله لم یکن لنا فی لجواب غیر هذه الطریقة التی قدبیناها وانما ضعفنا هذا لجواب لان الذی حکی وذکر عجز لجن والانس عن الاتیان بمثله فیجب ان نعلم عجز لجن عنه کما علمنا عجز الانس عنه ولو کان وصف عجز الملائکة عنه لوجب ان نعرف ذلک ایضا بطریقه فان قیل انتم قدانتهیتم الی ذکر الاعجاز فی التفاصیل وهذا الفصل انما یدل علی الاعجاز فی الجملة قیل هذا

كما انه يدل على الجملة فانه يدل على التفصيل ايضا
فصح ان يليق بهذا القبيل كما كان يصح ان يليق بباب
الجمل ومعنى سادس وهو ان الذى ينقسم عليه
الخطاب من البسط والاقتصار والجمع والتفريق
والاستعارة والتصريح والتجوز والتحقيق ونحو ذلك
من الوجوه التى توجد فى كلامهم موجود فى القرآن
وكل ذلك مما يتجاوز حدود كلامهم المعتاد بينهم
فى الفصاحة والابداع والبلاغة وقد ضمنا بيان
ذلك من بعد لان الوجه هاهنا ذكر المقدمات
دون البسط والتفصيل ومعنى سابع وهو ان
المعانى التى تضمنه فى اصل وضع الشريعة والاحكام
والاحتجابات فى اصل الدين والرد على الملحدين
على تلك الالفاظ البديعة وموافقة بعضها
بعضا فى اللطف والبراعة مما يتعذر على البشر
ويمتنع ذلك انه قد علم ان تخير الالفاظ للمعانى
المتداوله المألوفه والاسباب الدائره بين الناس
اسهل واقرب من تخير الالفاظ لمعانى متبكره
واسباب مؤسسه مستحدثه فاذا برع اللفظ
فى المعنى البارع كان اللطف واعجب من ان يوجد اللفظ

البارع فى المعنى المتداول التكرر والامر المتقرر
المتصور ثم ان ضاف الى ذلك التصرف البديع
فى الوجوه التى تتضمن تاييد ما يبتدأ، تاسيسه
ويراد تحقيقه بان التفاضل فى البراعة والفصاحة
ثم اذا وجدت الالفاظ وفق المعنى والمعانى وفقها
لا يفضل احدهما على الاخر فالبراعة اظهر والفصاحة
اتم ومعنى ثامن وهو ان الكلام يبين فضله
وبرجحان فصاحته بان تذكر منه الكلمة فى تضاعيف
كلام اوتقذف ما بين شعر فتاخذه الاسماع
وتتشوق اليه النفوس ويرى وجه رونقه باديا
غامرا سائر ما يقرن به كالدرة التى ترى فى سلك
من خرز وكاليواقوته فى واسطة العقد وانت ترى
الكلمة من القران يتمثل بها فى تضاعيف كلام
كثير وهى عزة جميعه وواسطة عقده والمنادى
على نفسه بتميزه وتخصصه برونقه وجماله
واعتراضه فى جنسه ومائه وهذا الفصل ايضا
مما يحتاج فيه الى تفصيل وشرح ونص ليتحقق
ما ادعياه منه ولولا هذه الوجوه التى بيناها
لم يتحير فيه اهل الفصاحة ولكانوا يفزعون

الى التعمل للمقابلة والتصنع للمعارضه وكانوا
ينظرون فى امرهم ويراجعون انفسهم اوكان
يراجع بعضهم بعضا فى معارضته ويتوقفون لها
فلما لم نرهم اشتغلوا بذلك علم ان اهل المعرفة
منهم بالصنعة انما عدلوا عن هذه الامور
لعلمهم بعجزهم عنه وقصور فصاحتهم دونه
ولا يتمتع ان يلتبس على من لم يكن بارعا فيهم
ومتقدما فى الفصاحة منهم هذه الحال حتى لا يعلم
الا بعد نظر وتامل وحتى تعرف حال عجز غيره ،،
الا ان راينا صناديدهم واعيانهم ووجوههم
سلموا ولم يشتغلوا بذلك تحققنا ظهور العجز ،،
وتبيناه واما قوله تعالى حكاية عنهم قالوا لو
نشأ لقلنا مثل هذا فقد يمكن ان يكونوا كاذبين
فيما اخبروا به عن انفسهم وقد يمكن ان يكون هذا
الكلام انما خرج منهم وهو يدل على عجزهم ولذلك
اورده الله مورد تقريعهم لانه لو كانوا على ما وصفوا
به انفسهم لكانوا يتجاوزون الوعد الى الايجاز ،،
والضمان الى الوفا فلما يستعملوا ذلك مع استمرار
التحدى وتطاول زمان الفسحة فى اقامة الحجة

عليهم

عليهم بعجزهم عنه علم عجزهم اذ لو كانوا
قادرين على ذلك لم يقتصروا على الدعوى فقط
ومعلوم من حالهم وحميتهم ان الواحد منهم
يقول فى الكشرات والهوام والحيات وفى وصف
الازمه والانتساع والامور التى لا يؤبه لها ولا
يحتاج اليها ويتنافسون فى ذلك اشد التنافس
ويهجون به اشد الهجو فكيف يجوز ان يمكنهم معارضته
فى هذه المعانى الفسيحه والعبارات الفصيحة مع
تضمن المعارضه تكذيبه والذب عن اديانهم القديمه
واخراجهم انفسهم من تسفيه رايهم وتضليله
اياهم والتخلص من منازعته ثم من محاربته
ومقارعته ثم لا يفعلون شيأ من ذلك وانما
يحيلون انفسهم على التعاليل ويعللونها بالاباطيل
ومعنى تاسع وهو ان الحروف التى بنى عليها كلام
العرب تسعة وعشرون حرفا وعدد السور التى
افتتح فيها بذكر الحروف ثمان وعشرون سورة
وجملة ما ذكر من هذه الحروف فى اوائل السور ،،
من حروف المعجم نصف الجملة وهو اربعة عشر حرفا
ليدل بالمذكور على غيره وليعرفوا ان هذا الكلام

منتظم من الحروف التى ينظمون بها كلامهم ٭
والذى ينقسم اليه هذه الحروف على ما قسمه اهل
العربية وبنوا عليها وجوهها اقسام نحن ذاكروها
فمن ذلك انهم قسموها على حروف مهموسة
واخرى مجهورة فالمهموسة منها عشرة وهى
الحا والها والخا والكاف والشين والثا والفا
والتا والصاد والسين وما سوى ذلك من الحروف
فهي مجهورة وقد عرفنا ان نصف الحروف ٭
المهموسة مذكورة فى جملة الحروف المذكورة
فى اوائل السور وكذلك نصف الحروف المجهورة
على السواء لا زيادة ولا نقصان والمجهور معناه
انه حرف اشبع الاعتماد فى موضعه ومنع ان
يجرى معه حتى ينقضى الاعتماد ويجرى الصوت
والمهموس كل حرف اضعف الاعتماد فى موضعه
حتى جرى معه النفس وذلك مما يحتاج الى معرفته
لتبتنى عليه اصول العربيه وكذلك مما يقسمون
اليه الحروف يقولون انها على ضربين احدهما
حروف الحلق وهى ستة احرف العين والحا والهمزة
والها والخا والغين والنصف من هذه الحروف

مذكورة

مذكورة فى جملة الحروف التى تشتمل على الحروف
المبنية فى اوائل السور وكذلك النصف من ٭
الحروف التى ليست بحروف الحلق وكذلك تنقسم
هذه الحروف الى قسمين اخرين احدهما حروف
غير شديده والى الحروف الشديده وهى التى
تمنع الصوت ان يجرى فيه وهى الهمزة والقاف
والكاف والجيم والطا والذال والطاء والباء
وقد علمنا ان نصف هذه الحروف ايضا هى
مذكورة فى جملة تلك الحروف التى بنى عليها
تلك السور ومن ذلك الحروف المطبقه وهى
اربعة احرف وما سواها منفتحة فالمطبقة الطاء
والظا والضاد والصاد وقد علمنا ان نصف
هذه فى جملة الحروف المبدأ بها فى اوائل السور
واذا كان القوم الذين قسموا فى الحروف هذه
الاقسام لاعراض لهم فى ترتيب العربية وتنزيلها
بعد الزمان الطويل من عهد النبى صلى الله عليه
وسلم وراوا ميلا فى اللسان على هذه الجهة ٭
وقد نبه بما ذكر فى اوائل السور على ما لم يذكر
على حد التصنيف الذى وصفناه دل على ان

وقوعها الموقع الذى يقع التواضع عليه بعد العهد
الطويل لايجوز ان يقع الا من الله عز وجل لان
ذلك يجرى مجرى علم الغيوب وان كان انما شبهوا
على ما بنى عليه اللسان فى اصله ولم يكن لهم
فى التقسيم شى وانما التاثير لمن وضع اصل اللسان
فذلك ايضا من البديع الذى يدل على ان اصل وضعه
وقع موقع الحكمة التى يقصر عنها اللسان فان كان
اصل اللغة توقيفا فالامر فى ذلك ابين وان كان على
سبيل الوضع فهو عجيب ايضا لانه لايصح ان تجتمع
همم المختلفة على نحو هذا الا بامر من عند الله
وكل ذلك يوجب اثبات الحكمة فى ذكر هذه الحروف
على حد يتعلق به الاعجاز من وجه وقد يمكن ان تعاد
فاتحة كل سورة فائدة تخصها فى النظم اذا كانت
حوفا كنحو الم لان الالف المبدؤ بها هى اقصاها
مطلعا واللام متوسطة والميم منطرقة لانها
تاخذ فى الشفة فنبه بذكرها على غيرها من الحروف
الق تتردد بين هذين الطرفين ويشبه ان يكون
التنصيف وقع فى هذه الحروف دون الالف لان
قد تلغى وقد تقع الهمزة وهى موقعا واحدا ومعنى

عاشر

عاشر وهو انه سهل سبيله فهو خارج عن الوحشى
المستكره والغريب المستنكر وعن الصنعة المتكلفة
وجعله قريبا الى الافهام يبادر معناه لفظه الى
القلب ويسابق المقرى فيه عبارته الى النفس
وهو مع ذلك ممتنع المطلب عسير المتناول غير مطمع
مع قربه فى نفسه ولا موهم مع دونه فى موقعه
ان يقدر عليه او يتطفر به فاما الانحطاط عن هذه
الرتبه الى رتبة الكلام المبتذل والقول المسفسف
فليس يصح ان تقع فيه فصاحة او بلاغة فيطلب
فيه التمنع او يوضع فيه الاعجاز ولكن لو وضع فى
وحشى مستكره او عثر بوجوه الصنعه او طبق
بابواب التعسف والتكلف لكان لقائل ان يقول
فيه ويعتذر ويعيب ويقرع ولكنه اوضح مناره
وقرب منهاجه وسهل سبيله وجعله فى ذلك
متشابها متماثلا وبين مع ذلك اعجازهم فيه وقد
علمت ان كلام فصحائهم وشعر بلغائهم لاينفك
من تصرف فى عربب مستنكر ووحشى مستكره
ومعان مستبعده تقعد ولهم الى كلام مبتذل
وضيع لايوجد دونه فى الرتبة ثم تحولهم الى

كلام معتدل بين الامرين متصرف بين المنزلين
فمن شأن يتحقق هذا نظر فى قصيدة امرئ
القيس قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ونحن
نذكر بعد هذا على التفصيل ما يتصرف اليه هذه
القصيدة وتظايرها ومنزلتها من البلاغة ونذكر
وجه فوت نظم القران محلها على وجه يؤخذ
باليد ويتناول من كثب ويتصور فى النفس كتصور
الاشكال ليبين ما ادعيناه من الفصاحة العجيبة
للقران واعلم ان من قال من اصحابنا ان الاحكام
معللة بعلل موافقه مقتضى العقل جعل هذا وجها
من وجوه الاعجاز وجعل هذه الطريقة دلالة فيه
كنحو ما يعللون به الصلاة ومعظم الفروض واصولها
ولهم فى كثير من تلك العلل طرق قريبة ووجوه
تستحسن واصحابنا من اهل خرسان يولعون بذلك
ولكن الاصل الذى يبنون عليه عندنا غير مستقيم
وفى ذلك كلام يأتى فى كتابنا فى الاصول وقد يمكن
فى تفاصيل ما اوردنا من المعانى الزيادة والافراد
فانا جمعنا بين امور وذكرنا المزية المتعلقة بها
وكل واحد من تلك الامور مما قد يمكن اعتماده
فى

فى اظهار الاعجاز فيه فان قيل فهل تزعمون
انه معجز لانه حكاية لكلام القديم سبحانه وتعالى
اولانه عبارة عنه اولانه قديم فى نفسه قيل
لسنا نقول بان الحروف قديمة فكيف يصح التركيب
على الفاسد ولا نقول ايضا ان وجه الاعجاز
فى نظم القران انه حكاية عن الكلام القديم
لانه لو كان كذلك لكانت التوراة والانجيل
وغيرهما من كتب الله عز وجل معجزات فى النظم
والتاليف وقد بينا ان اعجازها فى غير ذلك
وكذلك كان يجب ان تكون كل كلمة مفردة معجزة
بنفسها ومنفردها وقد ثبت خلاف ذلك

فصل فى شرح ما بينا من وجوه اعجاز القران

فاما الفصل الذى بدانا بذكره من الاخبار عن
الغيوب والصدق والاصابة فى ذلك كله فهو كقوله
تعالى قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم
اولى باس شديد تقاتلونهم او يسلمون فاغزاهم
ابو بكر وعمر رضى الله عنهما الى قبال العرب
والفرس والروم وكقولهم الم غلبت الروم
فى ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون

عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت
ان كنتم صادقين ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم
ولو تمنوه لوقع به فهذا وما اشبهه

فصل

واما الوجه الثاني الذي ذكرناه من اخباره
عن قصص الاولين وسير المتقدمين فمن العجيب
الممتنع على من لم يقف على الاخبار ولم يشتغل
بدرس الاثار وقد حكى في القران تلك الامور
حكاية من مشاهدها وحضرها ولذلك
قال الله تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب
ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون وقال وما كنت
بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى وقال وما كنت
بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر
قوما ما اتاهم من نذير من قبلك فبين وجه دلالته
من اخباره بهذه الامور الغايبة السالفة وقال
تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها
انت ولا قومك من قبل هذا الاية فاما الكلام
في الوجه الثالث وهو الذي بيناه من الاعجاز
الواقع في النظم والتاليف والرصف فقد ذكرنا

في بضع سنين وراهن ابو بكر الصديق رضي الله
عنه في ذلك وصدق الله وعده وكقوله في قصة
اهل بدر سيهزم الجمع ويولون الدبر وكقوله لقد
صدق الله رسوله الرويا بالحق لتدخلن المسجد
الحرام ان شا الله امنين محلقين رؤسكم ومقصرين
لا تخافون وكقوله واذا يعدكم الله احدى الطائفتين
انها لكم في قصة اهل بدر وكقوله وعد الله الذين
امنوا منكم وعملوا الصلحات ليستخلفهم في الارض
كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي
ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا وصدق
الله تعالى وعده في كل ذلك وقال في قصة المخلفين
عنه في غزوته لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي
عدوا فحقق ذلك كله وصدق ولم يخرج من المتخلفين
الذين خوطبوا بذلك معه احد وكقوله ليظهره
على الدين كله وكقوله قل تعالوا ندع ابنائنا وابنائكم
ونسائنا ونسائكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل
فنجعل لعنة الله على الكاذبين فامتنوا من المباهلة
ولو اجابوا اليها اضطرمت عليهم الاودية نارا على
ما ذكر في الخبر وكقوله قل ان كانت لكم الدار الاخرة

عند

من هذا الوجه وجوها منها انا قلنا انه نظم خارج
عن جميع وجوه النظم المعتاد فى كلامهم ومباين
لاساليب خطابهم ومن ادعى ذلك لم يكن له بد من
ان يصح انه ليس من قبيل النثر ولا السجع ولا الكلام
الموزون غير المقفى لان قوما من كفار قريش ادعوا
انه شعر ومن الملحده من يزعم ان فيه شعرا ومن
اهل الملة من يقول انه كلام مسجع الا انه افصح
مما قد اعتادوه من اسجاعهم ومنهم من يدعى انه
كلام موزون فلا يخرج بذلك عن اصناف ما يتعارفونه
من الخطاب **فصل فى نفى الشعر من القران**
قد علمنا ان الله تعالى نفى الشعر من القران ومن
النبى صلى الله عليه وسلم فقال وما علمناه الشعر
وما ينبغى له ان هو الا ذكر وقران مبين وقال فى ذم
الشعراء والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم
فى كل واد يهيمون الى اخر ما وصفهم به فى هذه
الايات وقال وما هو بقوله شاعر لا بد من ان يكون
محمولا على انهم نسبوه فى القران الى ان الذى
اتاهم به هو من قبيل الشعر الذى يتعارفونه
على الاعاريض المحصوره المالوفة او يكون محمولا
على

على ما كان يطلق الفلاسفة على حكمائهم واهل
الفطنة منهم فى وصفهم اياهم بالشعر لدقة
نظرهم فى وجوه الكلام وطرق لهم فى المنطق
وان كان ذلك الباب خارجا عما هو عند العرب
شعرا على لحقيقه او يكون محمولا على انه اطلق
بعض الضعفاء منهم فى معرفة اوزان الشعر
وهذا ابعد الاحتمالات فان حمل على الوجهين
الاولين كان ما اطلقوه صحيحا وذلك ان الشاعر
يفطن لما لا يفطن له غيره واذا قدر على صنعة
الشعر كان ما دونه فى زائهم وعندهم اقدر
فنسبوه الى ذلك لهذا السبب فان زعم
زاعم انه قد وجد فى القران شعرا كثيرا فمن
ذلك ما يزعمون انه بيت تاما وابيات تامة
ومنه ما يزعمون انه مصراع كقول القائل

قد قلت لما حاولوا سلوتى هيهات هيهات لما توعدون

وما يزعمون انه بيت قوله وجفان كالجواب
وقدور راسيات قالوا هو من الرمل من
البحر الذى قيل فيه

ساكن الريح نطوف المزن منحل العزالى

وكقوله تعالى من تزكى فانما يتزكى لنفسه
كقول الشاعر من بحر الخفيف كل يوم بشمسه وغد مثل امسه
وكقوله عز وجل ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب قالوا هو من المتقارب وكقوله ،،
ودانيه عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا ويشبعون
حركة الميم فيزعمون انه من الرجز وذكر ،،
عن ابى نواس انه ضمن
وفتية فى مجلس وجوههم ريحانهم قد عدموا التثقيلا
دانيه عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا
وقوله عز وجل ويخزهم وينصركم عليهم ويشف
صدور قوم مومنين زعموا انه من الوافر كقول الشاعر
لنا غنم نسوقها غزار كان قرون جلتها عصى
وكقوله عز وجل ارايت الذى يكذب بالدين فذلك
الذى يدع اليتيم ضمنه ابو نواس فى شعره فقصل
وقال فذلك الذى وشعره
وقرا معلنا ليصدع قلبى والهوى يصدع الفواد السقيما
ارايت الذى يكذب بالدين فذاك الذى يدع اليتيما
وهذا من الخفيف كقول الشاعر
وفوادى كعهده بسليمى يهوى لم يحل ولم يتقيس

وكما ضمنه فى شعره من قوله
سبحان من سخر هذا لنا حقا وما كنا له مقرنين
فزاد فيه حتى انتظم له الشعر وكما يقولونه فى قوله
عز وجل والعاديات ضبحا فالموريات قدحا ونحو
ذلك فى القران كثير كقوله والذاريات ذروا فالحملات
وقرا فالجاريات يسرا وهو عندهم شعر من بحر
البسيط والجواب عن هذه الدعوة التى ادعوها
من وجوه اولها ان الفصحا منهم حين اورد عليهم
القران لو كانوا يعتقدونه شعرا ولم يروه خارجا
عن اساليب كلامهم البادروا الى معارضته لان
الشعر مسخر لهم مسهل عليهم لهم فيه ما قد
علمت من التصرف العجيب والاقتدار اللطيف
فلما لم نرهم اشتغلوا بذلك ولا عولوا عليه
علم انهم لا يقتدوا فيه شيأ مما يقدره الضعفا
فى الصنعة والمقتدرون فى هذا الشان وان
استدراك من يجئ الان على فصحاء قريش وشعراء
العرب قاطبة فى ذلك الزمان وبلغائهم ،،
وخطبائهم وزعمه انه قد ظفر بشعر من القران
ذهب اولئك النفر عنه وخفى عليهم مع شدة

حاجتهم الى الطعن فى القران والغض منه والتوصل
الى تكذيبه بكل ما قدروا عليه فلن يجوز ان يخفى
على اولئك وان يجهلوا ويعرفه من جاء الان وهو
بالجهل حقيق واذا كان كذلك علم ان الذى اجاب
به العلماء عن هذا السؤال شديد وهو انهم قالوا
ان البيت الواحد وما كان على وزنه لا يكون شعرا
واقل الشعر بيتان فصاعدا والى ذلك ذهب
اكثر اهل صناعة العربيه من اهل الاسلام وقالوا
ايضا ان ما كان على وزن بيتين الا انه يختلف ،،
رويهما وقافيتهما فليس بشعر ثم منهم من قال
ان الرجز ليس بشعرا صلا لا سيما اذا كان ،،
مشطورا او منهوكا وكذلك ما كان يقارنه فى قلة
الاجزاء وعلى هذا يسقط السؤال ثم يقولون
ان الشعر انما يطلق متى قصد القاصد اليه على
الطريق الذى يعتمد ويسلك ولا يصح ان يتفق
مثله الا من الشعراء دون ما يستوى فيه ،،
العامى والجاهل والعالم بالشعر واللسان
وتصرفه وما يتفق من كل واحد فليس يكتسب
اسم الشعر ولا صاحبه اسم شاعر لانه لو صح

ان

ان يسمى كل من اعترض فى كلامه الفاظ تتزن
بوزن الشعر او تنتظم انتظام بعض الاعاريض
كان الناس كلهم شعراء لان كل متكلم لا ينفك
من ان يعرض فى جملة كلام كثير يقوله ما قد يتزن
بوزن الشعر ويتنظم انتظامه الا ترى ان العامى
قد يقول لصاحبه اغلق الباب وائتنى بالطعام
ويقول الرجل لاصحابه اكرموا من لقيتم من تميم
ومتى تتبع الانسان هذا عرف انه يكثر فى
تضاعيف الكلام مثله واكثر منه وهذا القدر
الذى يصح فيه التوارد ليس بعده اهل الصناعة
سرقه ولم تعلم فيه حقيقة الاخذ كقول امرئ
القيس وقوفا بها صحبى على مطيهم يقولون
لا تهلك اسى وتجمل وكقول طرفة وقوفا بها
صحبى على مطيهم يقولون لا تهلك اسى وتجلد
ومثل هذا كثير فاذا صح مثل ذلك فى بعض البيت
ولم يمنع التوارد فيه فكذلك لا يمتنع وقوعه
فى الكلام المنثور انما ما غير مقصود اليه فاذا
اتفق لم يكن ذلك شعرا وكذلك يمتنع التوارد
على بيتين وكذلك يمتنع فى الكلام المنثور وقوع

البيتين ونحوهما فثبت بهذا ان ما وقع هذا الموقع
لم يعد شعرا وانما يعد شعرا ما اذا قصده صاحبه
تاتى له ولم يمتنع عليه فاذا كان هو مع قصده
لا ياتى له وانما يعرض فى كلامه عن غير قصد اليه
لم يصح ان يقال انه شعر ولا ان صاحبه شاعر
ولا يصح ان يقال ان هذا يوجب ان مثل هذا الواتفق
من شاعر يجب ان يكون شعرا لانه لو قصده
لكان ياتى منه وانما لم يصح ذلك لان ما ليس
بشعر فلا يجوز ان يكون شعرا من احد وما كان
شعرا من احد من الناس كان شعرا من كل احد
الا ترى ان السويقى قد يقول اسقنى الماء يا غلام
سريعا وقد يتفق ذلك من الساهى ومن لا يقصد
النظم فاما الشعر اذا بلغ الحد الذى بينا فلا يصح
ان يقع الا من قاصد اليه واما الرجز فانه يعرض
فى كلام العوام كثيرا فاذا كان بيتا واحدا فليس
ذلك بشعر وقد قيل ان اقل ما يكون منه شعرا
اربعة ابيات بعد ان يتفق قوافيها ولم يتفق
فى القران بحال فما دون اربعة ابيات منه او ما يجرى
مجراه فى قلة الكلمات فليس بشعر وما اتفق فى ذلك

من

من القران مختلف الروى ويقولون انه متى
اختلف الروى جزء من ان يكون شعرا وهذه
الطريقة التى سلكوها فى الجواب معتمدة او اكثرها
ولو كان ذلك شعرا لكانت النفوس تتشوق الى
معارضته لان طريق الشعر غير مستصعب على
اهل الزمان الواحد واهله يتقاربون فيه او يضربون
فيه بسهم فان قيل فى القران كلام موزون كوزن
الشعر وان كان غير مقفى بل هو ازواج متساوى
الضروب وذلك اخر اقسام كلام العرب قيل من
سبيل الموزون من الكلام ان تتساوى اجزاؤه
فى الطول والقصر والسواكن والحركات فان
خرج عن ذلك لم يكن موزونا كقوله رب اخ كنت
به مغتبطا اشد كفى بعرى صحبته تمسكا منى
بالود ولا احسبه يزهد فى ذى امل تمسكا منى
بالود ولا احسبه بغير المعمد ولا يحول عنه ابدا
فخاب فيه املى وقد علمنا ان هذا القران ليس
من هذا القبيل بل هذا قبيل غير ممدوح ولا مقصود
من جملة الفصيح وربما كان عندهم مستنكرا بل
اكثره على ذلك وكذلك ليس فى القران من الموزون

الذى وصفناه اولا وهو الذى شرطنا فيه التعادل
والتساوى فى الاجزاء غير الاختلاف الواقع فى
التقفيه ويبين ذلك ان القرآن خارج عن الوزن
الذى بيناه وتتم فايدته بالخروج منه واما الكلام
الموزون فان فايدته تتم بوزنه **فصل فى نفى**
السجع من القرآن ذهب اصحابنا كلهم الى نفى
السجع من القرآن وذكره ابو الحسن الاشعرى
فى غير موضع من كتبه وذهب كثير ممن يخالفهم
الى اثبات السجع فى القرآن وزعموا ان ذلك مما
يبين به فضل الكلام وانه من الاجناس التى
يقع بها التفاضل فى البيان والفصاحه كالتجنيس
والالتفات وما اشبه ذلك من الوجوه التى
تعرف بها الفصاحة واقوى ما يستدلون به عليه
اتفاق الكل على ان موسى افضل من هارون
عليهما السلام ولما كان السجع قيل فى موضع
هارون وموسى ولما كانت الفواصل فى موضع
اخر بالواو والنون قيل موسى وهارون ״
وقالوا وهذا يفارق امر الشعر لانه لا يجوز ان
يقع فى الخطاب الا مقصودا اليه واذا وقع

غير

غير مقصود اليه كان دون القدر الذى يسميه
شعرا وذلك القدر سايتفق وجوه من المفحم
كما يتفق وجوه من الشاعر واما ما فى القرآن
من السجع فهو كثير لا يصح ان يتفق كله غير مقصود
اليه ويبنون الامر فى ذلك على تحديد معنى السجع
قال اهل اللغة هو موالاة الكلام على وزن واحد
قال بن دريد سجعت الحمامه معناها رددت
صوتها وانشد طربت فايكتك الحمام السواجع
تميل بها ضحوا غصون يوانع التوايع الموايل ״
من قولهم جائع نايع اى متمايل ضعفا وهذا
الذى يزعمون غير صحيح ولو كان القرآن سجعا
لكان غير خارج عن اساليب كلامهم ولو كان ״
داخلا فيها لم يقع بذلك اعجاز ولوجاز ان يقال
هو سجع معجز كما زلهم ان يقولوا شعر معجز وكيف
والسجع مما كان يالفه الكهانة تنافى النبوات
وليس كذلك الشعر وقد روى النبى صلى الله عليه
وسلم قال للذين جاؤه وكلموه فى شان الكتين
كيف ندى من لا اكل ولا شرب ولا صاح فاستهل
ليس دمه قط يطل فقال اسجاعه كسجاعة

لجاهليه وفى بعضها اسجعا كسجع الكهان فراى
ذلك مذموما لم يصح ان يكون فى دلالته والتى
يقدرونه انه سجع فهو وهم لانه قد يكون الكلام
على مثال السجع وان لم يكن سجعا لان مايكون
به الكلام سجعا يختص ببعض الوجوه دون بعض
لان السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذى
يودى السجع وليس كذلك ما اتفق مما هو فى تقدير
السجع من القران لان اللفظ يقع فيه تابعا للمعنى
وفصل بين ان ينتظم الكلام فى نفسه بالفاظه
التى تودى المعنى المقصود فيه وبين ان يكون
المعنى منتظما دون اللفظ ومتى ارتبط المعنى
السجع كان افادة السجع كافادة غيره ومتى ارتبط
المعنى بنفسه دون السجع كان مستجليا للتجنيس
الكلام دون تصحيح المعنى **فان قيل نقد يتفق**
فى القران مايكون من القبيلين جميعا فيجب
ان تسموا احدهما سجعا **قيل الكلام** فى تفصيل
هذا خارج عن غرض كتابنا والا كنا نأتى على فصل
من اول القران الى اخره ونبين فى المواضع الذى
يدعون الاستغناء عن السجع من الفوائد مالا يخفى
ولكنه

ولكنه خارج عن غرض كتابنا وهذا القدر يحقق
الفرق بين الموضعين ثم ان سلم لهم مسلم
موضعا او مواضع معدودة وزعم ان وقوع
ذلك موقع الاستراحه فى الخطاب الى الفواصل
لتحسين الكلام بها وهى الطريقه التى يباين
القران بها سائر الكلام **وزعم ان الوجه فى ذلك**
انه من باب الفواصل او زعم ان ذلك وقع غير
مقصود اليه وان ذلك اذا اعترض فى الخطاب
لم يعد سجعا على ماقد بينا من القليل من الشعر
كالبيت الواحد والمصراع والبيتين من الرجز ونحو
ذلك ويعرض فيه فلا يقال انه شعر لانه لا يقع
مقصودا اليه وانما يقع مغمورا فى الخطاب فكذلك
حال السجع الذى يزعمونه ويقدرونه ويقال
لهم لو كان الذى فى القران على مايقدرونه سجعا
لكان مذموما مرذولا لان السجع اذا تفاوتت
اوزانه واختلفت طرقه كان قبيحا من الكلام
وللسجع منهج مرتب محفوظ وطريق مضبوط
متى اخل به المتكلم اوقع الخلل فى كلامه ونسب
الى الخروج عن الفصاحة كما ان الشاعر اذا خرج

عن الوزن المعهود كان مخطيا وكان شعره سرذولا
ومما اخرجه من كونه شعرًا وقد علمنا ان بعض
ما يدعونه سجعًا متقارب الفواصل متدانى
المقاطع وبعضها مما يمتد حتى يتضاعف طوله
عليه وترد الفاصلة على ذلك الوزن الاول بعد
كلام كثير وهذا فى السجع غير مرضى ولا محمود فان
قيل متى خرج السجع المعتدل الى نحو ما ذكرتموه خرج
من ان يكون سجعا وليس على المتكلم ان يلتزم
ان يكون كلامه كله سجعا بل ياتى به طورًا ثم
يعدل عنه الى غيره ثم قد يرجع اليه قيل متى وقع
احد مصراعى البيت مخالفا للاخر كان تخليطا
وخبطا وكذلك متى اضطرب احد مصارع الكلام
المسجع وتفاوت كان خطبا وعلم ان فصاحه
القران غير مذمومة فى الاصل فلا يجوز ان يقع
فيها نحو هذا الوجه من الاضطراب ولو كان
الكلام الذى هو فى صورة السجع منه لما تحيروا
فيه وكانت الطباع تدعوا فى المعارضته لان
السجع غير ممتنع عليهم بل هو عادتهم فكيف
تنقض العادة بما هو نفس العادة وهو غير خارج
عنها

عنها ولا مميز منها وقد يتفق فى الشعر كلام على
منهاج السجع وليس بسجع عندهم وذلك نحو قول
البحترى تشكو الوجا والليل ملتبس الدجى
عزيزته الانساب سرب تقيعها وقوله ايضا
قريب المدى حتى يكون الى الندى عدو البنى حتى
يكون سعالى ورايت بعضهم يركب هذا فيزعم انه
سجع مداخل ونظيره من القران قوله تعالى ثم يوم
القيامة يخزيهم ويقول اين شركائي الذين كنتم
تشاقون فيهم وقوله امرنا مترفيها ففسقوا
فيها وقوله احب اليكم من الله ورسوله وجهادٍ
فى سبيله وقوله التوراة والانجيل ورسولا الى
بنى اسرائيل وقوله انى وهن العظم منى ولو كان
ذلك عندهم سجعا لم يتحيروا فيه ذلك التحير حتى
سماه بعضهم سحرا وتصرفوا فيه كانوا يسمونه
به ويصرفونه اليه ويتوهمونه فيه وهم فى
الجملة عارفون بمخرجهم على طريقه وليس القوم
بعاجزين عن تلك الاساليب المعتاده عندهم
المالوفه لديهم والذى تكلمنا به فى هذا الفصل

كلام على جملة دون التفصيل ونحن نذكر بعد هذا
في التفصيل ما يكشف عن مباينته ذلك ووجوه السجع
ومن جنس السجع المعتاد عندهم قول ابي طالب
لسيف بن ذي يزن انبتك منبتا طابت ارومته
وعزت جرثومته وثبت اصله وبسق فرعه ونبت
زرعه في اكرم موطن واطيب معدن وما يجري هذا
المجرى من الكلام والقران مخالف لنحو هذه الطريقه
مخالفته للشعر وسائر اصناف كلامهم الدايرين بينهم
ولا معنى لقولهم ان ذلك مشتق من ترديد صوت
الحمامه صوتها على نسق واحد وروى غير مختلف
لان ما جرى هذا المجرى لا يبنى على الاشتقاق وحده
ولو بني عليه لكان الشعر سجعا لان رويه يتفق
ولا يختلف وترد القوافي على طريقه واحدة واما
الامور التي يستريح اليها الكلام فانها تختلف فربما
كان ذلك مسمى قافية وذلك انما يكون في الشعر
وربما كان ما ينفصل عنده الكلامان مقاطع السجع
وربما سمي ذلك فواصل وفواصل القران مما هو
مختص بها لا شركة بينه وبين سائر الكلام فيها
ولا

ولا تناسب واما ما ذكروه من تقديم موسى على
هارون عليهما السلام في موضع وتاخيره عنه في
موضع لمكان السجع ولتساوي مقاطع الكلام فليس
بصحيح لان الفائده عندنا غير ما ذكروه وهي ان
اعادة ذكر القصة الواحدة بالفاظ مختلفة تودي
معنى واحدا من الامر الصعب الذي تظهر فيه
الفصاحة وتتبين فيه البلاغه واعيد كثيرا من
القصص في مواضع مختلفة على ترتيبات متفاوت
وتبتهوا بذلك على عجزهم عن الاتيان بمثله مبتدايه
ومكررا ولو كان فيهم تمكن من المعارضة لقصدوا
تلك القصه فغيروا عنها الفاظ لهم تودي تلك
المعاني وتحويها وجعلوا بازاء ما جابه وتوصلوا
بذلك الى تكذيبه والى مساواته فيما جابه كيف
وقد قال لهم فالياتوا بحديث مثله ان كانوا
صادقين فقلي هذا يكون المقصد تقديم بعض
الكلمات وتاخيرها اظهار الاعجاز على الطريقين
جميعا دون التسجيع الذي توهموه فان قال
قائل القران مختلط من اوزان كلام العرب ففيه
من جنس خطبهم ورسايلهم وسجعهم وموزون

كلامهم الذى هو غير مقفى ولكنه ابدع فيه ضربا
من الابداع لبراعته وفصاحته قيل قد علمنا ان كلامهم
ينقسم الى نظم ونثر وكلام مقفى غير موزون ونظم
موزون ليس بمقفى كالخطيب والسجع ونظم مقفى موزون
له روى ومن هذه الاقسام ما هو سجية الاغلب من
الناس فتناوله اقرب وسلوكه لا يعتذ وامنه ما هو
اصعب تناولا كالموزون عند بعضهم او الشعر عند
الاخرين وكل هذه الوجوه لا تخرج عن ان يقع لهم
باحد امرين اما بتعمل او بتطف وتعلم وتصنع
او باتفاق من الطبع وقذف من النفس على اللسان
للحاجة اليه ولو كان ذلك مما يجوز اتفاقه من الطبايع
لم ينفك العالم من قوم يتفق ذلك منهم ويتعرض
على السنتهم وتجيش به خواطرهم ولا ينصرف عند
الكل مع شدة الدواعى اليه ولو كان طريقه التعلم
لتصنعوه ولتعلموه فالمهلة لهم فسيحة والامد
واسع وقد اختلفوا فى الشعر كيف اتفق لهم
فقد قيل انه اتفق فى الاصل غير مقصود اليه على
ما يعرض من اصناف النظام فى تضاعيف الكلام
ثم لما استحسنوه واستطابوه وراوه انه تالفه

الاسماع

الاسماع وتقبله النفوس تتبعوه من بعده وتعملوه
وحكى لي بعضهم عن ابى عمرو غلام ثعلب عن
ثعلب ان العرب تعلم اولادها قول الشعر بوضع
غير معقول يوضع على بعض اوزان الشعر كانه
على وزن قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ويسمون
ذلك الوضع المتير واشتقاقه من المتر وهو الجذب
او القطع يقال مترت الحبل بمعنى قطعته ///
اوجذبته ولم يذكر هذه الحكاية عنهم غيره فيحتمل
ما قاله واما ما وقع السبق اليه فيشبه ان يكون
على ما قدمنا ذكره اولا وقد يحتمل على قول من
قال بان اللغة اصطلاح انهم تواطئوا على هذا
الوجه من النظم وقد يمكن ان يقال مثله على
المذهب الاخر وانهم وقفوا على ما ينصرف اليه
القول من وجوه التفاصح او توافقوا هم بينهم
على ذلك ويمكن ان يقال ان التواضع وقع على
اصل الباب وكذلك التوفيق ولم يقع على فنون
تصرف الخطاب وان الله اجرى على لسان بعضهم
من النظم ما اجرى وفطنوا لحسنه فتتبعوه
من بعد وبنوا عليه وطلبوه ورتبوا فيه المحاسن

التى يقع الاضطراب بوزنها وتهش النفوس اليها
وجمع دواعيهم وخواطرهم على استحسان وجوه
من ترتيبها واختيار طرق من تنزيلها وعرفهم
محاسن الكلام ودلهم على كل طريقه بجيبه ثم
اعلمهم عجزهم عن الاتيان بالقران الذى يتناهى
اليه قدرهم هو ما لم يخرج عن لغتهم ولم يشذ من
جميع كلامهم بل قد عرض فى خطابهم ووجدوا
ان هذا انما تعذر عليهم مع التحدى والتقريع الشديد
ولكاجه الماسه اليه مع علمهم بطريق وضع النظم
والنثر وتكامل احوالهم فيه دل على انه اختص به
ليكون دلالة على النبوه ومعجزة على الرسالة ولو
كان ذلك لكان القوم اذ هتدوا فى الابتداء الى وضع
هذه الوجوه التى يتصرف اليها الخطاب على براعته
وحسن انتظامه فلان يقدروا بعد التثنية على
وجهه والتحدى اليه اولى ان يبادروا اليه لو كان لهم
سبيل فلو كان الامر على ما ذكروه السائل لوجب
ان لا يتحيروا فى امرهم ولا تدخل عليهم شبهة فيما نابهم
ولكانوا يسرعون الى الجواب ويبادرون الى المعارضة
ومعلوم من حالهم ان الواحد منهم يقصد الى الامور

البعيده

البعيده عن الوهم والاسباب التى لا يحتاج اليها
فكثر فيها من شعر ورجز وخجل من يعينه على نقله
عنه على ما قدمنا ذكره من وصف الابل ونتاجها
وكثير من امرها لا فائدة فى الاشتغال به فى دين
ولا دنيا ثم كانوا يتفاخرون باللسن والزلاقة
والفصاحة والدراية ويتنافرون فيه وتجرى
بينهم فيه اسباب المنقولة فى الاثار على ما لا يخفى
على اهله فاستدللنا بتحيرهم فى امر القران على
خروجه عن عادة كلامهم ووقوعه موقعا يخرق
العادات وهذه سبيل المعجزات فبان بما قلنا
ان الحروف التى وقعت فى الفواصل متناسبه
موقع النظائر التى تقع فى الاسجاع لا يخرجها عن
حدها ولا يدخلها فى باب السجع وقد بينا انهم
يذمون كل سجع خرج عن اعتدال الاجزاء فكان
بعض مصاريعه كلمتين وبعضها تبلغ كلمات ولا
يرون فى ذلك فصاحة بل يرونه عجزا فلو راوا ان
ما تلى عليهم من القران سجعا لقالوا نحن نعارضه
بسجع معتدل فتزيد فى الفصاحة على طريقة
القران ويتجاوز حده فى البراعة والحسن ولا معنى

لقول من قدر انه ترك السجع تارة الى غيره ثم
رجع اليه لانما تحلل من الامرين يوزن بان وضع
الكلام غير ما قدروه من التسجيع لانه ولو كان
من باب السجع لكان ارفع نهايات وابعد غايات
فلا بد لمن جوز السجع فيه وسلك ما سلكوه من ان
يسلم ما ذهب اليه النظام وعباد بن سلمان وهشام
القرطى ويذهب مذهبهم فى انه ليس فى نظم القران
وتاليفه اعجاز وانه يمكن معارضته وانما صرفوا
عنه ضربا من الصرف او يتضمن كلامه تسليم
لخبط فى طريقة النظم وانه منتظم من فرق شتى
ومن انواع مختلفه ينقسم اليها خطابهم ولا يخرج
عنها ويستهين ببديع نظمه وعجيب تاليفه الذى
وقع التحدى اليه وكيف يعجزهم لخروج عن السجع
والرجوع اليه وقد علمنا عادتهم فى خطبهم وكلامهم
انهم كانوا لا يلتزمون ابدا طريقة السجع والوزن
بل كانوا يتصرفون فى انواع مختلفه فاذا ادعوا
على القران مثل ذلك لم يجدوا فاصلة بين نظمى
الكلامين فصل فى ذكر البديع من الكلام لعلها
البديع من الكلام ان سال سائل فقال هل يمكن

ان

ان يعرف اعجاز القران من جهة ما يتضمنه من البديع
قيل ذكر اهل الصنعة ومن صنف
فى هذا المعنى من صفة البديع الفاظا نحن نذكرها ثم
نبين ما سلوا عنه ليلون الكلام وارد على امرين
مقرر وباب مصور ذكروا ان من البديع فى القران
قوله عز ذكره واخفض لهما جناح الذل من الرحمة
وقوله وانه فى ام الكتاب لدينا لعلى حكيم وقوله
واشتعل الراس شيبا وقوله واية لهم الليل نسلخ
منه النهار فاذا هم مظلمون وقوله او ياتيهم عذاب
عقيم وقوله نور على نور وقد يكون البديع من الكلمات
الجامعة الحكمية كقوله ولكم فى القصاص حيات
وفى الالفاظ الفصيحة كقوله فلما استياسوا منه
خلصوا نجيا وفى الالفاظ الالهيه كقوله لعله
والله على كل شى قدير وقوله وما بكم من نعمة
فمن الله وقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
ويذكرون من البديع من قول النبى صلى الله عليه
وسلم خير الناس رجل ممسك عنان فرسه فى
سبيل الله كل سمع هنيعة طار اليها وقوله ربنا
تقبل توبتى واغسل حوبتى وقوله غلب عليكم

داء الامم قبلكم لحسد والبغضاء وهى لحالقه الدين
لاحالقة الشعر وكقوله الناس كابل مايه لاتجد
فيها راحلة وكقوله وهل يكب الناس على مناخرهم فى نار
جهنم الاحصائد السنتهم وكقوله ان مما ينبت الربيع
ما يقتل حبطا او يلم وكقول ابى بكر الصديق
رضى الله عنه فى كلام له قد نقلناه بعد هذا على
وجهه وقوله لخالد بن الوليد احرص على الموت توهب
لك الحياه وقوله فر من الشرف يتبعك الشرف
وقوله على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه فى
كتابه الى بن عباس وهو عامله على البصره ارغب
راغبهم واحلل عقدة الخوف عنهم وقوله حين سائل
عن قول النبى صلى الله عليه وسلم انما قال ذلك
والدين فى قل فاما وقد اتسع فطاق الاسلام
فكل امرئ وما اختار وسال عليها رضى الله عنه
بعض كبراء فارس عن احمد ملوكهم عندهم فقال
لانزد شير فضيلة السبق غير ان احمدهم انوشروان
قال فاى احلافه كان اغلب عليه قال الحلم والاناة
فقال على رضى الله عنه هو توام ينتجها علو الهمة
وقال قيمة كل امرئ ما يحسن وقال العلم قفل ومفتاحه

المسئله

المسئلة وكتب خالد بن الوليد الى مرازبة فارس
اما بعد فالحمد لله الذى فض خدمتكم وفرق كلمتكم
ولكدمه الخلقه المستديره ولذلك قيل للخلاخيل
خدام وقال الحجاج دلونى على رجل سمين الامانه
ولما عقدت الرياسة لعبد الله بن وهب
الراسبى على الخوارج لعلها راودوه اراودوه على
الكلام فقال لاخير فى الراى الغطيس وقال دعوا الراى
يغب وقال اعرابى فى شكر نعمة ذاك عنوان نعمة
الله عز وجل ووصف اعرابى قوما فقال اذا اصطفوا
سفرت بينهم السهام واذا تصافحوا بالسيوف
قعد لحمامه وسئل اعرابى عن رجل فقال صغرت
عياب الوادبينى وبينه بعد امتلابها واكفهرت
وجوه كانت بمائها وقال اخر من ركب ظهر الباطل
نزل دار الندامة وقيل لروية كيف خلفت ماوراك
فقال الثواب يابس والمال عابس ومن البديع
فى الشعر طرق كثيرة قد نقلنا منها جملة لتستدل
بها على ما بعدها فمن ذلك قول امرئ القيس وقد
اغتدى والطير فى وكناتها بمنجرد قيد الاوابد
هيكل قوله قيد الاوابد عندهم من البديع

ومن الاستعارة ويرونه من الالفاظ الشريفه
وعنى بذلك انه اذا ارسل هذا الفرس على الصيد
صار قيدا لها وكانت بحاله المقيد من جهة سرعة
احضاره واقتدى به الناس وابتعه الشعرا فقيل
قيد النواظر وقيد لحاظ وقيد الكلام وقيد لحديث
وقيد الرهان وقال الاسود بن يعفر بن عقيلي عتر حمير
شده قيد الاوابد والرهان جواد وقال ابو تمام لها
منظر قيد الاوابد لم يزل يروح ويغدو في خفارته
لحب وقال اخر لحاظه قيد عيون الورى فليس
طرفه يتعداه وقال اخر قيد لحسن عليه لحاقا
وذكر الاصمعي وابو عبيده وحماد وقبلهم ابو عمرو
انه احسن في هذه اللفظه وانه اتبع فيها فلم يلحق
وذكروه في باب الاستعاره البليغه وسماها بعض
اهل الصنعه باسم اخر وجعلوها من باب الارداف
وهو ان يريد الشاعر دلالة على معنى فلا يأتي باللفظ
الدال على ذلك المعنى بل بلفظ هو تابع له وردف
قالوا ومثله قوله نؤوم الضحى لم تنتطق عن
تفضل وانما اراد ترفها بقوله نؤوم الضحى ومن
هذا ومن هذا الباب قول الشاعر بعيدة مهوى

القرط اما النوفل ابوها واما عبد شمس هاشم
وانما اراد ان يصف طول جيدها فاتى بردفه ومن
ذلك قول امرئ القيس وليل كموج البحر ارخى سدوله
وذلك من الاستعاره المليحه ويجعلون من هذا القبيل
ما قدمنا ذكره من القران واشتعل الراس شيبا
واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ومما يعدونه من
البديع التشبيه لحسن كقول امرئ القيس كأن
عيون الوحش حول خبائنا وارحلنا الجزع الذى
لم يثقب وقوله كان قلوب الطير رطبا ويابسا
لدى وكرها العناب والحشف البالي واستبدعوا
تشبيه شيئين بشيئين على حسن تقسيم ويزعمون
ان احسن ما وجد في هذا للمحدثين قول بشار كان
مثار النقع فوق رؤسهم واسيافنا ليل تهاوى
كواكبه وقد سبق امرئ القيس الى صحة التقسيم
في التشبيه ولم يتمكن بشا الا من تشبيه احدى
الجملتين بالاخرى دون صحة التقسيم والتفصيل
وكذلك عدوا من البديع قول امرئ القيس في اذني
الفرس وسامعتان يعرف العتق فيهما كسامعتي
مذعوره وسط ربرب وابتعه طرفة فقال فيه

وسامعتان يعرف العتق فيهما كسامعى شاة
بحومل مفرد ومثله قول امرئ القيس فى وصف
الفرس وعينان كالماوتين ومجرى السند مثل
الصفيح المنصب وقال طرفه فى وصف عينى ناقته
وعينان كالماوتين اسكنتا بكهفى حجاجى صخرة
قلت مورد ومن البديع فى التشبيه قول امرئ القيس
له ايطلا ظبي وساق انعامه وارخاء سرحان
وتقريب تتفل وذلك فى تشبيه اربعة اشيا باربعة
اشياء احسن فيها ومن التشبيه الحسن فى القران
قوله تعالى وله الجوار المنشأت فى البحر كالاعلام
وقوله تعالى كانهن بيض مكنون ومواضع نذكرها
بعد هذا ومن البديع فى الاستعاره قول امرئ القيس
وليل كموج البحر ارخى سدوله على بانواع الهموم ليبتلى
فقلت له لما تمطى بجوزه واردف اعجازا ونا بكلكل
وهذه كلها استعارات اتى بها فى ذكر طول الليل
ومن ذلك قول النابغه وصدر اراح الليل عازب
همه تضاعف فيه الحزن من كل جانب فاستعاره
من اراحت الراعى ابله الى مواضعها التى تاوى
اليها بالليل واخذ منه ابن الدمينه فقال

اقضى

اقضى نهارى بالحديث وبالمنى ويجمعنى والهم والليل
جامع ومن ذلك قول زهير
صحى القلب عن ليلى واقصر باطله وعرى افراسى الصبا وراحله
ومن ذلك قول امرئ القيس
سموت اليها بعد ما نام اهلها سموحباب الماحالا على حال
واخذه ابو تمام فقال سموعباب الماجاشت غوارب
وانما اراد امرئ القيس اخفاء شخصه ومن ذلك
قولك كانى واصحابى على قرن اعقرا يريد انهم غير
مطمئنين ومن ذلك ماكتب الى الحسن بن عبد الله
ابن سعيد قال اخبرنى ابى قال اخبرنا عسل بن
ذكوان اخبرنا ابو عثمان المازنى قال سمعت الاصمعى
يقول اجمع اصحابنا انه لم يقل احسن ولا اجمع
من قول النابغه فانك كالليل الذى هو مدركى
وان خلت انى المتنأى عنك واسع قال الحسن بن
عبد الله واخبرنا محمد بن يحيى اخبرنا عون بن
محمد الكندى اخبرنا قعنب بن محرز قال سمعت
الاصمعى يقول سمعت ابا عمرو يقول كان زهير
يمدح السوق ولو ضرب على اسفل قدميه
ما يتاد قل صى على ان يقول كقول النابغه

فانك كالليل الذى هو مدركى وان خلت ان المنتاى
عنك واسع لما قال يريد ان سلطانه كالليل يصل
الى كل مكان واتبعه الفرزدق فقال ولو حلتنى
الريح ثم طلقتنى لكنت كيشئ ادركتنى مقاديره فلم
يات بالمعنى ولا اللفظ على ما سبق اليه النابغه ،،
ثم اخذه الاخطل فقال وان امير المومنين وفعله ،،
لكا الدهر لا عار بما فعل الدهر ونحو هذا عن النبى
صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب وجعل رزقى
تحت ظل رمحى وليد خلن هذا الدين على ما دخل عليه
الليل واخذه على بن ابى طالب فقال

وما لامرئ حاولته عنك مهرب ولو كان فى جو فى السما المطالع
بلى هارب لا يهتدى لمكان ظلام ولا ضوء من الصبح طالع

ومثله قول سلم لخاسر

فانت كالدهر مبثوثا حبايله والدهر لا ملجأ منه ولا هرب
ولو ملكت عنان الريح اصرفه فى كل ناحية ما فاتك الطلب

فاخذه البحترى فقال

ولو انهم ركبوا الكوكب لم يكن ينجيهم عن خوف باسمك محرب

ومن بديع الاستعاره قول زهير فلما وردن
الما رزقا حمامة وضعن عصى لحاصر المتخيم

وكقول

وكقول الاعشى وان عتاق العيس سوف يذوركم
ثنا على اعجازهن معلق ومنه اخذ نصيب فقال
فعاجوا فاثنوا بالذى انت اهله ولو سكتوا اثنت
عليك لكقايب ومن ذلك قول تابط شرا فخالط
سهل له ارض لم يكدح الصفا به كدحه والموت
خزيان ينتظر ومن الاستعاره فى القران كثير قوله
وانه لذكر لك ولقومك يريد ما يكون الذكر عنه
شرفا وقوله صبغة الله ومن احسن من الله ،،
صبغة قيل دين الله اراد وقوله اشتروا الضلالة
بالهدى فما ربحت تجارتهم ومن البديع عندهم الغلو
كقول النمر بن تولب
ابقى لحوادث وله ايام من تمر اسناد سيف قديم اشره باد
تظل تخر عنه ان ضربت به بعد الدراعين والقدين والهادى

وكقول النابغه

تقد السلوقى المضاعف نسجه ويوقدن بالصفاح نار الحباحب

وكقول عنتره

فازورن من وقع القنا بلبانه وشكى الى بعيره وتحمحم

وكقول ابى تمام

لو يعلم الركن من قد جا يلثمه لخر يلثم منه وطى القدم

وكقول البحترى

ولوان مشتاقا يكلف فوق ما فى وسعه لمشى اليك المنبر

ومن هذا الجنس فى القران يوم نقول لجهنم هل امتلات

وتقول هل من مزيد وقوله اذا رات من مكان

بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وقوله تكاد تميز من

الغيظ ومما يعدونه من البديع المماثله وهو ضرب

من الاستعاره وذلك ان يقصد الاشارة الى معنى

فيضع الفاظا تدل عليه وذلك المعنى بالفاظه مثال

للمعنى الذى قصد له اشاره اليه نظيره من المنثور

ان يزيد بن المهلب بلغه ان مروان بن محمد يتلكاء

عن بيعته فكتب اليه اما بعد فانى اراك تقدم

رجلا وتوخر اخرى فاعتمد على ايتهما شئت وكخو

ماكتب به الحجاج الى المهلب فان انت فعلت داك

والا اشرعت اليك الرمح فاجابه المهلب فان اشرع

له امير الرمح قلبت اليه ظهر البحر

وكقول زهير

ومن يعص اطراف الزجاج فانه يطيع العوالى ركبت كل لهذم

وكقول امرئ القيس

وما ذرفت عيناك الا لتضربى بسهميك فى اعشار قلب مقتل

وكقول

وكقول عمرو بن معد كرب

فلو ان قومى انطقتنى رماحهم نطقت ولكن الرماح اجرت

وكقول القائد

بنى عمنا لا تذكروا الشعر بعدما دفنتم بصحراء الغمير القوافيا

وكقول الاخر

اقول وقد شدوا لسانى بنسعه امعشر يتم اطلقوا عن لسانيا

ومن هذا الباب فى القران كقوله فما اصبرهم على النار

وكقوله وثيابك فطهر قال الاصمعى اراد البدن

قال وتقول العرب فدى لك ثوباى يريد نفسه

وانشد الا ابلغ ابا حفص رسولا

فدى لك من اخى ثقه ازارى ويرون من البديع ايضا

ما يسمونه المطابقه واكثرهم على ان معناها ان يذكر

الشئ وضده كالليل والنهار والسواد والبياض

واليه ذهب الخليل بن احمد والاصمعى ومن المتاخرين

عبد الله بن المعتز وذكر بن المعتز من نظايره

من المنثور ما قاله بعضهم اتيناك لنسلك بنا سبيل

التوسع فادخلتنا فى ضيق الضمان ونظيره من

القران ولكم فى القصاص حياة وقوله يخرج الحى

من الميت ويخرج الميت من الحى وقوله يولج الليل

في النهار ويوج النهار في الليل ومثله كثير جدا ،،
وكقول النبي صلى الله عليه وسلم للانصار انكم تكثرون
عند الفزع وتقولون عند الطمع **وقال اخرون**
المطابقه ان تشترك معنيان بلفظه واحده واليه
ذهب قدامه بن جعفر الكاتب فمن ذلك **قول الاقوه**
الاودى واقطع الهوجل مستانسا بهوجل مستانس
عنتريس عنى بالهوجل الاول الارض وبالثاني
الناقه ومثله قول **زياد الاعجم** ونبئتهم يستنظرون
بكاهل واللوم فيهم كاهل وسنام **ومثله قول ابى**
داوود عهدت لها منزلا داثرا والاء على المايحلن
الافالاول الاول اعمده لخيام تنصب على البير ،،
للسقى والال الثانى السراب وليس عنده قول من قال
المطابقه انما تكون باجتماع الشى وضده بشر ومن
المعنى الاول **قول الشاعر** اهين لهم نفسى لاكرامها
بهم ولن تكرم النفس التى لا تهينها **ومثله قول**
امرئ القيس وتردى على عاصم صلاب ملاطس
شديدات عقد لينات متان **وكقول النابغه**
ولا يحسبون الخير لا شر بعده ولا يحسبون الشر
ضربة لازب وكقول زهير وقد جمع فيه **طباقين**

بترجمه

بعزمه مأمور مطيع وامر مطاع فلا يلقى تخزمهم مثل
وكقول الفرزدق والشيب ينهض فى الشباب كانه
ليل يصيح بجانبيه نهار ومما قيل فيه ثلاث تطبيقات
قول جرير وباسط خير فيكم بيمينه وقابض شر
عنكم بشماليا **وكقول رجل من بلعنبر** يجوزون من
ظلم اهل الظلم مغفرة ومن اساة اهل السوا حسانا
وروى ان لحسن بن على رضى الله عنهما **تمثل بقول**
القائل
فلا الجود يفنى المال والجد مقبل ولا البخل يبقى المال والجد مدبر
وكقول الاخر
فسرى كاعلانى وتلك بحيتى وظلمة ليلى مثل ضوء نهاريا
وكقول قيس بن الخطيم
اذا انت لم تنفع فضر فانما يرجى الفتى كيما يضر وينفعها
وكقول السموءل
وما ضرنا انا قليل وجارنا عزيز وجار الاكثرين ذليل
فهذا يرونه من البديع **وباب اخر وهو التجنيس**
ومعنى ذلك ان تاتى بكلمتين متجانستين فمنه
ما تكون الكلمه تجانس الاخرى فى تاليف حروفها
واليه ذهب الخليل ومنهم من زعم ان التجانسه

ان تشترك اللفظتان على جهة الاشتقاق كقوله
عزوجل فاقم وجهك للدين القيم وكقوله واسلمت
مع سليمان وكقوله يا اسفا على يوسف وكقوله
الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن
وكقوله وهم ينهون عنه وينأون عنه وكقول النبى
صلى الله عليه وسلم اسلم سالمها الله وغفار
غفر الله لها وعصية عصت الله ورسوله وكقوله
الظلم ظلمات يوم القيامة وكقوله لا يكون ذو الوجهين
وجيها عند الله وكتب بعض الكتاب العذر مع
التعذر واجب فرايك فيه وقال معاوية لابن عباس
مالكم يا بنى هاشم تصابون فى ابصاركم فقال
كما تصابون فى بصايركم وقال عمر بن الخطاب
رضى الله عنه هاجروا ولا تهجروا ومن ذلك
قول قيس بن عاصم [illegible]
ونحن حمزنا الكوفران بطعنه ٭ كسته بخيعا من دم الجوف اشكالا
وقول اخر امل عليها يا بلى الملوان وقال الاخر
وذاكم ان ذل الجار حالفكم وان انفكم لا تعرف
الانفا وكتب الى بعض مشايخنا قال انشد
الاخفش عن المبرد عن الثورى
وقالوا

وقالوا حمامات فخم لقاؤها وطلح قنربرت والمطلى طلوح
عقاب اعقاب من الناى بعدما جرت تيه تنسى الحب طروح
وقال اصحابى هدهد فوق بانه هدى وبيان بالنجاح يلوح
وقالوا دم دامت مواثيق عهده ودام لنا حسن الصفا صريح
وقال اخر اقبلن من مصر يبارين البرا وقال
القطامى ولما ردها فى الشول شالت بذيال
يكون لها لعاما وقد يكون التجنيس زياده حرف
او ما يقارب ذلك كقول البحترى
هل لما فات من تلاف تلاف امر لشاك من الصبابة شاف
وقال بن مقبل يشين هيل النقا مالت جوانبه
والثرى حين وقال زهير
هم يضربون حبيبك البيض اذ كفوا ٭ لا يتكلمون اذا ما استلحموا وحموا
ومن ذلك قول ابى تمام
يمدون من ايد عواص عواصم ٭ تصول باسياف قواض قواضب
وابو نواس يقصد فى مصراعى مقدامات شعره
هذا الباب كقوله الا دارها بالماء حتى تلينها فلن تكرم
الصهباء حتى تلينها وكذلك قوله
ديار نوار ما ديار نوار كسوتك شجوا هن منه عوار
وكقول بن المعتز

ساثنى على عهد المطيره والقصر ٥ وادعوالها بالساكنين وبالقطر

وكقوله ايضا

هى الدار الا انهم سفهم قفر واني بها ثاو وانهم سفر

وكقول ايضا

للامانى حديث يقر ويسوء الدهر من قد يسر

وكقول المتنبى

وقد رانى الشباب الروح فى بدنى وقد رانى المشيب الروح فى بدلى وقد قيل ان من هذا القبيل قوله عز وجل خلق الانسان من عجل ساريكم ايانى فلا تستعجلون وقوله قل الله اعبد مخلصا له دينى فاعبدوا ما شيئم من دونه ويعدون من البديع المقابله وهى ان يوفق بين معان ونظايرها والمضاد بضده وذلك مثل قول النابغه الجعدى

فتى تم فيه ما يسر صديقه ٥ على ان فيه ما يسوء الاعاديا

وقال تابط شرا اهزية فى ندوة الحي عطفه كما هز عطف الهجان الاوراك وكقول الاخر

واذا حديث سائى لم اكتب ٥ واذا حديث سرنى لم اسر

وكقول الاخر

وذى اخوه قطعت اقران بينهم ٥ كما تركونى واحدا لا اخا ليا

ونظيره

ونظيره من القرآن ثم اذا امسكم الضر فاليه تجارون ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشكرون ٥ ويعدون من البديع الموازنه وذلك قول بعضهم اصبر على حر للقا سليم الشطا عجل الشوا شيخ النسا ونظيره من القران والسما ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود ويعدون من البديع المساواه وهى ان يكون اللفظ مساويا للمعنى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه وذلك يعد من البلاغة وذلك كقول زهير

ومهما تكن عند امرى من خليقة ٥ وان خالها تخفى على الناس تعلم

وكقول جرير

فلو شاء قوى كان جلى فيهم ٥ وكان على اعداءجها لهم جهلى

وكقول الاخر

اذا انت لم تقصر على الجهل والخنا ٥ اصبت حليما او اصابك جاهل

وكقول الهذلى

فلا تجزعن من سنة انت سرتها ٥ واول راض سيرة من يسيرها

وكقول اخر

فان هم طاوعوك فطاوعيهم ٥ وان عاصوك فاعصى من عصاك

ونظير ذلك فى القران كثيرا ومما يعدون من البديع

الاشارة وهو اشتمال اللفظ القليل على المعانى الكثيره
وقال بعضهم فى وصف البلاغة لمحة دالة ومن ذلك
قول طرفه

فظل لنا يوم لذيذ بنعمة ٥ فقل فى مقيل خسه متغيب

وكقول زيد لخيل

تخيبة من يخيب على غنى ٥ وباهلة بن اعصر والرباب

وتظيره من القران ولوان قرانا سيرت به لجبال
اوقطعت به الارض اوكلم به الموتى ومواضع كثيره
ويعدون من البديع المبالغه والغلو والمبالغه تاكيد
معانى القول وذلك كقول الشاعر

ونكرم جارنا ما كان فينا ٥ ونتبعه الكرامة حيث مالا

ومن ذلك قول الاخر

وهم تركوك اسلح من خباری ٥ رات صقرا واشرد من نعام

فقوله رات صقرا مبالغة ومن الغلو

قول ابى نواس

توهمتها فى كاسها فكانما ٥ توهمت شيأ ليس يدركه العقل

فما يزال التكييف فيها الى مدى ٥ يجد به الاومن قبله قبل

وكقول زهير

لوكان يقعد فوق الشمس من كرم ٥ قوما باولهما اومجدهم قعدوا

وكقول

وكقول النابغه

بلغت السما مجدنا وسناناه ٥ وانا لنرجوا فوق ذلك مظهرا

وكقول الخنسا

وما بلغت كف امرئ متناول ٥ بها المجد الاحيث ما نلت اطول

وما بلغ المهدون فى القول مدحة ٥ وان اطنبوا الا الذى فيك افضل

وكقول الاخر

له همم لامنتهى لكبارها وهمته ٥ الصغرى اجل من الدهر

له راحة لو ان معشار جودها ٥ على البر صار البر اندى من البحر

ويريدون من البديع الاغراق فى الشعر خاصة فلا يطلب
مثله فى القران الا فى الفواصل

كقول امرئ القيس

كان عيون الوحش حول خبائنا ٥ وارحلنا الجزع الذى لم يثقب

وقد اوغل بالقافيه فى الوصف واكد التشبيه لها
والمعنى قد يستقيل دونها ومن البديع عندهم التوشيح
وهو ان يشهد اول البيت بقافيته واول الكلام باخره

كقول البحترى

فليس الذى حللته بمحلل ٥ وليس الذى حرمته بحرام

ومثله فى القران فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان
الله يتوب عليه ومن ذلك رد عجز الكلام على صدره

كقول الله عز وجل انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض
وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا وكقوله ،،
لاتفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب
من افترى ومن هذا الباب قول القائل وان لم يكن
الا تغلغل ساعة قليلا فاني نافع لي قليلها

وقول جرير

سقى الرمل جون مستهل غمامه ○ واما ذاك الاحب من حل بالرمل

وكقول الاخر

يود الغنى طول السلامة والفتى ○ فكيف يرى طول السلامة يفعل

وكقول ابى صخر الهذلى

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها ○ فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

وكقول الاخر

اصد بايدى العيس عن قصد ارضها ○ وقلبي اليها بالمودة قاصد

وكقول عمرو بن معدى كرب اذا لم تستطع شيأ
فدعه وجاوزه الى ما يستطيع ومن البديع صحة
التقسيم ومن ذلك قول نصيب فقال فريق القوم
لام فريقهم نعم وفريق قال ويحك ما يدرى
وليس في اقسام الجواب اكثر من هذا

وكقول الاخر

،،،
فكانما

فكانما فيه نهار ساطع ○ وكانه ليل عليها مظلم

وقول المقنع الكندى

وان يا كلوا لحم وفرت لحومهم ○ وان يهدموا مجدى بنيت لهم مجدا
وان يضيعوا غيبتي حفظت غيبهم ○ وان هم هووا غيا هويت لهم رشدا
واذ زجروا طيرا بخير يمر بي ○ زجرت لهم طيرا تمر بهم سعدا

وكقول عروة بن حزام

بمن لو راه غايبا لغذيته ○ من ولو اني غايبا لغداني

ونحوه قول الله عز وجل الله ولي الذين امنوا يخرجهم
من الظلمات الى النور والذين كفروا اوليا وهم ،،
الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ،،
ونحوه صحة التقسيم

كقول القائل

ولي فرس للحلم بالحلم مسرج ○ فرس للجهل بالجهل مسرج

ومن البديع التكميل والتتميم

كقول نافع بن خليفة

رجال اذا لم يقبلوا الحق منهم ○ ويعطوه عادوا بالسيوف القواطع

وانما تمم جودة المعنى بقوله ويعطوه وذلك كقول
الله عز وجل ان الله عنده علم الساعة الى اخر
الاية ثم قال ان الله عليم خبير ومن البديع الترصيع

وذلك من الوان منها قول امرئ القيس

مخش مخش مقبل مدبر معا ٥ كجلمود صخر حطه السيل من عل

ومن ذلك كثير من مقدمات ابي نواس

∴ يا منة امتنها الشكر ٥ ما يتقضى منى لها الشكر ∴

وكقوله وقد ذكرناه قبل هذا ديار نوار ما ديار

نوار كسونك شجوا هن منه عوار ومن ذلك الترصيع

مع التجنيس كقول ابن المعتز المرتجز على الربع

المحيل واطلال واثار محول ونظيره من القران كقوله

ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا

فاذا هم مبصرون واخوانهم يمدونهم في الغي

ثم لا يقصرون وقوله ما انت بنعمة ربك بمجنون

وان لك لاجرا غير ممنون وكقوله وانه على ذلك

لشهيد وانه لحب الخير لشديد وكقوله والطور

وكتاب مسطور وقوله والسابحات سبحا فالسابقات

سبقا وقد ولع الشعراء بنحو هذا فاكثروا فيه

ومنهم من اقتنع بالتصريع في بعض اطراف الكلام

ومنهم من بنى كلامه عليه

كقول الرومي

∴ ابدانهن ومالبسن من الحرير معاجر ∴

∴ اردانهن وما مسسن من العبير معاجر ∴

وكقوله فراهب الايرب امانه ولراغب الايريث نحاحه

ومما يقارب التصريع ضرب يسمى المضارعه وذلك

كقول الخنساء حامى الحقيقة محمود الخليقة مهدى

الطريقة نفاع وضرار جواب قاصية جرار ناصية

عقاد الوية للخيل جراد ومن البديع باب التكافو وذلك

قريب من المطابقه كقول المنصور لا تخرجوا من عز

الطاعة الى ذل المعصية وقول عمر بن ذر ان لم

تجدك اذ عصيت الله قينا خيرا من ان تطيع الله

فيك ومنه قول بشار اذا يقظتك حروب العدا فنبه

لها عمرا ثم نم ومن البديع باب التعطف كقول

امرئ القيس عود على عود على عود خلق وقدم

مثاله ومن البديع السلب والايجاب كقول القائل

وننكر ان شيئا على الناس قولهم ولا ينكرون

القول حين نقول ومن البديع الكنايه والتعريض

كقول القائل

واحمر كالديباج اما سماؤه ٥ فريا واما ارضه فمحول

ومن هذا الباب لحن القول ومن ذلك العكس

والتبديل كقول لحسن ان من خوفك لنا من خيس

من امتك لتخاف وكقوله اللهم اغننى بالفقر اليك
ولا تفقرنى بالاستغناء عنك وقوله بع دنياك باخرتك
تربحهما جميعا ولا تبع اخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا
وكقول القائل واذا الدرزان حسن وجوه كان للدر
حسن وجهك زينا وقد يدخل فى هذا الباب قوله تعالى
يولج الليل فى النار ويولج النهار فى الليل ومن البديع له
التفات فمن ذلك ماكتب الى الحسن بن عبد الله ″
العسكرى اخبرنا محمد بن عبد الله الصولى حدثنى
يحيى بن على المنجم عن ابيه عن اسحاق بن ابراهيم قال
قال لى الاصمعى رضى الله عنه اتعرف التفاتات
جرير قلت لا فماهى قال
اتنسى اذ تودعنا سليمى ٥ بفرع بشامه سقى البشام
ومثل ذلك لجرير
متى كان الخيام بذى طلوح ٥ سقيت الغيث ايتها الخيام
ومعنى الالتفات انه اعترض فى الكلام قوله سقيت
الغيث ولو لم يعترض لم يكن ذلك التفاتا وكان
الكلام منتظما وكان يقول متى كان الخيام بذى طلوح
ايتها الخيام فمتى خرج عن الكلام له اول ثم رجع اليه
على وجه يلطف كان ذلك التفاتا ومثله قول النابغه

لجعدى

لجعدى الا زعمت بنو اسعد انى الاكذب اكبير السن
فانى ومثله قول كثير لوان الباذلين وانت منهم
رأوك تعلموا منك المطالا ومثله قول ابى تمام ″
واجدتم من بعد التهام داركم فيا دمع اجدنى على ساكنى نجد
وكقول جرير طروب لحمام بذى الاراك فشاقنى
لازلت فى غلل وايك ناضر التفت الى الحمام ″
بذى الاراك فدعالها ومثله قول حسان
ان التى ناولتنى فرددتها ٥ قتلت قتلت فهابنا لم تقتل
ومنه قول عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن ″
جعفر ٥ واجمل اذا ماكنت لابد مانعا ٥ وقد يمنع الشى
الفتى وهو مجمل ٥ وكقول بن ميادة فلا صرمة يبدوا
وفى اليأس راحة ٥ ولا وصله يصفو لنا فنكارمه ونظير
ذلك من القران ماحكى الله تعالى عن ابراهيم الخليل من
قوله اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون
انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا الى
قوله فما كان جواب قومه وقوله عز وجل ان يشا
يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز
وبرزوا لله جميعا ومثله قوله واتل عليهم نبا الذى
اتيناه ايانتا فانسلخ منها الى قوله فمثله كمثل الكلب

ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ومثله قوله والسارق
والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من
الله والله عزيز حكيم فمن تاب من بعد ظلمه ومنهم
من لا يعد الاعتراض والرجوع من هذا الباب ومنه
من يفرده عنه كقول زهير

قف بالديار التي لم يعفها القدم ٥ بلى وغيرها الاواح والديم

وكقول الاعرابي

اليس قليلا نظرة ان نظرتها ٥ اليك وكلا ليس منك قليل

وكقول بن هرمة

ليت خطى كالحاظ العين مزها ٥ وكثير منها القليل المهنا

ومن الرجوع قول القائل

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا ٥ على ان قرب الدار خير من البعد

وقال الاعشى

صرمت ولم اصرمكم وكصارم اخ قد طوى كشحا واب ليذهبا

وكقول بشار

لي حيلة فيمن ينم وليس في الكذاب حيلة
من كان يكذب ما يقول فحيلتي فيه قليلة

وقال الاخر وما بي انتصار ان غدا الدهر ظالمي علي
بل ان كان من عندك النصر وباب اخر من البديع

يسمى

يسمى التذييل وهو ضرب من التاكيد وهو ضد
ما قدمنا ذكره من الاشاره

كقول ابي داوود

اذا ما عقدنا له ذمة ٥ شددنا العتاج وعقد الكرب

واخذه لحطيه فقال

فدعوا نزال فكنت اول نازل ٥ وعلام اركبه اذا لم انزل

وكقول جرير

لقد كنت فيها يا فرزدق تابعا ٥ وريش الدتابى تابع للقوادم

ومثله قوله عز وجل ان فرعون علا في الارض وجعل
اهلها شيعا الى قوله انه كان من المفسدين ونريد ان
نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمه ونجعلهم
الوارثين الى قوله كانوا خاطئين وباب من البديع
يسمى الاستطراد فمن ذلك ما كتب الى الحسن بن عبد
الله قال انشدني ابو بكر بن دريد قال انشدنا
ابو حاتم عن ابي عبيده لحسان بن ثابت رضي الله عنه
ان كنت كاذبة التي حدثتني ٥ فنجوت منجا الحارث بن هاشم
ترك الاحبة لم يقاتل دونهم ٥ ونجا برأس طمرة ولجام

وكقول السموءل

وانا لقوم لا نرى القتل سبة ٥ اذا ما رأته عامر وسلول

وكقول الاخر

خليلى من كعب اعينا اخاكما ٥ على دهره ان الكريم معين
ولا تخلياه نجل ان قرعنه ٥ انه مخافة ان يزجى براه حزين

وكقول الاخر

فما ذر قرن الشمس حتى كاننا ٥ من الغى يحكى احمد بن هاشم

وكقول زهير

ان البخيل ملوم حيث كان ٥ ولكن الجواد على علاته هرم

وفيما كتب الى الحسن بن عبد الله قال اخبرنى محمد بن
يحيى حدثنى محمد بن على الانبارى قال سمعت البحترى
يقول انشدنى ابو تمام لنفسه

وسايح فتطل الاعداء هتان ٥ على الجرامين غير خوان
اظمأ الغصوص ولم تظمأ قوائمه ٥ فحل عينك فى زيان ظمان
ولو تراه شيحا ولحصى فلوق ٥ بين السنابك من شتى ووحدان
ايقنت ان لم تثبت انحافره ٥ من صخر تدمر او من وجه عثمان

وقال ما هذا الشعر قلت لا ادرى قال هذا المستطرد
وقال الاستطراد قلت وما معنى ذلك قال يرى انه
يصف الفرس ويريد هجاء عثمان فقال وقال البحترى
ما ان يعاف قذى ولو اوردته يوم خلا ئوحمد وبه
الاحول قال فقيل للبحترى انك اخذت هذا من ابى
تمام

تمام فقال ما يعاب على ان اخذ منه واتبعه فيما
يقول ومن هذا الباب

قول ابى تمام

صب الفراق علينا صب من كثب ٥ عليه اسحو يوم الروع منتقما

ومنه قول السرى الرفا

ترع الوشاة لنا بسهم قطيعه ٥ يرمى بسهم لحين من رمى به
ليت الزمان اصاب حب ٥ قلوبهم بقنا بن عبد الله او بحرابه

ونظيره من القران اولم يروا الى ما خلق الله من شى
يتفوؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون
ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من دابة
والملائكة وهم لا يستكبرون كانه كان المراد ان يجرى
بالقول له اول الى الاخبار عن ان كل شى يسجد لله
عز وجل وان كان ابتدا الكلام فى امر خاص ومن
البديع عندهم التكرار كقول الشاعر هلا سلت جموع
كنده يوم ولوا اين اينا وكقول الاخر وكانت قرارة
تصلى بنا : فاولى قراره اولى لها : ونظيره من القران
كثير كقوله فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا
وكالتكرار فى قوله قل يا ايها الكافرون وهذا فيه
معنى زائد على التكرار لانه يفيد الاخبار عن الغيب

ومن البديع عندهم ضرب من الاستثنا كقول النابغه
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ٥ بهن فلول من قراع الكايب
وكقول النابغه الجعدى
فتى كملت اخلاقه غير انه ٥ جواد فلا يبقى من المال باقيا
فتى تم فيه ما يسر صديقه ٥ على ان فيه ما يسوء الاعاديا
وكقول الاخر
حليم اذا ما الحلم زين اهله ٥ مع الحلم فى عين العدو مهيب
وكقول ابى تمام
تنصل ربها من غير جرم اليه سوى النصيحه والوداد
ووجوه البديع كثيرة جدا فاقتصرنا على ذكر بعضها
ونبهنا بذلك على ما لم نذكر كراهة التطويل فليس
الغرض ذكر جميع ابواب البديع وقد قدر مقدرون
انه يمكن استفادة اعجاز القران من هذه الابواب
التى قلناها وان ذلك مما يمكن الاستدلال به عليه
وليس كذلك عندنا لان هذه الوجوه اذا وقع
التنبيه عليها امكن التوصل اليها بالتدرب
والتصنع لها وذلك كالشعر الذى اذا عرف
الانسان طريقه صحة منها التعمل له وامكنه
نظمه والوجوه التى نقول ان اعجاز القران
بمكن

يمكن ان يعلم منها فليس مما يقدر البشر على التصنع
له والتوصل اليه بحال وبين ما قلنا ان كثيرا من
المحدثين قد تصنع لابواب الصنعة حتى حشى
جميع شعره منها واجتهد الا يفوته بيت الا وهو
يحلوه من الصنعة كما صنع ابو تمام فى كلمته
متى انت عن ذهلية لحى ذاهل ٥ وصدرك منها مدة الدهر هاجل
تظل الطول الدمع فى كل موقف ٥ وتمثل بالصبر الديار الدوائل
دوارس لم يخف الربيع ربوعها ٥ ولا مر فى اغفالها وهو غافل
فقد سحبت فيها السحاب ذيولها ٥ وقد اخملت بالنور تلك الخمايل
تغيض من ذار العفاة اذا انتحى ٥ على لحى صرف الازمة المتماحل
لهم سلف سمراء العوالى وسامروه ٥ فيهم جمال لا يغيض وجامل
ليالى اضلت الغرا وخذلت ٥ بغفلك ارام الحدور الغفايل
من الهيف لو ان الخلاخيل صيرت ٥ لها وشحا حالت عليه الخلاخل
هى الوحش الا ان هاتا اوانس قنا الخط الا ان تلك ذوابل
هوى كان خلسا ان من اطيب الهوى هوى جلت فى افيائه وهو خامل
ومن الادباء من عاب عليه هذه الابيات ونحوها
على ما قد تكلف فيها من البديع وتعمل من الصنعة
فقال قد اذهب ما هذا الشعر ورونقه وفائدته
اشتغالا بطلب التطبيق وسائر ما جمع فيه وقد

تصعب عليه احمد بن عبيد الله بن عمار واسرف
حتى تجاوز الى الغض من مجاسنه ولما قد اولع به
من الصنعة وربما عطى على بصره حتى يبدع فى القبح
وهو يريد ان يبدع فى الحسن
كقوله فى قصيدة له اولها
سرت تستجير الدمع خوف نوى ٥ غدو وعاد قتادا عندها كل مرقد
فقال فيها
لعمرى لقد حورت يوم لقيته ٥ لوان القضى وحده لم يبرد
وكقوله
لولم تدارك مسن المجد مذ زمن بالجود والباس
كان المجد قد خرفا فهذا من الاستعارات القبيحة
والبديع المقيت
كقوله تسعون الفا كاساد الشرى نضجت
اعمارهم قبل نضج التين والعنب وكقوله
لولم يمت بين اطراف الرماح اذا ٥ لمات اذلم يمت من شده لحزن
وكقوله حشنت عليه اخت بنى حشين وكقوله
الا يمد الدهر كفا بسيئ الى مجتدى نصر فتقطع
من الرتد وكقوله فى وصف المطايا لوكان كلفها
عبيد حاجة يوم الزنى شدقما وجديلا وكقوله

فضربت

فضربت الشتا فى اخدعيه ضربة غادرته عودا
ركوبا فهذا وما اشبهه انما يحدث من غلوه فى محبة
الصنعة حتى يعميه عن وجه الصواب وربما اسرف
فى المطابق والمجانس ووجوه البديع من له استعاره
وغيرها حتى استثقل نظمه واستوخم رصعه
وكان التكلف باردا والتصرف جامدا وربما اتفق
مع ذلك فى كلامه النادر المليح كما يتفق البادر القبيح
فاما البحترى فانه لا يرى فى التجنيس ما يراه ابو تمام
ويقل التصنع له فاذا وقع فى كلامه كان فى الاكثر
حسنا رشيقا وظريفا جميلا وتصنعه للمطابقه كثير
حسن ونعمته فى وجوه الصنعه على وجه طلب السلامه
والرغبه فى السلاسه فلذلك يخرج سليما من العيب
فى الاكثر واما وقوف الالفاظ به عن تمام لحسن
وقعود العبارات عن الغاية القصوى فشئ لا بد
منه وامر لا محيص عنه كيف وقد وقف على من هو
اجل منه واعظم قدرا فى هذه الصنعة واكبر فى
الطبقة كامرئ القيس وزهير والنابغه والى يومه
ونحن نبين تميز كلامهم وانحطاط درجة قولهم
ونزول طبقه نظمهم عن بديع نظم القران فى باب

مفرد يتصور به ذو الصنعة مايجب تصوره ويتحقق
وجه الاعجاز فيه بمشيئة الله وعونه ثم رجع الكلام
بنا الى ما قدمناه من انه لاسبيل الى معرفة اعجاز
القران من البديع الذى ادعوه فى الشعر ووصفوه
فيه وذلك ان هذا الفن ليس فيه مايخرق العادة
ويخرج عن العرف بل يمكن استدراكه بالتعلم والتدرب
به والتصنع له كقول الشعر ورصف الخطب وصناعة
الرسالة والحذق فى البلاغه وله طريق يسلك ووجه
يقصد وسلم يرتقى فيه اليه ومثال قد يقع طالبه
عليه فرب انسان يتعوذ ان ينظم جميع كلامه
شعرا ويتعوذ ان يكون جميع خطابه سجعا او صنعة
متصلة لايسقط من كلامه حرف وقد يباده
ما قد تعوده وانت ترى ادبا زماننا يضيفون
المحاسن فى جزء وكذلك يوالفون يقولون انواع
البارع ثم ينظرون فيه اذا ارادوا انشا قصيده
او رسالة او خطبه فيحشون به كلامهم ومن كان
قد تدرب وتقدم فى حفظ ذلك اشتغل عن هذا
التصنيف ولم يحج الى تكلف هذا التاليف وكان
ما اشرف عليه من هذا الشان باسطا من باع

كلامه

كلامه وهو شحابا نواع البديع مايحاوله من قوله
وهذا صريح لايتعذر وباب لايمتنع وكل ياخذ فيه
ماخذا ويقف فيه موقفا على قدر ما معه من المعرفه
وبحسب مايمده من الطبع فاما شا ونظم القران
فليس له مثال يحتذى اليه ولا امام يقتدى به
ولايصح وقوع مثله اتفاقا كما يتفق للشاعر البيت
النادر والكلمه الشارده والمعنى الغريب والشى
القليل العجيب وكما يحلق من كلامه بالوحشيات
ويضاف من قوله الى الا وابد لان ماجرى هذا
المجرى وقع هذا الموقع فانما يتفق للشاعر فى لمع
من شعره وللكاتب فى قليل من رسايله وللخطيب
فى من خطبه ولو كان كل شعره نادرا ومثلا سائرا
ومعنى بديعا ولفظا رشيقا وكل كلامه محلوا من
رونقه ومائه ومملا ببهجته وحسن روايه ولم
يقع فيه المتوسط من الكلامين والمتردد بين
الطرفين ولا البارد المستثقل والعث المستنكر
لم يبن له اعجاز فى الكلام ولم يبن التفاوت العجيب
بين النظام والنظام وهذه جمله تحتاج الى تفصيل
ومنهم قد يحتاج فى بعضه الى تفصيل وسنذكر ذلك

بمشيئة الله وعونه ولكن قد يمكن ان يقال فى
البديع الذى حكيناه واصتفاه اليهم ان ذلك باب
من ابواب البراعة وجنس من اجناس البلاغة
وانه لاينفك القران من فن من فنون بلاغتهم
ولا وجه من وجوه فصاحاتهم واذا اورد هذا المورد
ووضع هذا الموضع كان جديرا وانما لم نطلق القول
اطلاقا لانا لا نجعل الاعجاز متعلقا بهذه الوجوه
الخاصه ووقفا عليها ومضافا اليها وان صح ان تكون
هذه الوجوه مؤثره فى الجملة اخذه بحظها من لحسن
والبهجة متى وقعت فى الكلام على غير وجه التكلف
المستشنع والتعمل المستشنع **فصل فى كيفيه**
الوقوف على اعجاز القران قد بينا انه لا يتهيا لمن كان
لسانه غير العربيه من العجم والترك وغيرهم ان
يعرفوا اعجاز القران الا ان يعلموا ان العرب قد
عجزوا عن ذلك فاذا عرفوا هذا بان علموا انهم
قد تحدوا على ان ياتوا بمثله وقرعوا عن ترك الاتيان
بمثله ولم ياتوا به تبينوا انهم عاجزون عنه
واذا عجز اهل ذلك اللسان فهم عنه اعجز
وكذلك نقول ان من كان من اهل اللسان العربى

الا انه ليس يبلغ فى الفصاحة لحد تيناهى الى معرفة
اساليب الكلام ووجوه تصرف اللغة وما يعدونه
فصيحا بليغا بارعا من غيره فهو كالاعجمى فى انه
لا يمكنه ان يعرف اعجاز القران الا بمثل ما بينا انه
يعرف به الفارسى الذى بدانا بذكره وهو من
ليس من اهل اللسان سواء فاما من كان قد
تناهى فى معرفة اللسان العربى ووقف على طرقها
ومذاهبها فهو يعرف القدر الذى ينتهى اليه وسع
المتكلم من الفصاحة ويعرف ما يخرج عن الوسع
ويتجاوز حدود القدرة فليس يخفى عليه اعجاز
القران كما يتميز بين جنس الخطب والرسائل
والشعر الجيد والردى والفصيح والبديع والنادر
والبارع والغريب وهذا كما يميز اهل كل صناعة
صنعتهم فيعرف الصيرفى من النقد ما يخفى على غيره
وان كان يبقى مع معرفة هذا الشان امر اخر
وربما اختلفوا فيه لان من اهل الصنعه من يختار
الكلام المتين والقول الرصين ومنهم من يختار
الكلام الذى يروق ماؤه وتروع بهجته ورواه
ويسلس ماخذه ويسلم وجهه ومنفذه ويكون

القريب المتناول غير عويص اللفظ ولا غامض
المعنى كما يختار قوم ما يغمض معناه ويغرب لفظه
ولا يختار ما سهل على اللسان وسبق الى البيان وروى
عمر بن الخطاب رضى الله عنه وصف زهير فقال كان
لا يمدح الرجل الا بما فيه وقال لعبد بنى الحسحاسى
حين انشده كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا اما
انه لو قلت مثل هذا الا جزتك عليه وروى ان جريرا
سئل عن احسن الشعر فقال قوله ان الشقى الذى
فى النار منزله والفوز فوز الذى ينجوا من النار كانه
فضله اصدق معناه ومنهم من يختار الغلو فى قول
الشعر والافراط حتى ربما قالوا احسن الشعر كذبه
كقول النابغة

يقد السلوقى المضاعف نسجه ٭ ويوقدن بالصفاح نار الحباحب

واكثرهم على مدح المتوسط بين المذهبين فى الغلو
والاقتصاد وفى المتانة والسلاسة ومنهم من راى
ان احسن الشعر ما كان اكثر صنعة والطف تعملا
وان تخير الالفاظ الرشيقة للمعانى البديعه والقوافى
الواقعه كمذهب البحترى وعلى وصفه عن بعض الكتاب

فى

فى نظام من البلاغة ماشك امروا نه نظام فريد
وبديع كانه الزهر الضاحك فى رونق الربيع الجديد
حزن مستعمل الكلام اختيارا وتجنبن ظلمه التعقيد
وركبن اللفظ القريب فادركن به غاية المراد البعيد
ويرون ان من تعدى هذا كان سالكا مسلكا عاصيا
ولم يره شاعرا ولا مصيبا وفيما كنت الى الحسن بن
عبد الله ابو احمد العسكرى قال اخبرنى محمد بن يحيى
قال اخبرنى عبد الله بن الحسن قال قال لى البحترى
دعانى على بن الجهم فمضيت اليه فافضنا فى اشعار
المحدثين الى ذكرنا شعرا شجع فقال لى انه يخلى واعادها
مرات ولم افهمها وانفت ان اسئله عن معناها
فلما انصرفت افكرت فى الكلمه ونظرت فى شعره
فاذا هو ربما مرت له الابيات مغسولة ليس فيها
بيت رايع واذا هو يريد هذا بعينه ان يعمل الابيات
فلا يصب فيها ببيت نادر كما ان الرامى اذا رمى
برشقه فلا يصب بشى قيل فداخلى قال وكان
على بن الجهم احسن الناس علما بالشعر وقوم
من اهل اللغة يميلون الى الرصين من الكلام الذى
يجمع الغريب والمعانى مثل ابى عمرو بن العلاء

وخلف الاحمر والاصمعى ومنهم من يختار الوحشى
من الشعر كما اختار المفضل للمنصور من الفضليات
وقيل انه اختار ذلك لميله الى ذلك الفن وذكر لحسن
ابن عبد الله بن عبد الله بن طاهر وقد سال البحترى
عن ابى نواس ومسلم بن الوليد ايهما اشعر فقال
البحترى ابو نواس اشعر فقال عبيد الله ان انا العباس
ثعلبا لا يطابقك على قولك ويفضل مسلما فقال البحترى
ليس هذا من عمل ثعلب وذويه من المتعاطين لعلم
الشعر دون علمه انما يعلم ذلك من وقع فى مسلك
الشعر الى مضايقه وانتهى الى ضروراته فقال
له عبيد الله وريت بك زنادى يا ابا عبادة وقد
وافق حكمك حكم اخيك بشار بن برد فى جرير
والفرزدق ايهما اشعر فقال جريرا اشعرهما فقيل
له بماذا فقال لان جريرا يشتد اذا شأ وليس كذلك
الفرزدق لانه ابدا فقيل له وان يونس وابى عبيده
يفضلان الفرزدق على جرير فقال ليس هذا من
عمل اولئك القوم انما يعرف الشعر من يقطره الى
ان يقول مثله وفى الشعر ضروب لم يحسنها
الفرزدق ولقد ماتت النوار امراته فناح عليها

يقول

يقول جرير

لولا الحياء لعادنى استعبار ٥ ولزرت قبرك والحبيب يزار

وروى عن ابى عبيده انه قال للفرزدق مالك لا تنسب
كما ينسب جرير فغاب حولا

ثم جاء فانشد

يا اخت نلجية بن سامه ٥ انى اخشى عليك بنى نظبوا
دمى والاعدل فى الاختيار ما سلكه ابو تمام من الجنس
الذى جمعه فى كتاب الحماسه وما اختاره من
الوحشيات وذلك انه تنكر المستنكر الوحشى
والمبتذل العامى واتى بالواسطة وهذه طريقه من
ينصف فى الاختيار ولا يعدل به غرض يخص لان
الذين اختاروا الغريب فانما اختاروه لغرض لهم
فى تفسير ما يشتبه على غيرهم واظهار التقدم فى معرفته
وعجز غيرهم عنه ولم يكن قصد جيد له اشعار لشى
يرجع اليها فى انفسها ويؤيد هذا ان الكلام موضوع
للابانه عن الاعراض التى فى النفوس واذا كان
كذلك وجب ان يتخير من اللفظ ما كان اقرب
الى الدلالة على المراد واوضح فى الابانه عن المعنى
المطلوب ولم يكن مستنكره المطلع لى له اذن ومستنكر

المورد على النفس حتى يتابى بغرابته في اللفظ عن له
افهاما ويمتنع تغويص معنا الا بانه ويجب ان
يتنكب ما كان عليه اللفظ مبتذل العباره ركيك
المعنى سفسافا في الموضع بجلب التاسيس على غير اصل
ممهد ولا طريق موطلد وانما فضلت العربية
على غيرها لاعتدالها في الوضع ولذلك وضع اصلها
على ان اكثرها بالحروف المعتدله فقد اهملوا الالفاظ
المستكرهة في نظمها واسقطوها من كلامهم
لسانهم على الاعدل ولذلك صار اكثر كلامهم من
الثلاثي لانهم بدوا بحرف وسكتوا على اخر وجعلوا
حرفا وصلة بين لحرفين ليتم له ابتداء والانتهاء
على ذلك والثنائي اقل وكذلك الرباعي والخماسي
اقل ولو كان كله ثنائيا لتكررت لحروف ولو كان
كله رباعيا او خماسيا لكثرت الكلمات وكذلك بنى
امر لحروف التي ابتداء بها السور على هذا فاكثر
هذه السور التي ابتديت بذكر لحروف ذكر فيها
ثلاثة احرف وما هو اربعة احرف سورتان
وما ابتدى بخمسة احرف سورتان فاما ما بدئ
بحرف واحد فقد اختلفوا فيه فمنهم من لم يجعل

ذلك

ذلك حرفا وانما جعله فعلا واسما لشي خاص ومن
جعل ذلك حرفا قال اراد ان يحقق لحروف مفردها
ومنظومها ولضيق ما سوى كلام العرب او لخروجه
عن الاعتدال يتكرر في بعض الالسنه الحرف الواحد
في الكلمة الواحده والكلمات المختلفه كثيرا كنحو
تكرر الطا والسين في لسان يونان وكنحو لحروف
الكثيره هي اسم لشي واحد في لسان الترك وكذلك
لا يمكن ان ينظم من الشعر في تلك الالسنه على
الاعاريض التي تمكن في اللغة العربيه والعربية
اشدها تمكنا واشرقها تصرفا واعدلها وكذلك
جعلت حلية لنظم القران وعلق بها الاعجاز وصارت
دلالة في النبوة واذا كان الكلام انما يفيد الابانه
عن الاغراض القايمة في النفوس التي لا يمكن التوصل
اليها بانفسها وهي محتاجه الى ما يعبر عنها فما كان
اقرب في تصويرها واظهر في كشفها للفهم الغايب
عنها وكان مع ذلك احكم في الابانه عن المراد واشد
تحقيقا في الانضاح عن المطلب واعجب في وضعه
وارشق في تصرفه وابرع في نظمه كان اولى واحق
بان يكون شريفا وقد شبهوا النطق بالخط

والخط يحتاج مع بيانه الى رشاقة وصحة ولطف
حتى يجوز الفضيله ويجمع الكلام وشبه الخط
والنطق بالتصوير وقد اجمعوا ان من احذق
المصورين من صور لك الباكى المتضاحك والباكى
الحزين والضاحك المتباكى والضاحك المستبشر
وكما انه يحتاج الى لطف يد فى تصوير هذه له امثلة
وكذلك يحتاج الى لطف فى اللسان والطبع فى تصوير
ما فى النفس للغير وفى جملة الكلام الى ما تقصر
عبارته وتفضل معانيه وفيه ما تقصر المعانى
وتفضل العبارات وفيه ما يقع كل واحد منهما وقفا
للاخر ثم ينقسم ما يقع وقفا الى انه قد يقيدها على
تفصيل وكل واحد منهما وقد ينقسم الى ما يفيدها
على ان يكون كل واحد منهما بديعًا شريفًا وغريبًا
لطيفًا وقد يكون كل واحد منهما مستحليًا متكلفًا
ومصنوعًا متعسفًا وقد يكون كل واحد منهما
حسنًا رشيقًا وبهيجًا نظيرًا وقد يتفق احدله
امرين دون له اخر وقد يتفق ان يسلم الكلام والمعنى
من غير رشاقة ولا نضارة فى واحد منهما وانما يميز
من يميز ويعرف من يعرف والحكم فى ذلك صعب

شديد

شديد والفضل فيه شاو بعيد وقد قل من يميز
اصناف الكلام فقد حكى عن طبقة ابى عبيدة وخلف
الاحمر وغيرهم فى زمانهم انهم قالوا ذهب من يعرف
نقد الشعر وقد بينا قبل هذا اختلاف القوم فى الاختيار
وما يجب ان يجمعوا عليه ويرجعوا عند التحقق اليه وكلام
المقتدر نمط وكلام الموسع باب وكلام المطبوع له
طريق وكلام المتكلف له منهاج والكلام المصنوع
المطبوع له باب وستى تقدم له انسان فى هذه
الصنعة لم تخف عليه هذه الوجوه ولم يشتبه عنده
هذه الطرق فهو يميز قدر كل واحد متكلم بكلامه
وقدر كل كلام فى نفسه ويحله محله ويعتقد فيه
ما هو عليه ويحكم فيه بما يستحق من الحكم وان كان
المتكلم يجود فى شى دون شى عرف ذلك منه وان
كان يعم احسانه عرف الا ترى ان منهم من يجود
فى المدح دون الهجو ومنهم من يجود فى الهجو وحده
ومنهم من يجود فى المدح والسخف ومنهم من يجود
فى الاوصاف والعالم لا يشذ عنه مراتب هولاء
ولا يذهب عليه اقدارهم حتى اذا عرف طريقة
شاعر فى قصايد معدودة فانشد غيرها من

شعره لم يشك ان ذلك من نسجه ولم يرتب
فى انه من نظمه كما انه اذا عرف خط رجل لم يشتبه
عليه خطه حيث راه من بين لخطوط المختلفة
وحتى يميز بين رسائل كاتب وبين رسائل غيره
وكذلك امر لخطب فان اشتبه عليه البعض فهو
لاشتباه الطريقين وتماثل الصورتين كما قد
يشتبه شعر ابى تمام بشعر البحترى فى القليل الذى
يترك ابو تمام فيه التصنع ويقصد فيه التسهل
ويسلك الطريقه الكتابيه ويتوجه فى تعريب
الالفاظ وترك تغويص المعانى ويتفق له مثل بهجه
اشعار البحترى والفاظه ولايخفى على احد يميز
هذه الصنعة سبك ابى نواس ولا نسج بن
الرومى من نسج البحترى وينبهه ديباجة شعر
البحترى وكثرة مائه وبديع رونقه وبهجة كلامه
الا فيما يسترسل فيه فيشتبه بشعر بن الرومى
ويحركه شعر ابى نواس من الحلاوة والرقة والرشاقة
والسلاسه حتى يفرق بينه وبين شعر مسلم وكذلك
يميز بين شعر الاعشى فى التصرف وبين شعر
امرئ القيس وبين شعر النابغه وزهير وبين

شعر جرير والاخطل والبعيث والفرزدق وكل
له سبخ معروف وطريق مالوف ولايخفى عليه فى زماننا
الفصل بين رسائل عبد الحميد وطبقته وبين
طبقه من بعده حتى انه لا يشتبه عليه ما بين رسائل
ابن العميد وبين رسائل اهل عصره ومن بعده
ممن برع فى صنعة الرسايل وتقدم فى شاوها
حتى جمع فيها بين طرق المتقدمين وطريقه المتاخرين
حتى خلص لنفسه طريقه وانشا لنفسه منهاجا
فسلك تاره طريقه لحاظ وتارة صريقة السجع
وتارة طريقه الاصل وبرع فى ذلك باقتداره وتقدم
بحذقه ولكنه لايخفى مع ذلك على اهل الصنعة
طريقه من طريق غيره وان كان قد يشتبه ويرق
القليل وتغمض الاطراف وتشد التواحى وقد
يتقارب سبك نفر من شعر عصر وتتدانى رسائل
كتاب دهر حتى تشتبه اشتباها شديدا او تتماثل
تماثلا قريبا فيغمض الفضل وقد يتشاكل الفرع
والاصل وذلك فيما لايتعذر دراك امده ولا
يتصعب طلاب شاوه ولايتمنع بلوغ غايته
والوصول الى نهايته لان الذى يتفق من الفضل

بين اهل الزمان اذا تفاضلوا وتفاوتوا في مضمار
فضل قريب وامر يسير وكذلك لا يخفى عليهم معرفة
سارق الالفاظ وسارق المعاني ولا من يخترعها ولا من
يلم بها ولا من يجاهر بالاخذ ممن يكاتم به ولا ممن يخترع
الكلام اختراعا ويبتدهه ابتداها ممن يروى فيه
ويجيل الفكر في تنقيحه ويصبر عليه حتى يتخلص
له ما يريد وحتى يتكرر نظره فيه قال ابو عبيده
سمعت ابا عمرو يقول زهير ولحطيئه واشباههما
عبيد الشعر لانقحوه ولم يذهبوا فيه مذهب
المطبوعين وكان زهير يسمى كبر شعره لحوليات
المنقحه

وقال عدى بن الرقاع

وقصيده قد بت اجمع بينها ٥ حتى اقوم ميلها وسنادها
نظر المثقف في كعوب قناته ٥ حتى يقيم ثقافه منادها

وكقول سويد بن كراع

ابيت بابواب القوافي كانما ٥ اصادى بها سربا من الوحش نزعا

ومنهم من يعرف بالبديهة وحده لخاطر ونفاذ الطبع
وسرعة النظم يرتجل القول ارتجالا ويطبعه عنوا
صفوا فلا يقعد به عن قوم قد تعبوا وكدوا انفسهم
و

وجاهدوا خواطرهم وكذلك لا يخفى عليهم الكلام
العلوى واللفظ الملوكى كما لا يخفى عليهم الكلام العامى
واللفظ السوقى ثم تراهم ينزلون الكلام تنزيله
ويعطونه كيف تصرف حقوقه ويعرفون مراتبه
فلا يخفى عليهم ما يختص به كل فاضل تقدم في وجه
من وجوه النظم من الوجه الذى لا يشاركه فيه
غيره ولا يساهمه سواه الا تراهم وصفوا زهيرا بانه
امدحهم واشدهم اسر شعر قاله ابو عبيده وروى
ان الفرزدق انتحل بيتا من شعر جرير وقال هذا
يشبه شعرى فكان هو لا يخفى عليهم ما قد نسباه
اليهم من المعرفة بهذا الشان وهذا كما يعلم
البزازون هذا الديباج عمل بتستر وهذا لم يعمل
بتستر وان هذا من صنعة فلان دون فلان ومن
نسج فلان دون فلان حتى لا يخفى عليه وان كان
قد يخفى على غيره ثم انهم يعلمون ايضا من له
سمت بنفسه ورفت براسه ومن يقتدى
في الالفاظ وفى المعانى او فيهما بغير ويجعل سواه
قدوة له ومن يلم في الاحول بمذهب غيره ويطووا
في الاحيان وهذه امور ممهدة عند العلماء واسباب

معروفة عند الادباء وكما يقولون ان البحترى
يغير على ابى تمام اغارة ويأخذ منه صريحا واشارة
ويستانس بالاخذ منه بخلاف مايستانس بالاخذ
من غيره ويألف اتباعه كما لايألف اتباع سواه
وكما كان ابو تمام يلم بابى نواس ومسلم وكما يعلم
ان بعض الشعراء يأخذ من كل احد ولايحاشى ويؤلف
مايقوله من فرق شى واما الذى نفع المتنبى بجوده
الاخذ وانكاره معرفة الطآيين واهل الصنعة
يدلون على كل حرف اخذه منهما جهارا اولم يها فيه
سرارا واما مالم يأخذ عن الغير ولكن سلك النمط
وراعى البهج فهم يعرفونه ويقولون هذا اشبه
به من التمرة بالتمرة واقرب اليه من الماء الماء
وليس بينهما الا كما بين الليله والليلة فاذا تباينا
وذهب احدهما فى غير مذهب صاحبه وسلك
فى غير جانبه قيل بينهما مابين السما والارض
ومابين النجم والنون ومابين المشرق والمغرب
وانما اطلت عليك ووضعت جميعه بين يديك
لتعلم ان اهل الصنعة يعرفون دقيق هذا الشان
وجليله وغامضه وجليه وقريبه وبعيده

ومعوجه

ومستقيمه فكيف يخفى عليهم الجنس
الذى هو بين الناس متداول وهو قريب متناول
من امر يخرج عن اجناس كلامهم ويبعد عما هو
فى عرفهم ويفوت مواقع قدرهم واذا اشتبه
ذلك فانما يشتبه على ناقص فى الصنعة او قاصر
عن معرفة طرق الكلام الذى يتصرفون فيه ويديرونه
بينهم ولايتجاوزونه فلكلامهم سبل مضبوطة
وطرق معروفه محصورة وهذا كما يشتبه على من
يدعى التشعر من اهل زماننا والعلم بهذا الشان
فيدعى انه اشعر من البحترى ويتوهم انه ارق مسلكا
من ابى نواس واحسن طريقا من مسلم ولئن تعلم
انهما متباعدان وتتحقق انهما لايجتمعان ولعل
احدهما انما يلحظ عبارة صاحبه ويطالع ضياء
نجمه ويراعى حفوف جناحه وهو ركض فى موضعه
ولانصير البحترى ظنه ولايلحقه بشاوه وهمه
فان اشتبه على متأدب او متشاعر وناشى
او مريد فصاحة القرآن وموقع بلاغته وعجيب
براعته فما عليك منه انما يخبر عن نقصه ويدل
على عجزه ويبين عن جهله ويصرح بسخافة فهمه

وركاكة عقله وانما قدمنا ما قدمناه في هذا
الفصل لتعرف ان ما ادعيناه من معرفة البليغ
بعلو شأن القران وعجيب نظمه وبديع تأليفه
امر لا يجوز غيره ولا يحتمل سواه ولا يشتبه على
ذى بصيره ولا يخيل عند اخى معرفة كما يعرف
الفضل بين طباع الشعراء من اهل الجاهليه وبين
المخضرمين وبين المحدثين ويميز بين من يجرى
على شاكلة طبعه وعزيزة نفسه وبين من يشتغل
بالتكلف والتصنع وبين من يصير التكلف له
كالمطبوع وبين من كان مطبوعه كالمتعمل المصنع
هيهات هيهات هذا امر وان دق فله قوم يقبلونه
علما واهل يحيطون به فهما ويعرفونه اليك ان
شئت ويصورونه لديك ان اردت ويجيلون
على خواطرك ان احببت ويعرضونه لفطنتك
ان حاولت وقد قال القائل للحرب والضرب
اقوام لها خلقوا وللدواوين كتاب وحساب ولكل
عمل رجال ولكل صنعة ناس وفي كل فرقة
الجاهل والعالم والمتوسط ولكن قد قل من
يميز في هذا الفن خاصة وذهب من يحصل في

هذا

هذا الشان الا قليلا فان كنت ممن هو بالصفة
التي وصفنا من التناهي في معرفة الفاحات والتحقيق
بمجاري البلاغات فانما يكفيك التامل ويغنيك
التصور وان كنت في الصنعة مريدا وفي المعرفة
بها متوسطا فلا بد لك من التقليد ولا غنى بك عن
التسليم ان الناقص في هذه الصنعة كالخارج عنها
والشادي فيها كالبايين منها فان اراد ان يقرب
عليه امرا ويفسح له طريقا ويفتح له بابا ليعرف
به اعجاز القران فانما تصح بين يديه الامثله
وتعرض عليه الاساليب وتصور له صور كل قبيل
من النظم والنثر وتخضر له من كل فن من القول
شيا يتامله حق تامله ويراعيه حق مراعيته
فيستدل استدلال العالم ويستدرك استدراك
الناقد ويقع له الفرق بين الكلام الصادر عن
الربوبيه الطالع عن الالهيه الجامع بين الحكم
والحكم وله اخبار عن الغيوب والغايبات والمتضمن
لمصالح الدنيا والدين والمستوعب لجلية اليقين
والمعاني المخترعه في تاسيس اصل الشريعة
وفروعها بالالفاظ الشريفه على تفننها وتصرفها

ونعمد الى شئ من الشعر لجمع عليه فنبين وجه
النقص فيه ونذل على انحطاط رتبته ووقوع
ابواب الخلل فيه حتى اذا تامل ذلك وتامل ما تذكره
من تفصيل اعجاز القران وفصاحته ومجيب
براعته انكشف له واتضح وثبت ما وصفناه
لديه ووضح وليعرف حدود البلاغه ومواقع
البيان والبراعة ووجه التقدم فى الفصاحة
وذكر الجاحظ فى كتاب البيان والتبيين ان الفارسى
سئل فقيل له ما البلاغة فقال معرفة الفصل
من الوصل وسئل اليونانى عنها فقال تصحيح الاقسام
واختيار الكلام وسئل الرومى عنها فقال حسن
الاقتضاب عند البداهة والغزاوة يوم الاطالة
وسئل الهندى عنها فقال وضوح الدلالة وانتهاز
الفرصة وحسن الاشارة وقال مرة التماس
حسن الموقع والمعرفة بساحات القول وقله
الخرق بما التبس من المعانى او غمض وشرد من
اللفظ وتعذر وزينته ان تكون الشمايل موزونه
والالفاظ معدلة واللهجة نقيه والايكلم سيد الامة
بكلام الامة ويكون فى قواد فضل التصرف فى كل

طبقه

طبقه ولا يدقق المعانى كل التدقيق ولا ينقح الالفاظ
التنقيح ويصفيها كل التصفيه ويهذبها بغاية
التهذيب واما البراعة فقيما يذكر اهل اللغة لحذق
بطريقه الكلام وتجويده وقد يوصف بذلك
كل متقدم فى قول او صناعة واما الفصاحة
فقد اختلفوا فيها منهم من عبر عن معناها بانه
ما كان من جزل اللفظ حسن المعنى وقد قيل
معناها الاقتدار على الابانة عن المعانى الكامنة
فى النفوس على عبارات جليه ومعان نقيه بهيه
والذى يصور عندك ما ضمنا تصويره ويحصل
عندك معرفته اذا كنت فى صنعه الادب
متوسطا وفى علم العربيه متبينا ان تنظر اولا
فى نظم القران ثم فى شئ من كلام النبى صلى الله
عليه وسلم فتعرف الفضل بين النظمين والفرق
بين الكلامين فان تبين لك الفاضلة ووقعت
على جليه الامر وحقيقه الفرق فقد ادركت
الغرض وصادفت المقصد فان لم تفهم الفرق
ولم تقع على الفضل فلا بد لك من التقليد وعلمت
انك من جمله العامة وان سبيلك سبيل من هو

خارج من اهل اللسان حطبه للنبى صلى الله عليه
وسلم روى طلحة بن عبيد الله قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يخطب على منبره يقول
الا ايها الناس توبوا الى ربكم قبل ان تموتوا وبادروا
الاعمال الصالحة قبل ان تشغلوا وصلوا الذى
بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له وكثرة الصدقه
فى السر والعلانيه ترزقوا وتوجروا وتنصروا
واعلموا ان الله عز وجل قد افترض عليكم الجمعة
فى مقامى هذا فى عامى هذا فى شهرى هذا الى يوم
القيامة حياتى ومن مولى ممن تركها وله اما م
فلا جمع الله شمله ولا بارك له فى امره الا ولا حج له
الا ولا صوم له الا ولا صدقة له الا ولا بر له الا
ولا يؤم اعرابى مهاجر الا ويؤم قاجر موصنا الا
ان يقهره سلطان يخاف سيفه اوسوطه خطبه
له صلى الله عليه وسلم ايها الناس ان لكم معالم
فانتهوا الى معالمكم وان لكم نهايه فانتهوا الى نهايتكم
ان المومن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدرى
ما الله صانع فيه وبين اجل قد بقى لا يدرى
ما الله تعالى قاض عليه فيه فاليا خذ العبد لنفسه
من

من نفسه ومن دنياه لاخرته ومن الشبيبة
قبل الكبرى ومن الحيات قبل الموت والذى نفس
محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد
الدنيا دار الا الجنة والنار خطبه له صلى الله
عليه وسلم ان الحمد لله احمده واستعينه
ونعوذ بالله من شرور انفسنا وسيأت اعمالنا من
يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ان
احسن الحديث كتاب الله قد افلح من زينه
الله فى قلبه وادخله فى الاسلام بعد الكفر
واختاره على ما سواه من احاديث الناس انه
احسن الحديث وابلغه احبوا من احب الله
واحبوا الله من كل قلوبكم ولا تملوا كلام الله
وذكره ولا تقسوا عليه قلوبكم اعبد والله
ولا تشركوا به شيأ اتقوا الله حق تقاته وصدقوا
صالح ما تعملون بافواهكم وتحابوا بروح الله
بينكم والسلام عليكم ورحمة الله خطبه له فى
ايام التشريق قال بعد حمد الله ايها الناس
هل تدرون فى اى شهر انتم وفى اى يوم انتم

وفي اي بلد انتم قالوا في يوم حرام و شهر حرام
وبلد حرام قال الا فان دماكم واموالكم واعراضكم
عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في
بلدكم هذا الى يوم تلقونه ثم قال اسمعوا مني
تعيشوا الا لا تظالموا ثلاثا الا انه لا مال يحل
امرئ مسلم الا بطيب نفس منه الا ان كل دم
ومال وماثرة كانت في الجاهلية تحت قدمي
هذه الا وان اول دم وضع دم ربيعة بن الحارث
ابن عبد المطلب كان مسترضعا في بني ليث
فقتلته هذيل الا وان كل ربا كان في الجاهلية
موضوع الا وان الله تعالى قضى اول ربا يوضع
رباعمي العباس لكم رؤس اموالكم لا تظلمون ولا
تظلمون الا وان الزمان قد استدار كهيئته يوم
خلق الله السموات والارض منها اربعة حرم
ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم الا
لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب
بعض الا وان الشياطين قد يئس ان يعبدوه
المصلون ولكن في التحريش بينكم اتقوا الله
في النساء فانهن عندكم عوان لا يملكن لانفسهن

شيأ وان لهن عليكم حقا ولكم عليهن حق لا يوطئن
فرشكم احد غيركم فان خفتم نشوزهن فعظوهن
واهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربا غير
مبرح ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف فانما
اخذتموهن بامانة الله تعالى واستللتم فروجهن
بكلمة الله الا ومن كانت عنده امانة فليؤدها
الى من ايتمنه عليها ثم بسط يده فقال الا هل
بلغت الا هل بلغت ليبلغ الشاهد الغايب فرب
مبلغ ابلغ من سامع خطبه يوم فتح مكة وقف
على باب الكعبه ثم قال لا اله الا الله وحده لا
شريك له صدق الله وعده ونصر عبده وهزم
الاحزاب وحده الا كل ماثرة او دم او مال يدعى
فهو تحت قدمي هاتين الا سانة البيت وسقاية
الحاج الا وقتيل الخطاء العمد بالسوط والعصا
فيه الدية مغلظة منها اربعون خلفة في بطونها
اولادها يا معاشر قريش ان الله قد اذهب عنكم
نخوة الجاهلية وتعظمها بالاباء الناس من ادم
وادم خلق من تراب ثم تلا هذه الاية يا ايها الناس
انا خلقناكم من ذكر وانثى الاية يا معاشر قريش

اويا اهل مكة ما ترون انى فاعل بكم قالوا خيرا اخ
كريم وابن اخ قال فاذهبوا فانتم الطلقاء وروى
زيد بن ثابت ان النبى صلى الله عليه وسلم خطب
بالخيف من منى خطبه بالخيف نضر الله عبدا سمع
مقالتى فوعاها ثم اداها الى من لم يسمعها فرب
حامل فقه لا فقه له ورب حامل فقه الى من هو
افقه منه ثلاث لا يغل عليهن قلب المومن اخلاص
العمل لله والنصيحه لاولى الامر ولزوم لجماعة
ان دعوتهم تكون من وائه ومن كان همه
الاخرة جمع الله شمله وجعل غناه فى قلبه واتته
الدنيا وهى راغمة ومن كان همة الدنيا فرق الله امره
وجعل فقره بين عينيه ولم ياته من الدنيا الا ما
كتب له خطبه له صلى الله عليه وسلم رواها
ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه خطب بعد العصر
فقال الا ان الدنيا خضرة حلوة الا وان الله
مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا
واتقوا النساء الا يمسفن رجلا مخافة الناس
ان يقول لحق اذا علمه قال ولم يزل يخطب
حتى لم تبق من الشمس الا حمرة على اطراف

السعف

السعف فقال انه لم يبق من الدنيا فيما مضى
الا كما بقى من يومكم هذا فيما مضى كتاب النبى
صلى الله عليه وسلم الى ملك فارس من محمد
رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على
من اتبع الهدى وامن بالله ورسوله وشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا
عبده ورسوله وادعوك بدعاء الله فانى انا رسول
الله الى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحق
القول على الكافرين فاسلم تسلم كتاب له
النجاشى من محمد رسول الله الى النجاشى ملك
الحبشه سلم انت فانى احمد اليك الله الملك
القدوس السلام المومن المهيمن واشهد ان عيسى
ابن مريم روح الله وكلمته القاها الى مريم البتول
الطيبه فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخه
كما خلق ادم من طين بطيبه بيده ونفخه وانى
ادعوك الى الله وحده لا شريك له والمولاه على
مطاعته وان تتبعنى وتومن بالذى جانى وانى
ادعوك وجنودك الى الله تعالى فقد بلغت
ونصحت فاقبلوا نصحى والسلام على من اتبع

الهدى نسخه عهد الصلح مع قريش عام الحديبيه

هذا ما صلح عليه محمد بن عبد الله صلى الله عليه
وسلم سهيل بن عمرو واصطلحا على وضع الحرب
عن الناس عشر بن سنه يامن فيه الناس ويكف فيه
بعضهم عن بعض على انه من اتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بغير اذن وليه رده عليهم ومن
جا قريشا ممن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يردوه عليه وان بيننا عيبة مكفوفة وانه لا
اسلال ولا اغلال وانه من احب ان يدخل فى
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقده
دخل فيه ومن احب ان يدخل فى عهد قريش
وعهدهم دخل فيه وانك ترجع عنا عامك هذا
فلا تدخل علينا مكة واذا كان عاما قابلا خرجنا
عنك فدخلتها باصحابك فاقمت بها ثلاثا وان
معك سلاح الراكب والسيوف فى الراكب فلا
تدخلها بغير هذا ولا اطول عليك واقتصر على
ما القيته اليك فان كان لك فى الصحفة حظ
او كان لك فى هذا المعنى حس او كنت تضرب
فى الادب بسهم او فى العربيه بقسط وان قل

ذلك

ذلك السهم او نقص ذلك النصيب فما احسب
انه يشتبه عليك الفرق بين براعة القران وبين
ما تسخناه لك من كلام الرسول صلى الله عليه
وسلم فى خطبه ورسايله وما عساك تسمعه
من كلامه ويتساقط اليك من الفاظه واقدر
انك ترى بين الكلامين بونا بعيدا وامدا مديدا
وميدانا واسعا ومكانا شاسعا فان قلت لعله
ان يكون تعمل للقران وتصنع لنظمه وشبه
عليك الشيطان ذلك من خبثه فعتبت فى نفسك
وارجع الى عقلك واجمع لبك وتيقن ان الخطب
يحتشد لها فى المواقف العظام والمحافل الكبار
والمواسم الضخام ولا يتجوز فيها ولا يستهان
بها والرسايل الى الملوك مما يجمع لها الكاتب
جراميزه ويشمر لها عن جد واجتهاد فكيف
يقع بها الاخلال وكيف يعترض للتفريط فستعلم
لا محاله ان نظم القران من الامر الالاهى وان
كلام النبى صلى الله عليه وسلم من الامر النبوى
فاذا اردت زيادة فى التبين وتقدما فى التعرف
واشرافا على الجليه وفوزا بمحكم القضيه فتامل

هداك الله ما ننسخه لك من خطب الصحابة ،،
والبلغاء لتعلم ان نسجها ونسج ما نقلنا من خطب
النبى صلى الله عليه وسلم واحد وسبكها ،،
سبك غير مختلف وانما يقع بين كلامه وكلام
غيره مايقع من التفاوت بين كلام الفصيحين
وبين شعر الشاعرين وذلك امر له مقدار معروف
وحد ينتهى اليه مضبوط فاذا عرفت ان جميع
كلام الادمى منهاج وجملته طريق وتبينت ما يمكن
فيه من التفاوت نظرت الى نظم القران نظرة ،،
اخرى وتاملته مرة ثانيه فتراعى بعد موقعه وعالى
محله وموضعه وحكمت براجب من اليقين وثلج ،،
الصدر باصل الدين خطبه لابى بكر الصديق
رضى الله عنه قام خطيبا فحمد الله واثنى عليه
ثم قال اما بعد فانى وليت امركم ولست بخيركم
ولكن نزل القران وسن النبى صلى الله عليه وسلم
وعلمنا فعلمت واعلموا ان الكيس اتقى وان احمق
الحمق الفجور وان اقواكم عندى الضعيف حتى
اخذ له بحقه وان اضعفكم عندى القوى حتى
اخذ منه لحق ايها الناس انما انا متبع ولست
بمبتدع

بمبتدع فان احسنت فاعينونى عهد لابى بكر ،،
الصديق رضى الله عنه لبسم الله الرحمن الرحيم
هذا ما عهد ابو بكر خليفه رسول الله صلى الله عليه
وسلم اخر عهده بالدنيا واول عهده بالاخرة ساعة
يؤمن فيها الكافر ويتقى فيها الفاجر انى استخلفت
عليكم عمر بن الخطاب فان بر وعدل فذاك ظنى
به وراى فيه وان جاور بدل فلا علم لى بالغيب
ولكن اردت لكم ولكل امرئ ما اكتسب من الاثم
وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون وفى
حديث عبد الرحمن بن عوف رحمة الله عليه قال
دخلت على ابى بكر الصديق رضى الله عنه فى علته
التى مات فيها فقلت اراك بارئا يا خليفه رسول
الله قال اما انى على ذلك لشديد الوجع ومالقيت
منكم يا معاشر المهاجرين اشد على من وجعى انى وليت
امورکم خيركم فى نفسى فكلكم ورم انفه ان
يكون له الامر من دون الله لتتخذن نضايد الديباج
وستور الحرير ولتالمن النوم على الصوف الاذربى كما
يالم احدكم النوم على حسك السعدان والذى
نفسى بيده لان يقدم احدكم فتضرب رقبته

فى غير حد خير له من ان يخوض غمرات الدنيا ياهارى
الطريق جزت انما هو والله الفحر او البحر قال
فقلت خفض عليك يا خليفه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فان هذا يهيضك الى مابك فوالله
مازلت صالحا مصلحا لا تاسى على شى فاتك من
امر الدنيا ولقد تخليت بالامر وحدك فما رايت الا
خيرا وله خطب ومقامات مشهورة اقتصرنا
منها على مانقلنا منها قصة السقيفة نسخة
كتاب كتب ابو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل
الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه سلام عليك
فانا نحمد اليك الله الذى لا اله الا هو اما بعد فانا
عهدناك وامر نفسك لك معهم فاصبحت وقد
وليت امر هذه الامة احمرها واسودها يجلس
بين يديك الصديق والعدو والشريف والوضيع
ولكل حصته من العدل فانظر كيف انت يا عمر
عند ذلك فانا نحذرك يوما تعنو فيه الوجوه
وتجب فيه القلوب وانا كنا نتحدث ان هذه
الامة ترجع فى اخر زمانها ان يكون اخوان العلانيه
اعداء السريره وانا نعوذ بالله تنزل كتابنا سوى
المنزل

المنزل الذى نزل من قلوبنا فانا انما كتبنا اليك
نصيحه لك والسلام فكتب اليهما من عمر بن الخطاب
الى ابى عبيدة ابن الجراح ومعاذ بن جبل سلام
عليكما فانى احمد اليكما الله الذى لا اله الا هو اما
بعد فقد جائنى كتابكما تزعمان انه بلغكما انى وليت
امر هذه الامه احمرها واسودها يجلس بين يدى
الصديق والعدو والشريف والوضيع وكتبتما ان
انظر كيف انت يا عمر عند ذلك وانه لا حول ولا
قوة لعمر عند ذلك الا بالله كتبتما تحذرانى ما حذرت
به الامم قبلنا وقديما كان اختلاف الليل والنهار
ياجال الناس يقربان كل بعيد ويبليان كل جديد
ويأتيان بكل موعود حتى يصير الناس الى منازلهم
من الجنة او النار ثم توفى كل نفس بما كسبت ان
الله سريع الحساب كتبتما تزعمان ان امر هذه
الامة يرجع فى اخر زمانها ان يكون اخوان العلانيه
اعداء السريره ولستم بذاك وليس هذا ذلك
الزمان ولكن زمان ذلك حين تظهر الرغبة والرهبة
فتكون رغبة بعض الناس الى بعض اصلاح
دينهم ورهبه بعض الناس اصلاح دنيا هم

وكتبتما تعوذان بالله ان انزل كتابكما منى سوى
المنزل الذى نزل من قلوبكما وانما كتبتما نصيحة
لى وقد صدقتما فتعهدانى منكما بكتاب فلاغنى لى
عنكما

عهد من عهود عمر رضى الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب
امير المومنين الى عبد الله بن قيس سلام عليك
اما بعد فان القضى فريضة محكمة وسنة متبعة
فافهم اذا دلى اليك فانه لايعلم تكلم بحق لا تعاز له
اس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجاسك حتى
لايطمع شريف فى حيفك ولاييأس ضعيف من
عدلك البينة على من ادعى واليمين على من انكر
والصلح جايز بين المسلمين الاصلحا احل حراما او حرم
حلالا ولايمنعك قضا قضيته بالامس وراجعت
فيه عقلك وهديت لرشدك ان ترجع الى الحق
فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادى
فى الباطل الفهم الفهم فى ما تلجلج فى صدرك مما
ليس فى كتاب ولا سنة ثم اعرف الاشارة والامثال
وقس الامور عند ذلك واعمد الى اشبهها بالحق
واجعل لمن ادعى حقا غايبا او بينة امدا ينتهى
اليه

اليه فان احضر بينة اخذت له بحقه والا استحللت
عليه القضية فانه انفى للشك واجلى للعمى المسلمون
عدول بعضهم على بعض الا مجلودا فى حد او مجربا
عليه شهاده زور او ظنينا فى ولاء او نسب فان
الله تولى منكم السرائر ودرا بالايمان والبينات
واياك والقلق والضجر والتاذى بالخصوم والتنكر
عند الخصومات فان الحق فى مواطن الحق يعظم الله
به الاجر ويحسن به الذخر فمن صحت بنيته وقبل
على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن
تخلق للناس بما يعلم الله انه ليس من نفسه شانه
الله فما ظنك بثواب الله عز وجل فى عاجل رزقه
وخزائن رحمته والسلام ولعمر رضى الله عنه
خطب مشهورة مذكورة فى التاريخ لم ننقلها اختصارا

ومن كلام عثمان بن عفان رضى الله عنه

خطبة لعثمان بن عفان رضى الله عنه قال ان لكل
شى افة وان لكل نعمة عاهة هذا الذين عيابون
ظنانون يظهرون لكم ما تحبون ويسرون
ما تكرهون يقولون لكم وتقولون طعام مثل
النعام يتبعون اول ناعق احب موارده

اليهم النابح لقد اقررتم لابن الخطاب باكثر
مما نقمتم علي ولكنه وقمكم ونقمكم وزجركم زجر
النعام المخزمه والله اني لاقرب ناصرا واعز
نفرا واقمن ان قلت هلم ان يجاب دعوتي من عمر
هل تفقدون من حقوقكم شيا فمالي لا افعل في
الحق ما اشا اذ فلم كنت اماما

هكذا بياض بلا صل

كتابه الى علي حين حضر رضي الله تعالى
عنه اما بعد فقد بلغ السبيل الرى وجاوز الخزام
الطبيين وطمع في من لا يدفع عن نفسه فاذا اتاك
كتابي هذا فاقبل الي علي كنت ام لي فان كنت
ماكولا فكن خيرا كل والا فاد ركني ولما امزق ومن
كلام علي رضي الله تعالى عنه قال فلما قبض ابو
بكر رضي الله عنه ارتجب المدينة بالبكا كيوم قبض
النبي صلى الله عليه وسلم وجا علي باكيا مسترجعا
وهو يقول اليوم انقطعت خلافة النبوة حتى
وقف على باب البيت الذي فيه ابو بكر فقال
رحمك الله ابا بكر كنت الف رسول الله صلى
الله عليه وسلم وانسه وثقته وموضع سره
كنت اول القوم اسلاما واخلصهم ايمانا

واشدهم

واشدهم يقينا واخوفهم لله واعظمهم غناء في
دين الله واحوطهم على رسوله وايمنهم على اصحابه
احسنهم صحبته واكثرهم مناقب وافضلهم
سوابق وارفعهم درجة واقربهم برسول الله صلى
الله عليه وسلم سننا وهديا ورحمة وفضلا
واشرفهم منزلة واكرمهم عليه واوثقهم عنده
جزاك الله عن الاسلام وعن رسوله خيرا كنت
عنده بمنزله السمع والبصر صدقت رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين كذبه الناس فسماك
الله في تنزيله صديقا فقال والذي جاء بالصدق
وصدق به واسيته حين بخلوا وقمت معه
عند المكاره حين عنه قعدوا وصحبته في الشدة
اكرم الصحبة ثاني اثنين وصاحبهما في الغار
والمنزل عليه السكينة والوقار ورفيقه
في الهجره وخليفته في دين الله وفي امته احسن
الخلافة حين ارتد الناس فنهضت حين وهن
اصحابك وبرزت حين استكانوا وقويت حين
ضعفوا وقمت بالامر حين فشلوا ونطقت
حين تعتعتوا مضيت بنور الله وقفوا اثبعوك

فهدوا وكنت اصوبهم منطقا واطولهم صمتا
وابلغهم قولا واكثرهم رايا واشجعهم نفسا ،
واعرفهم بالامور واشرفهم عملا كنت للدين
يعسوبا اولاحين نفرعنه الناس واخراحين ،
قبلوا كنت للمؤمنين ابا رحيما اذا صاروا عليك
عيالا فحملت اثقال ما ضعفوا ورعيت ما اهملوا
وحفظت ما اضاعوا شمرت اذا خنعوا وعلوت
اذ هلعوا وصبرت اذا جزعوا وادركت اوتار
ما طلبوا وراجعوا رشدهم برايك فظفروا ،
ونالوا بك ما لم يحتسبوا وكنت كما قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم امن الناس عليه
في صحبتك وذات يدك وكنت كما قال ضعيفا
في بدنك قويا في امر الله متواضعا في نفسك
عظيما عند الله جليلا في اعين الناس كبيرا
في انفسهم لم يكن لاحد فيك مغمز ولا لاحد
مطمع ولا لمخلوق عندك هوادة الضعيف
الذليل عندك قوى عزيز حتى تاخذ له بحقه ،
والقوى العزيز عندك ضعيف ذليل حتى تاخذ
منه الحق القريب والبعيد عندك سواء اقرب

الناس

الناس اليك اطوعهم لله شانك الحق والصدق
والرفق قولك حكم وامرك حزم ورايك علم وعزم
فابلغت وقد نهج السبيل وسهل العصير واطفات
النيران واعتدل بك الدين وقوي الايمان وظهر
امر الله ولو كره الكافرون واتعبت من بعدك
اتعابا شديدا وقرت بك فوزا مبينا فجللت
عن البكاء وعظمت رزيتك في السماء وهدت
مصيبتك الانام فانا لله وانا اليه راجعون رضينا
عن الله قضاءه وسلمنا له امره فوالله لن يصاب
المسلمون بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمثلك ابدا فاكحقك الله بنبيه ولاحرمنا اجرك
ولا اضلنا بعدك وسكت الناس حتى انقضى
كلامه ثم بكوا حتى علت اصواتهم خطبه اخرى
لعلى رضى الله تعالى عنه اما بعد فان الدنيا قد ادبرت
واذنت بوداع وان الاخرة قد اقبلت واشرفت
باطلاع وان المضمار اليوم وغدا السباق والاونكم
في ايام مهل ومن ورائه اجل فمن اخلص في ايام
امله قبل حضور اجله فقد فاز ومن قصر في ايام امله قبل حضور
اجله فقد خسر عمله وضره امله الا فاعملوا

لله فى الرغبة كما تعملون له فى الرهبة الا وانى
لم ار كالجنة نام طالبها ولا كالنار نام هاربها الا وانه
من لم ينفعه الحق يضره الباطل ومن لا يستقيم به
الهدى يجذ به الضلال الا وانكم قد امرتم بالظعن
ودللتم على الزاد الا وان اخوف ما اخاف عليكم
الهوى وطول الامل وخطب فقال بعد حمد الله
ايها الناس اتقوا الله فما خلق امرؤ عبثا فيلهو
ولا اهمل سدى فيلغوا ما دنياه التى تحسنت اليه
بخلق من الاخرة التى قبحها سوء النظر اليه واما
لخسيس الذى ظفر به من الدنيا باعلى همته كالاخر
من سهمته الذى ظفر به من الاخرة وكتب على رضى الله عنه
الى عبد الله بن عباس رحمة الله عليه وهو
بالبصرة اما بعد فان المرء يسر بدوك ما لم يكن
ليحزنه ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فليكن
سرورك بما قدمت من اجر ومنطق وليكن
اسفك فيما فرطت به من ذلك وانظر ما فاتك
من الدنيا فلا تكثر عليه جزعا وما نلته فلا تنعم
به فرحا وليكن همك لما بعد الموت كلام لابن
عباس رضى الله عنه قال عتبة بن ابى سفيان

لابن

لابن عباس ما منع امير المومنين ان يبعثك مكان
ابى موسى يوم لحكمين قال منعه والله من ذلك
حاجز القدر وقصر المدة وسخة الابتلاء اما
والله لو بعثنى مكانه لاعترضت له فى مدارج
نفسه ناقضا لما ابرم ومبرما لما نقض اسف
اذا طار واطيرا اذا اسف ولكن مضى قدر وبغى اسف
ومع يومنا غد والاخرة خير لامير المومنين من الاولى
خطبة لعبد الله بن مسعود رضى الله عنه اصدق
لحديث كتاب واوثق العرى كلمة التقوى خير الملل
ملة ابراهيم واحسن السنن سنة النبى صلى الله
عليه وسلم خير الامور اوساطها وشر الامور
محدثاتها ما قل وكفى خير مما كثر والهى خير الغنى
غنى النفوس وخير ما القى فى القلب اليقين لكفر
جماع الاثم النساء حبالة الشياطين الشباب
شعبة من لجنون حب الكفاية مفتاح المعجزة من
الناس من لا ياتى لجماعة الا دبرا ولا يذكر الله الا
هجرا اعظم لخطايا اللسان الكذوب سباب
المومن فسوق وقتاله كفر واكل لحمه معصية
من توكل على الله يكذ به ومن يغفر يغفر له مكتوب

في ديوان المحسنين من عفى عفى عنه الشقى من شقى
في بطن امه والسعيد من وعظ بغير الامور
بعواقبها ملاك العمل خواتيمه اشرف الموت
الشهادة من يعرف البلآء يصبر عليه ومن لا يعرف
البلا ينكره خطبه لمعاويه بن ابى سفيان رضى
الله عنه قال الراوى لما حضرته الوفاة قال
لموكل له بالباب فقال نفر من قريش يتباشرون
بموتك فقال ويحك ولم ثم اذن للناس فحمد الله
فاوجز ثم قال ايها الناس انا قد اصبحنا
فى دهر عنود وزمن شديد يعد فيه المحسن
مسيأ ويزداد الظالم فيه عتوا لا ننتفع بما علمنا
ولا نسئل عما جهلنا ولا نتخوف من قراعة حتى تحل
بنا فالناس على اربعة اصناف منهم من لا يمنعه
الفساد فى الارض الا مهانة نفسه وكلال جده
ونضيض وفره ومنهم من المصلت سيفه والمجلب
برجله والمعلن بشره قد اشترط نفسه ولريق
دينه بحطام ينتهزه او مقنب يقوده او منبر
يقرعه وبئس المتجران تراها لنفسك ثمنا
وما لك عند الله عوضا ومنهم من يطلب

الدنيا

الدنيا بعمل الاخرة ولا يطلب الاخرة بعمل الدنيا
قد طامن من شخصه وقارب من خطوه وشمر
من ثوبه وخرق نفسه للامانة واتخذ ستر
الله ذريعة الى المعصية ومنهم من اقعده عن
الملك ضؤوله فى نفسه وانقطاع سببه فقصرته
الحال فتجلى باسم القناعة وتزين بلباس الزهاد
وليس من ذلك فى مراح ولا مغدى وبقى رجال غض
ابصارهم ذكر المرجع واراق دموعهم خوف المحشر
فهم بين شريد نادو خائف منقمع وساكت
مكعوم وداع مخلص وموجع ثكلان قد اخملتهم التقية
وشملتهم الذلة فهم فى بحر اجاج افواههم دامية
وقلوبهم قريحة قد وعظوا حتى ملوا وقهروا
حتى ذلوا وقتلوا حتى قلوا فلتكن الدنيا فى عيونكم
اقل من حثالة القرظ وقراضه لجلم واتعظوا
بمن كان قبلكم قبل ان يتعظ بكم من بعدكم
فارفضوها ذميمة فانها قد رفضت من كان
اشغف بها منكم خطبه لعمر بن عبد العزيز
رضى الله عنه ايها الناس انكم ميتون ثم انكم
مبعثون ثم انكم محاسبون فلعمرى لئن كنتم

صادقين لقد قصرتم ولين كنتم كاذبين لقد
هلكتم يا ايها الناس انه من يقدله رزق براس
جبل او بحضيض ارض ياته فاجملوا فى الطلب
خطبه للحجاج بن يوسف حمد الله واثنى عليه ثم
قال يا اهل العراق ويا اهل الشقاق والنفاق
ومثاوى الاخلاق وبنى اللكيعة وعبيد العصا
واولاد الاماء والنقع بالقر قرانى سمعت تكبيرا
لا يراد به الله وانما يراد به الشيطان وانما مثلى
ومثلكم ما قال بن براقة الهمدانى
وكنت اذا قوم غزونى غزوتهم ٥ فهل انا فى ذا يال همدان ظالم
متى يجمع القلب الزكى وصارما ٥ وانفا حميا تحتنبك المظالم
اما والله لا تقرع عصا عصا الا جعلتها كاسس
الدابر خطبه لقس بن ساعد الايادى اخبرنى
محمد بن على الانصارى بن محمد بن عامر قال
حدثنا على بن ابراهيم حدثنا عبد الله بن داود
ابن عبد الرحمن الحنظلى من ولد حنظله الغسيل
حدثنا جعفر بن محمد عن محمد بن حسان عن
محمد بن حجاج اللخمى عن مجالد عن الشعبى عن بن
عباس قال لما وفد وفد عبد القيس على رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم قال ايكم يعرف قيس
ابن ساعدة قالوا كلنا نعرفه يا رسول الله قال
لست انساه بعكاظ اذ وقف على بعير له احمر
فقال ايها الناس اجتمعوا واذا اجتمعتم فاسمعوا
واذا سمعتم فعوا واذا وعيتم فقلوا واذا قلتم
فاصدقوا من عاش مات ومن مات فات وكل
ما هو آت آت اما بعد فان فى السما لخبرا وان
فى الارض لعبرا مهاد موضوع وسقف مرفوع
ونجوم تمور وبحار لا تغور اقسم قس بالله قسما
حقا لا كاذبا فيه ولا اثما لمن كان فى الارض رضا
ليكونن سخطا ان الله تعالى دينا هو احب
اليه من دينكم الذى انتم عليه وقد اتاكم
اوانه وكحقتكم مدته مالى ارى الناس
يذهبون فلا يرجعون ارضوا بالمقام فاقاموا
ام تركوا فناموا ثم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ايكم يروى شعره فانشد

فى الذاهبين الاولين من القرن لنا بصائر
لما رايت موارد للموت ليس لها مصادر
ورايت قومى نحوها يمضى الاصاغر والاكابر

لا يرجع الماضى الى ولا من الباقين غابر
ايقنت انى لا محاله حيث صار القوم صائر

اخبرنى الحسن بن عبد الله بن سعيد حدثنا على بن
الحسين بن اسماعيل حدثنا محمد بن زكريا حدثنا عبد
الله بن الضحاك عن هاشم عن ابيه ان وفدا من اياد
قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالهم
عن حال قس بن ساعدة فقالوا قال قس شعر

يا ناعى الموت والاموات فى جدث ٥ عليهم من بقايا بزهم خرق
دعهم فان لهم يوما يصاح بهم ٥ كما ينبه من نوماته الصعق
منهم عراة ومنهم ثيابهم منها الجديد ومنها
الاورق لكل مطرد نبات وآباء وامهات وذاهب
وات وايات فى اثر ايات واموات بعد اموات
ضوء وظلام وليال وايام وغنى وفقير وشقى
وسعيد ومحسن ومسيئ اين الارباب الفعلة
ليصلحن كل عامل عمله كلا بل هو الله واحد ليس
بمولود ولا والد عاد وابداء واليه المآب غدا
اما بعد يا معاشر يا داين ثمود وعاد واين الآبا
والاجداد اين المحسن الذى لم يشكر اين الظالم الذى
لم ينتقم كلا ورب الكعبة ليعودن ما بدا ولئن

ذهب

ذهب يوم ليعودن يوم

قال وهو قس بن ساعدة بن حذاق بن ذهل
ابن اياد بن نزار اول من امن بالبعث من اهل
الجاهليه واول من توكا على عصا واول من تكلم
باما بعد خطبه لابى طالب الحمد لله الذى جعلنا
من ذريه ابراهيم وزرع اسماعيل وجعل لنا بلدا
حراما وبيتا محجوجا وجعلنا الحكام على الناس وان
محمدا بن عبد الله بن اخى لا يوازن به فتى من
قريش الا رجح به بركة وفضلا وعدلا ومجدا ونبلا
وان كان فى المال مقلا فان المال عارية مسترجعة
وظل زايل وله فى خديجة بنت خويله رغبة ولها
فيه مثل ذلك وما اردت من الصداق فعلى قد
نسخت لك جلا من كلام الصدر الاول ومحاورتهم
وخطبهم واحيلك فيما لم انسخ على التواريخ والكتب
المصنفة فى هذا الشان فتامل ذلك وسائر ما هو
مسطر من الاخبار المأثورة عن السلف واهل
البيان واللسان والفصاحه والفطن والالفاظ
المنثورة والمخاطبات الدايرة بينهم والامثال
المنقوله عنهم ثم انظر بسكون طاير وخفض جناح

وتفريغ لب وجمع عقل فى ذلك فسيقع لك الفضل
بين كلام الناس وبين كلام رب العالمين وتعلم ان
نظم القران يخالف نظم كلام الادميين وتعلم الحد
الذى يتفاوت بين كلام البليغ والبليغ والخطيب
والخطيب والشاعر والشاعر وبين نظم القران جملة
فان خيل اليك وشبه عليك وظننت انه يحتاج
ان يوازن بين نظم الشعر والقران لان الشعر
افصح من الخطب وابرع من الرسايل واذق مسلكا
من جميع اصناف المحاورات ولذلك قاله [redacted]
صلى الله عليه وسلم هو شاعر وساحر وسول
اليك الشياطين ان الشعر ابلغ واعجب وارق
وابرع واحسن الكلام وابدع فهذا فصل فيه نظر
بين المتكلمين وكلام بين المحققين سمعت افضل من
رايت من اهل العلم بالادب والحذق بهذه الصناعة
مع تقدمه فى الكلام يقول ان الكلام المنثور ياتى
فيه من الفصاحه والبلاغة مالا ياتى فى الشعر
لان الشعر يضيق نطاق الكلام ويمنع القول
من ابتهاية ويصده عن تصرفه على سننه وحضره
من يتقدم فى صنعة الكلام فراجعه فى ذلك وذكر

انه

انه لايمتنع ان يكون الشعر ابلغ اذا صادف
شروط الفصاحة وابدع اذا تضمن اسباب
البلاغة ويشهد عندى للقول الاخير ان معظم
براعة كلام العرب فى الشعر ولا تجد فى منثور قولهم
ما تجد فى منظومه وان كان قد احدثت البراعة
فى الرسايل على حد لم يعهد فى سالف ايام العرب
ولم ينقل من دواوينهم واخبارهم وهو وان ضيق
نطاق القول فهو يجمع حواشيه ويظم اطرافه
ونواحيه فهو اذا تهذب فى بابه ووفى له جميع
اسبابه لم يقاربه من كلام الادميين كلام ولم
يعارضه من خطابهم خطاب وقد حكى عن المتنبى
انه كان ينظر فى المصحف فدخل اليه بعض اصحابه
فانكر نظره فيه لما كان راه عليه من سوء اعتقاده
فقال له هذا المكى على فصاحته كان مفحما فان
صحت هذه الحكايه عنه فى الحاده عرف بها انه كان
يعتقد ان الفصاحة فى قول الشعر ابلغ واذا كان
الفصاحة فى قول الشعر ولم تكن وبيان
نظم القران يزيد فى فصاحته على كل نظم
ويتقدم فى بلاغته على كل قول بما يتضح به

الامر اتضاح الشمس ويتبين به بيان الصبح ،،
وقفت على جلية هذا الشان فانظر فيما نعرضه
عليك وتصور بفهمك ما نصوره ليقع لك موقع عظيم
شان القران وتامل ما نرتبه ينكشف لك الحق
واذا اردنا تحقيق ما ضمناه لك لمن سبيلنا ان نعمد
الى قصيدة متفق على كبر محلها وصحة نظمها وجودة
بلاغتها ومعانيها واجماعهم على ابداع صاحبها
فيها مع كونه من الموصوفين بالتقدم في الصناعة
والمعروفين بالحذق في البراعة فوقفك على مواضع
خللها وعلى تفاوت نظمها وعلى اختلاف فصولها
وعلى كثرة فضولها وعلى شدة تعسفها وبعض
تكلفها وما تجمع من كلام رفيع يقرن بينه وبين
كلام وضيع وبين لفظ سوقي يقرن بلفظ ملوكي
وغير ذلك من الوجوه التي تجلي تفصيلها ونبين
ترتيبها وتنزيلها فاما كلام سيلمة الكذاب وما
زعم انه قران فهو اخس من ان تشتغل به واسخف
من ان تفكر فيه وانما نقلنا منه طرفا ليتعجب
القاري وليتبصر الناظر فانه على سخافته قد
اضل وعلى ركاكته قد اذل وميدان الجهل واسع

ومن

ومن نظر فيما نقلناه عنه وفهم موضع جهله ،،
كان حديرا ان يحمد الله على ما رزقه من فهم
واتاه من علم فما كان يزعم انه نزل عليه من
السما والليل الاطخم والذئب الادلم والجذع
الازلم ما انتهك اسيد من محرم وذلك قد ذكر
في خلاف وقع بين قوم اتوه من اصحابه وقال
ايضا والليل الدامس والذئب الهامس
ما قطعت اسيد من رطب ولا يابس وكان ،،
يقول والشما والوانها واعجبها والبانها
والشاة السودا واللبن الابيض انه لعجب ،،
محض وقد حرم فما لكم لا تجمعون وكان
يقول ضفدع بنت ضفدعين نقي ما تنقين ،،
اعلاك في الما واسفلك في الطين لا الشارب
تمنعين ولا الماتكدين لنا نصف الارض ولقريش
نصفها ولكن قريشا قوم يعتدون وكان
يقول والمبتديان زرعا ولكاصدات حصدا
والزاريات قمحا والطاحنات طحنا والخابزات
خبزا والثاردات ثردا واللاقمات لقما اهالة
وسمنا لقد فضلتم على اهل الوبر وما سبقكم

اهل المدر وبكم فامشوه والمعتر فاووه والباغى
فناووه وقالت سجاح بنت لحارث بن عقبان وكانت
تتبنا فاجتمع مسيلمه معها فقالت له ما اوحى اليك
فقال الم تركيف فعل ربك بالحبلى اخرج منها نسمة
تسعى من بين صفاق وحشى وقالت فما بعد ذلك
قال اوحى الى ان الله خلق النسا افواجا وجعل الرجال
لهن ازوجا فتولج فيهن قسما ايلاجا ثم نخرجها اذا
شئنا اخراجا فينتج لنا سخالا تتاجا فقالت اشهد
انك نبى ولم تنقل كما ذكر من سخفه كراهيه التطويل
وروى انه سال ابو بكر الصديق رضى الله عنه
اقواما قدموا عليه من بنى حنيفة عن هذه الالفاظ
فحكوا بعض ما نقلناه فقال ابو بكر سبحان الله وبحكم
ان هذا الكلام لم يخرج عن ال قاين كان يذهب بكم
ومعنى قوله لم يخرج عن ال اى عن ربوبيه ومن كان
له عقل لم يشتبه عليه سخف هذا الكلام فنرجع الان
الى ما ضمناه من الكلام على الاشعار المتفق على جودتها
وتقدم اصحابها فى صناعتهم ليتبين لك تفاوت انواع
الخطاب وتباعد مواقع البلاغه وتستدل على مواضع
البراعة وانت لا تشك فى جودة شعر امرئ القيس

ولا

ولا ترتاب فى براعته ولا تتوقف فى فصاحته وتعلم
انه قد ابدع فى طرق الشعراء امورا ابدع فيها من ذكر
الديار والوقوف عليها الى ما يتصل بذلك من البديع
الذى ابدعه والتشبيه الذى احدثه والتمليح الذى
يوجد فى شعره والتصرف الكثير الذى تصادفه
فى قوله والوجوه التى ينقسم اليها كلامه من صناعة
وطبع وسلاسة وعفو ومتانة ورقة واسباب
تمد وامور توش وتمدح وقد ترى الادبا الا يوازنون
بشعره فلانا وفلانا ويضمون اشعارهم الى شعره
حتى ربما وازنوا بين شعر من لقيناه وبين شعره
فى اشياء لطيفة وامور بديعة وربما فضلوهم
عليه او سووا بينهم وبينه او قربوا موضع تقدمهم
عليهم وبروزه بين ايديهم ولما اختاروا قصيدته
فى السبعيات اضافوا اليها امثالها وقرنوا بها
نظايرها ثم راهم يقولون لفلان لامية مثلها
ثم ترى انفس الشعراء تتشوق الى معارضته
وتساويه فى طريقته وربما عثرت فى وجهه فى
اشياء كثيرة وتقدمت عليه فى اسباب عجيبة
واذا جاؤا الى تعداد محاسن شعره كان امرا محصورا

وشيأ معروفا انت تجد من ذلك البديع اواحسن منه
في شعره غيره وتشاهد مثل ذلك البارع في كلام سواه
وتنظر الى المحدثين كيف توغلوا الى حيازة المحاسن
منهم من جمع رصانة الكلام الى سلاسته ومتانته
الى عذوبته والاصابة في معناه الى تحسين بهجته
حتى ان منهم من ان قصرعته في بعض تقدم عليه
في بعض لان لكجنس الذى يرمون اليه والغرض الذى
يتواردون عليه مما للادمى فيه مجال والمبترفيه
مثال فكل يضرب فيه بسهم ويفوز فيه بقدح ثم
قد تتفاوت السهام تفاوتا وتتباين تباينا وقد
تتقارب تقاربا على حسب مشاركتهم في الصنايع
ومساهمتهم في الحرف ونظم القران حس متميز
واسلوب متخصص وقبيل عن النظير متخلص فاذا
شئت ان تعرف عظم شانه فتامل ما نقوله في هذا
الفصل لامرئ القيس في اجود اشعاره وما بين
لك من عواره على التفصيل وذلك قوله

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل • بسقط اللوى بين الدخول
فتوضح فالمقرات لم يعف رسمها • لما نسجتها من جنوب وشمال
الذين يتعصبون له او يدعون محاسن الشعر يقولون

هذا

هذا من البديع لانه وقف واستوقف وبكى واستبكى
وذكر العهد والمنزل والحبيب وتوجع واسترجع
كله في بيت وخو ذلك وانما بينا هذا لئلا يقع لك
ذهابنا مواضع المحاسن ان كانت ولا غفلتنا عن
مواضع الصناعة ان وجدت تامل ارشدك الله
وانظر هداك الله انت تعلم انه ليس في البيتين
شئ قد سبق في ميدانه شاعر ولا تقدم به صانعا
وفي لفظه ومعناه خلل فاول ذلك انه استوقف
من بكى لذكر الحبيب وذكراه لا يقتضى بكا كليا وانما
يصح طلب الاسعاد في مثل هذا على ان يبكى ليكا
ويرق لصديقه في شدة برحائه فاما ان يبكى
على حبيب صديقه وعشيق رفيقه فامر محال فان
كان المطلوب وقوفه وبكاه انصاعا شقاصح الكلام
وفسد المعنى من وجه اخر لانه من السخف
الايغار على حبيبه وان يدعو اغيره الى التغازل
عليه والتواجد معه ثم في البيتين ما لا يفيد من ذكر
هذه المواضع وتسميه هذه الاماكن من الدخول وحومل
وتوضح والمقراة وسقط اللوى وقد كان يكفيه
ان يذكر في التعريف بعض هذا وهذا التطويل اذا لم

يفد كان ضربا من العي ثم ان قوله لم يعف رسمها
ذكر الاصمعي من محاسنه انه باق فنحن نحزن على
مشاهدته فلو عفا لاسترحنا وهذا بان يكون
من مساويه اولا لانه ان كان صادق الود فلا
يزيده عفا الرسوم الاجدة عهد وشدة وجد وانما
قرع الاصمعي لما افادته هذه الفائدة خشية
ان يعاب عليه فيقال اى فائدة لان يعرفنا انه لم
يعف رسم منازل حبيبه واي معنى لهذا الحشو
قذكر ما يمكن ان يذكر ولكن لم يخاصه بانتصاره
له من الخلل ثم في هذه الكلمة خلل اخر لانه عقب البيت
بان قال بعده فهل عند رسم دارس من معول
قذكر ابو عبيده انه رجع فاكذب نفسه كما قال
زهير من اسعده

قف بالديار التي لم يعفها القدم بلى وغيرها الارواح والديم

وقال غيره اراد بالبيت الاول انه لم ينطمس اثره
كله وبالثاني انه ذهب بعضه حتى لا يتناقض
الكلامان وليس في هذا انتصار لان معنى عفاه
ودرس واحد فاذا قال لم يعف رسمها ثم قال
قد عفا فهو تناقض لا محاله واعتذار ابي عبيده

اقرب لو صح ولكن لم يرد هذا القول مورد الاستدراك
على ما قاله زهير فهو الى الخلل اقرب وقوله لما سبحتها
كان ينبغي ان يقول لما نسجها ولكنه تعسف فجعل
ما في تاويل تانيث لانها في معنى الريح والاول التذكير
دون التانيث وضرورة الشعر قد دلته على على
هذا التعسف وقوله لم يعف رسمها كان الاولى ان
يقول لم يعف رسمه لانه ذكر المنزل فان كان رد
ذلك الى هذه البقاع والاماكن التي المنزل واقع بينها
فذلك خلل لانه انما يريد صفة المنزل الذي نزله حبيبه
بعفايه او بانه لم يعف دون ما جاوره وان اراد
بالمنزل الدار حتى انث فذلك ايضا خلل ولو سلم
من هذا كله ومما انكره ذكره كراهية التطويل
لم نشك في ان شعراء اهل زماننا لا يقصر على البيتين
بل يزيد عليهما ويفضلهما ثم قال

وقوف بها صحبي علي مطيهم ٭ يقولون لا تهلك اسا وتجمل
وان شفائي عبرة مهراقة فهل ٭ عند رسم دارس من معول

وليس في البيتين ايضا معنى بديع ولا لفظ حسن
كالاولين والبيت الاول منهما متعلق بقوله قفا نبك
فكانه قال قف وقوف صحبي بها علي مطيهم اوقفا

اوقفا حال وقوف صبحى وقوله بها متاخر فى المعنى
وان تقدم فى اللفظ ففى ذلك تكلف وخروج عن
اعتدال الكلام و البيت الثانى مختل من جهة انه
جعل الدمع فى اعتقاده شافيا كافيا لما حاجته بعد
ذلك الى طلب حيلة اخرى وتجمل ومعول عند
الرسوم ولو اراد ان يحسن الكلام لوجب ان يدل
على ان الدمع لا يشفيه لشدة ما به من الحزن ثم
يسايل هل عند الربع من حيله اخرى

وقوله

كدابك من ام الحويرث قلبها • وحارتها ام الرباب بماسل
اذا قمنا تضوع المسك منها • نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

انت لا تشك فى ان البيت له اول قليل الفائده
ليس له مع ذلك بهجه فقد يكون الكلام مصنوع
اللفظ وان كان منزوع المعنى واما البيت الثانى
فوجه التكلف فيه قوله اذا قمنا تضوع المسك
منها ولو اراد ان يجود افادان بها طيبا على كل
حال فاما فى حال القيام فقط فذلك تقصير ثم
فيه خلل اخر لانه بعد ان شبهه عرفها بالمسك
شبهه ذلك بنسيم القرنفل وذكر ذلك بعد ذكر
المسك

المسك نقص وقوله نسيم الصبا فى تقدير المنقطع
عن المصراع الاول لم يصله به وصل مثله

وقوله

نفاضت دموع العين منى صبابة • على النحر حتى بل دمعى محملى
الا رب يوم لك منهن صالح ٭ • ولا سيما يوما بدارة جلجل

قوله نفاضت دموع العين ثم استعانه بقوله ٭
ثم استعانة ضعيفة عند المتاخرين فى الصنعة
وهو حشو غير مليح ولا بديع وقوله على النحر حتى
اخر لان قوله بل دمعى محملى اعادة ذكر الدمع حشو
اخر وكان يكفيه ان يقول حتى بل محملى فاحتاج ٭
لاقامة الوزن الى هذا كله ثم تقديره انه قد افرط
فى افاضة الدمع حتى بل محملى تفريط منه وتقصير
ولو كان ابدع لكان يقول حتى بل دمعى معانيهم ٭
وعراصهم ويشبه ان يكون عرضه اقامة الوزن
والقافيه لان الدمع يبعد ان يبل المحمل وانما يقطر
من الواقف والقاعد على الارض او على الذيل وان
بله فلقلته وانه لا يقطر وانت تجد فى شعر الخنزرى
ما هو احسن من هذا البيت وامتن واعجب منه ٭
والبيت الثانى خال من المحاسن والبديع خلو من المعنى

وليس له لفظ يروق ولا معنى يروع من طباع السوقه
فلا يرعك تهويله باسم موضع غريب

وقال

ويوم عقرت للعذارى مطيتى ٥ فيا عجبا من رحلها المتحمل
فظل العذارى يرتمين بلحمها ٥ وشحم كهذاب الدمقس المفتل

تقديره اذكر يوم عقرت مطيتى او يرده على قوله يوم
بداءة جلجل وليس فى المصراع الاول من هذا البيت
الا سلامته قال بعض الادباء قوله يا عجبا يعجبهم
من سفهه فى شبابه من نحره ناقة لهم وانما اراد
الا يكون الكلام من هذا المصراع منقطعا عن الاول
واراد ان يكون الكلام ملايما له وهذا الذى ذكره بعيد
وهو منقطع عن الاول وظاهره ان يتعجب من تحمل
العذارى رحله وليس فى هذا تعجب كبير ولا فخر الناقه
لهن تعجب وان كان يعنى به انهن حملن رحله وان
بعضهن حملته فعبر عن نفسه برحله فهذا قليلا
يشبه ان يكون عجبا لكن الكلام لا يدل عليه ويتجافا
عنه ولو سلم البيت من العيب لم يكن فيه شئ غريب
ولا معنى بديع اكثر من سلامته مع قلة معناه وتقارب
امره ومشاكلته طبع المتاخرين من اهل زماننا
والى

والى هذا الموضع لم يمر له بيت رابع وكلام رايق واما
البيت الثانى فيعدونه حسنا ويعدون التشبيه
مليحا واقعا وفيه شئ وذلك انه عرف اللحم ونكر الشحم
فلا يعلم انه وصف شحمها وذكر تشبيه احدهما
بشئ واقع وعجز عن تشبيه القسمة الاولى فمزت
من سله وهذا نقص فى الصنعة وعجز عن اعطاء
الكلام حقه وفيه شئ اخر من جهة المعنى وهو انه
وصف طعام الذى اطعم من اضاف بالجودة وهذا
قد يعاب وقد يقال ان العرب تفتخر بذلك ولا يرونه
عيبا وانما الفرس هم الذين يرون هذا عيبا شنيعا
واما تشبيه الشحم بالدمقس فشئ يقع للعامه ويجرى
على السنتهم فليس بشئ قد سبق اليه وانما اراد
المفتل للقافيه وهذا مفيد مع ذلك فلست اعلم
العامة تذكر هذه الزيادة ولم يعد اهل الصنعة
ذلك من البديع ورواه قريبا وفيه شئ اخر وهو ان
يتحه بما الطعم الاحباب مذموم وان سوغ التحه
بما الطعم للاضياف الا ان يورد الكلام مورد المجون
وعلى طريق ابى نواس فى المزاح والمداعبه

وقوله

"

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة ٥ فقالت لك الويلات انك مرجلى
تقول وقد مال الغبيط بنا معا ٥ عقرت بعيرى يا امرأ القيس فانزل
قوله دخلت الخدر خدر عنيزة ذكره تكريرا لاقامة الوزن
لا فائدة فيه غيره ولا ملاحة له ولا رونق وقوله
فى المصراع الاخير من هذا البيت فقالت لك الويلات
انك مرجلى كلام مونث من كلام النساء نقله عن جهته
الى شعره ليس فيه غير هذا وتكريره بعد ذلك تقول
وقد مال الغبيط يعنى قتب الهودج بعد قوله
فقالت لك الويلات انك مرجلى لا فائدة فيه غير
تقدير الوزن والاحكاية قولها الاول كاف وهو
فى النظم قبيح لانه ذكر مرة فقالت ومرة تقول
فى معنى واحد وفصل حفيف وفى مصراع الثانى ايضا
تانيث من كلامهن وذكر ابو عبيدة انه قال عقرت
بعيرى ولم يقل ناقتى لانهم يحملون النساء على ذكور
للابل لانها اقوى وفيه نظر لان الاظهر ان البعير
اسم للذكر وللانثى واحتاج الى ذكر البعير لاقامة
الوزن وقوله

فقلت لها سيرى وارخى زمامه ٥ ولا تبعدينى من جناك المعلل
فمثلك حبلى قد طرقت ومرضعا ٥ فالهيتها عن ذى تمايم مغيل

البيت

البيت الاول قريب النسج ليس له معنى بديع ولا
لفظ شريف كانه من عبارات المخطين فى الصنعه
وقوله فمثلك حبلى قد طرقت عابه عليه اهل العربية
ومعناه عندهم حتى يستقيم الكلام فرب مثلك حبلى
قد طرقت وتقديره انه زير نساء وانه يفسدهن
ويلهيهن عن حبلهن ورضاعهن لان الحبلى والمرضعة
ابعد من الغزل وطلب الرجال والبيت الثانى فى
الاعتذار والاستهتار والتهيام غير منتظم مع المعنى
الذى قدمه فى البيت الاول لان تقديره لا تبعدينى
عن نفسك فانى اغلب النساء واخدعهن عن رايهن
وافسدهن بالتنازل وكونه مفسدة لهن لا يوجب
وصلهن وترك ابعادهن اياه بل يوجب عجره
والاستخفاف به لسخفه ودخوله كل مدخل فاحش
وركوبه كل مركب فاسد وفيه من الفحش والتفحش
ما يستنكف الكريم من مثله وياتف من ذكره
وقوله

اذا ما بكا من خلفها انصرفت له ٥ بشق وتحتى شقها لم يحول
ويوما على ظهر الكثيب تعذرت ٥ على والت حلفه لم تحلل

فالبيت الاول غاية فى الفحش ونهاية فى السخف واى

فائدة لذكره لعشيقته كيف كان يركب هذه القبايح
ويذهب هذه المذاهب ويرد هذه الموارد ان هذا
ليبغضه كل من سمع كلامه ويوجب له المقت وهو لو
صدق لكان قبيحا فكيف ويجوز ان يكون كاذبا ثم
ليس في البيت لفظ بديع ولا معنى حسن وهذا
البيت متصل بالبيت الذى قبله من ذكر المرضع
التى لها ولد محول فاما البيت الثانى وهو قوله ويوما
يتعجب منه وانما تشددت وتعسرت عليه وحلفت
عليه فهو كلام روى النسج لا فائدة لذكره لنا ان
حبيبته تمنعت عليه يوما بموضع يسميه ويصفه
وانت تجد فى شعر المحدثين من هذا الجنس فى التغزل
ما يذوب معه اللب وتطرب عليه النفس وهذا
مما تستنكره النفس ويشمئز منه القلب وليس فيه
شئ من الاحسان ولا حسن

وقوله

افاطم مهلا بعض هذا التدلل ۝ وان كنت قد ازمعت صرمى فاجملى
اغرك منى ان حبك قاتلى ۝ وانك مهما تامرى القلب يفعل

فالبيت الاول فيه ركاكة جدا وتانيث ورقة ولكن
فيها تخنيث ولعل قائلا ان يقول كلام النساء بايلايهن
من

من الطبع اوقع واغزل وليس كذلك لانك تجد الشعراء
فى الشعر المونث لم يعدلوا عن رصانة قولهم والمصراع
الثانى منقطع عن الاول لا يلابيه ولا يوافقه وهذا
يبين لك اذا عرضت معه البيت الذى تقدمه وكيف
ينكر عليها تدللها والمتغزل يطرب على دلال الحبيب
وتدلله والبيت الثانى قد عيب عليه لانه قد اخبر
ان من سبيلها الا تعتزما يريبها من ان حبها يقتله
وانما تملك قلبه لما امرته فعله والحب اذا اخبر عن
مثل هذا صدق وان كان المعنى غير هذا الذى عيب
عليه وانما ذهب مذهبا اخر وهو انه اراد ان يظهر
التجلد فهذا خلاف ما اظهر من نفسه فيما تقدم
من الابيات من لحب والبكاء على الاحبة فقد دخل
فى وجه اخر من المناقضه والاحالة فى الكلام ثم
قوله تامرى القلب يفعل تامرينى والقلب لا يوسر
والاستعارة فى ذلك غير وقعة ولا حسنه

وقوله

فان كنت قد سالتك منى خليقة ۝ فسلى ثيابى من ثيابك تنسل
وما ذرفت عيناك الا لتضربى ۝ بسهميك فى اعشار قلب مقتل

البيت الاول قد قيل فى تاويله انه ذكر الثوب

وارادالبدن مثل قول الله تعالى وثيابك فطهر وقال
ابوعبيده هذا مثل للهجر وتنسل تبين وهو بيت
قليل المعنى ركيكه دوصنعيه وكل ما اضاف الى نفسه
ووصف به نفسه سقوط وسفه وسخف يوجب
قطعه فلم لم يحكم على نفسه بذلك ولكن يورده
موردا ان ليست له خليقة توجب هجرانه والتقصى
من وصله وانه مهذب الاخلاق شريف الشمايل
فذلك يوجب الاينفك من وصاله والاستمارة فى
المصراع الثانى فيها تواضع وتقارب وان كانت
عربية واما البيت الثانى فمعدود من محاسن
القصيده وبدايعها ومعناه ما بكيت الا لتجرحى
قلبا معشرا اى مكسرا من قوله برمة اعشارا اذا
كانت قطعا هذا تاويل ذكره الاصمعى رضى الله عنه
وهو اشبه عند اكثرهم وقال غيره وهذا مثل للاعشار
التى تقسم الجزور عليها ويعنى بسهميك المعلى وله
سبعة انصبا والرقيب وله ثلثة انصبا فاراد انك
ذهبت بقلبى اجمع ويعنى بقوله مقتل مقتل وانت
تعلم انه على ما يعنى به فهو غير موافق للابيات
المتقدمة لما فيها من التناقض الذى بينا ويشبه

ان

ان يكون من قال بالتاويل الثانى فزع اليه لانه
راى اللفظ مستكرها على المعنى الاول لان القايل
اذا قال ضرب فلان بسهمه فى الهدف بمعنى
اصابه كان كلاما ساقطا مرذولا وهو يرى ان
معنى الكلمة ان عينيها كالسهمين النافذين فى
اصابة قلبه المجروح فلما بكتا وذرفتا بالدموع كانتا
ضاربتين فى قلبه ولكن من حمل على التاويل الثانى
سلم من كخلل الواقع فى اللفظ ولكنه اذا حمل على
الثانى فسد المعنى واختل لانه ان كان محبا جاعلى
ما وصف به نفسه من الصبابة فقلبه كله لها فكيف
يكون بكاؤها هو الذى يخلص قلبه لها واعلم بعد
هذا ان البيت غير ملايم للبيت الاول ولا مستصل
به فى المعنى وهو منقطع عنه لانه لم يسبق كلام
يقتضى بكاؤها ولا سبب يوجب ذلك فتركيبه
هذا الكلام على ما قبله فيه اختلال ثم لو سلم له بيت
من عشرين بيتا وكان بديعا ولا عيب فيه فليس
بعجيب لانه لا يدعى على مثله ان كلامه كله متناقض
ونظمه كله متباين وانما يكفى ان نبين ان ما سبق
من كلامه الى هذا البيت مما لا يمكن ان يقال انه يتقدم

فيه احدا من المتاخرين فضلا عن المتقدمين وانما
قدم في شعره لابيات قد برع فيها وبان حذقه
بها وانما انكرنا ان يكون شعره متناسبا في الجودة
ومتشابها في صحة المعنى واللفظ وقلنا انه يتصرف
بين وحشي غريب مستنكر وعربية كالمهلهل مستكرهة
وبين كلام سليم متوسط وبين عامي سوقي في اللفظ
والمعنى وبين حكمة حسنة وبين سخف مستشنع
ولهذا قال الله عز اسمه ولو كان من عند غير الله
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا

فاما قوله

وبيضة خضر لا يرام جناؤها ٥ تمتعت من لهو بها غير معجل
تجاوزت احراسا واهوال معشر ٥ على حراص لو يسرون مقتلي

فقد قالوا عني بذلك انها كبيضة خدر في صفايها
ورقتها وهذه كلمة حسنة ولكن لم يسبق اليها بل هي
دائرة في افواه العرب وتشبيه سايرويعني بقوله
غير معجل انه ليس ذلك مما يتفق قليلا واحيانا بل
يتكرر له الاستمتاع بها وقد يحمله غيره على انه
رابط لجاش فلا يستعجل اذا دخلها خوف حصانتها
ومنعتها وليس في البيت كبير فائدة لان الذي

حكى

حكى في سايراباياته قل تضمن مطاولته في المغازلة
فاشتغاله بها فتكريره في هذا البيت مثل قليل المعنى
الا الزيادة التي ذكر من معناها وهو مع ذلك بيت
سليم اللفظ في المصراع الاول دون الثاني والبيت
الثاني ضعيف وقوله لو يسرون مقتلي اراد ان يقول
لو اسروا فاذا نقله الى هذا ضعف ووقع في مضمار
الضرورة والاختلال على نظمه بين حتى ان المحرز يحترز
من مثله وقوله اذا ما الثريا في السما تعرضت تعرض
اثناء الوشاح المفصل قد انكر عليه قوم قوله اذا ما الثريا
في السما تعرضت وقالوا الثريا لا تتعرض حتى قال
بعضهم سمى الثريا وانما اراد الجوزاء لانها تعرض
والعرب تفعل ذلك كما قال زهير كاحمر عاد وانما هو
احمر ثمود ٥ وقال بعضهم في تصحيح قوله تعرض اول ما تطلع
٥ كما ان الوشاح اذا طرح يلقاك بعرضه وهو ناحيته
وهذا كقول الشاعر

٥ تعرضت لي بمحال خمل ٥ تعرض المهره في الطول ٥

يقول تريك عرضها وهي في الرسن وقال ابو عمرو
يعني اذا اخذت الثريا في وسط السما كما يأخذ
الوشاح وسط المراة والاشبه عندنا ان البيت

غير معيب من حيث عابوه به وانه من محاسن هذه
القصيده ولولا ابيات عدة فيه لقابله ما شئت من
شعر غيره ولكن لم يات فيه بما يفوت الشاؤ ويستولى
على الامد انت تعلم انه ليس للمتقدمين ولا للمتاخرين
فى وصف شى من النجوم مثل ما فى وصف الثريا
وكل قد ابدع فيه واحسن فاما ان يكون قد عارضه
او زاد عليه فمن ذلك قول ذى الرمه وردت اعتسافا
والثريا كانها على قمه الراس بن ما محلق ومن ذلك
قول بن المعتز وترى الثريا فى السماء كانها بيضات
ادحى يلحن بفدفد وكقوله كان الثريا فى اواخر ليلها
تفتح نورا وجام مفضض وقوله ايضا فاولينها
والثريا كانها جنى نرجس حيا الندى به الساقى
وقول الاشهب بن رميلة ولاحت لساريها الثريا
كانها لذى الافق العنزى قرط مسلسل ولابن المعتز
وقد هوى النجم والجوزاء تتبعه ٥ كذات قرط ارادته وقد سقطا
اخذه من ابن الرومى فى قوله
طيب ريقه اذا ذقت فاه والثريا بجانب الغرب قرط
ولابن المعتز قد سقانى الدام والصبح بالليل موتر ٥
والثريا كنور غصن على الارض قد نثر وقوله وترو م

الثريا

الثريا فى السماء ما كانكياب طمر كاد يلقى لجاما ″
ولابن الطثريه
٥ اذا ما الثريا فى السما كانه جمان وهى من سلكه تتبددا ٥
ولو نسخت لك كل ما قالوا من البديع فى وصف
الثريا لطال عليك الكتاب وخرج عن الغرض وانما
نريد ان نبين لك ان الابداع فى نحو هذا امر قريب
وليس فيه شى غريب وفى جملة ما نقلناه ما يزيد
على تشبيهه فى لحسن او يساويه او يقاربه فقد
علمت ان ما خلق فيه وقدر المتعصب له انه بلغ
النهاية فيه امر مشترك وشريعة مورودة ″
وباب واسع وطريق مسلوك واذا كان هذا بيت
القصيده ودرة القلادة وواسطة العقد وهذا
محله فكيف بما تعداه ثم فيه ضرب من التكلف
لانه قال اذا ما الثريا فى السما تعرضت تعرض
اثناء الوشاح فقوله تعرضت من الكلام الذى
يستغنى عنه لان يشبه اثناء الوشاح سواء كان
فى وسط السماء او عند الطلوع والمغيب فالتهويل
بالتعرض والتطويل بهذه الالفاظ لا معنى له ″
وفيه ان الثريا كقطعه من الوشاح المفصل فلا معنى

لقوله تعرض اثنا الوشاح وانما اراد ان يقول تعرض
قطعة من اثناء الوشاح فلم يستقم له اللفظ حتى
شبه ما هو كالشئ الواحد بالجمع

وقوله

نجيت وقد نضت لنوم ثيابها ٥ لدى الستر الا لبسة المتفضل
فقالت يمين الله مالك حيلة ٥ وما ان ارى عنك الغواية تنجلي

انظر الى البيت الاول والابيات التى قبله كيف
خلط فى النظم وفرط فى التاليف فذكر التمتع
بها وذكر الوقت والحال والحراس ثم يذكر كيف
كان صفتها لما دخل عليها ووصل اليها من ترعها
ثيابها الا ثوبا واحدا والمتفضل الذى فى ثوب
واحد وهو الفضل فما كان من سبيله ان يقدمه انما
ذكره موخرا وقوله لدى الستر حشو وليس بحسن
ولا بديع وليس فى البيت حسن ولا شئ يفضل
لاجله واما البيت الثانى ففيه تعليق واختلال
ذكر الاصمعى ان معنى قوله مالك حيلة اى ليس
لك جهة تجى فيها والناس احوالى والكلام فى المصراع
الثانى منقطع عن الاول ونظمه اليه فيه
ضرب من التفاوت

"

وقوله

وقوله

فقمت بها اشى بجرورانا ٥ على اثرنا اذيال مرط مرجل
فما اجزنا ساحة الحى وانتحى بنا ٥ بطن خبت ذى حقاف عقنقل

البيت الاول من مساعدتها اياه حتى قامت معه
ليخلوا وانما كانت تجر على الاثر اذيال مرط مرجل
والمرجل ضرب من البرود يقال لوشيه الترجيل
وفيه تكلف لانه قال ورانا على اثرنا ولو قال
على اثرنا كان كافيا والذيل انما يجر وراء الماشى
فلا فائدة لذكره ورانا وتقدير القول فقمت اشى
بها وهذا ايضا ضرب من التكليف وقوله اذيال
مرط كان من سبيله ان يقول ذيل مرط على انه
لو سلم من ذلك كان قريبا ليس مما يفوت بمثله
غيره ولا يتقدم به سواه وقول بن المعتز احسن
منه فبت افرش خدى فى الصريق له ذلا واسحب
اكما ى على الاثر واما البيت الثانى فقوله اجزنا
بمعنى قطعنا والخبت بطن من الارض والحقف رمل
منعرج والعقنقل المنعقد من الرمل الداخل بعضه
فى بعض وهذا بيت متقارب مع الابيات المتقدمه
لان فيها ما هو سلس قريب يشبه كلام المولدين

وكلام البذلة وهذا قد غرب فيه واتى بهذه اللفظه
الوحشيه المتعقده وليس فى ذكرها والتفضيل بكاقها
بكلامها فائدة والكلام الغريب واللفظة الشديدة
المباينة لنسج الكلام قد تحمد اذا وقعت موقع لحاجه
فى وصف ما يلايمها كقوله عز وجل فى وصف يوم
القيامة يوما عبوسا قمطريرا فاما اذا وقعت فى
غير هذا الموقع فهى مكروهة مذمومة بحسب ما تحمد
فى موضعها وروى ان جريرا انشد بعض خلفاء بنى
اميه قصيدته

بان الخليط برامتين فودعوا ٭ وكلما جدوا لبين تجزع
كيف الغراء ولم اجد مذ نبتم ٭ قلبا يقر ولا شراب ينفع

قال وكان يزحف من حسن هذا الشعر حتى بلغ

واما قوله

هصرت بغصنى دوحة ٭ فتمايلت على هضيم الكشح ريا المخلخل
مهفهفة بيضاء غير مفاضة ٭ ترائبها مصقولة كالسجنجل

فمعنى قوله هصرت جذبت وثنيت وقوله بغصنى
دوحه تعسف ولم يكن من سبيله ان يجعلها اثنين
والمصراع الثانى واضح وليس فيه شى الا ما يتكرر على
السنة الناس من هاتين الصفتين وانت تجد ذلك
فى

فى وصف كل شاعر ولكنه مع تكرره على الالسن
صلح واما معنى قوله مهفهفة تخففه ليست مثقله
والمفاضه التى اضطرب طولها والبيت مع مخالفته فى
الطبع الابيات المتقدمه وتزوعه فيه الى الالفاظ
المستكرهه وما فيه من تخليل من تخصيص الترايب
بالضوء بعد ذكر جميعها بالبياض فليس بطايل
ولكنه قريب متوسط

وقوله

تصد وتبدى عن اسيل وتتقى ٭ بناظرة من وحش وجرة مطفل
وجيد كجيد الريم ليس بفاحش ٭ اذا هى نصته ولا بمعطل

معنى قوله اسيل اى باسيلى وانما يريد خدا ليس
بكر وقوله تتقى يقال اتقاه بحقه اى جعله بينه وبينه
وقوله تصد وتبدى عن اسيل متفاوت لان الكشف
عن الوجه مع الوصل دون الصد وقوله تتقى بناظره
لفظة مليحة ولكن اضافها الى ما نظر به كلامه وهو
مختل وهو قوله من وحش وجرة ويجب ان تكون
العبارة بخلاف هذا ما كان من سبيله ان يضيف
الى عيون الظبا او المها دون اطلاق الوحش فيهن
ما تستنكر عيونها وقوله مطفل فسروه على انها

ليست بصبية وانها قد استحكمت وهذا اعتذار متعسف
وقوله مطفل زيادة لافائدة فيها على هذا التفسير
الذى ذكره الاصمعى ولكن قد يحتمل عندى ان يفيد غير
هذه الفائدة فيقال انها اذا كانت مطفلا لحظت ـ
اطفالها بغير رقة ففى نظر هذه رقة نظر المودة ويقع
الكلام معلقا تعليقا متوسطا واما البيت الثانى فمعنى
قوله ليس بفاحش اى ليس بفاحش الطول ومعنى
قوله نصته رفعته ومعنى قوله ليس بفاحش فى مدح
الاعناق كلام فاحش موضوع منه واذا نظرت فى اشعار
العرب رايت فى وصف الاعناق ما يشبه السحر فكيف
وقع على هذه الكلمة ودفع الى هذه اللفظه وهلا قال
كقول ابى نواس رضى الله عنه

مثل الظبأ سمت الى روض صواد عن غدير لست
اطول عليك فتستثقل ولا اكثر القول فى ذمه فستوحش
واكلك الى جملة من القول فان كنت من اهل الصنعة
فطنت واكتفيت وعرفت ما رسمنا اليه واستغنيت
وان كنت عن الطبقه خارجا وعن الاتقان بهذا الشان
خاليا فلا يكفيك البيان وان استقرينا جميع شعره
وتتبعنا عامة الفاظه ودللنا على ما فى كل حرف ـ

منه

منه اعلم ان هذه القصيدة قد ترددت بين ابيات
وحشية سوقته مبتذله وابيات متوسطه وابيات
ضعيفه مرذولة وابيات وحشية غامضة مستكرهه
وابيات معدودة بديعه وقد دللنا على المبتذل منها
ولا يشتبه عليك الوحشى المستكر الذى يروع السمع
ويهول القلب ويكد اللسان ويعبس معناه فى وجه كل
خاطر ويكفهر مطلعه على كل متامل او ناظر ولا يقع
بمثله التمدح والتفاصح وهو مجانب لما وضع له اصل
الافهام ومخالف لما بنى عليه التفاهم بالكلام فيجب
ان يسقط عن الغرض المقصود وتلحق باللغز والاشارات
المستبهمه فاما الذى زعموا انه من بديع هذا الشعر

فهو قوله

وبضحى فتيت المسك فوق فراشها ● نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

والمصراع الاخير عندهم بديع ومعنى ذلك انها منزفة
مستغنية لها من يكفيها ومعنى قوله تنتطق عن تفضل
يقول لم تنتطق وهى فضل وعن هى بمعنى بعد قال
ابو عبيده لم تنتطق فتعمل ولكنها تفضل ومما
يعدونه من محاسنها

وليل كموج البحر ارخى سدوله ● على بانواع الهموم ليبتلى

فقلت له لما تمطى بصلبه ٥ وارد اعجازا ونأ بكلكل
الا ايها الليل الطويل الا انجلى ٥ بصبح وما الاصباح فيك باامثل
وكان بعضهم يعارض هذا يقول النابغه
كليني بهم يا اميمه ناصب ٥ وليل اقاسيه بطئ الكواكب
وصدر اراح الليل عازب همه ٥ تضاعف فيه الحزن من كل جانب
تقاعس حتى قلت ليس بمنقض ٥ وليس الذى يتلوا النجوم بايب
وقد جرى ذلك بين يدى بعض الخلفاء فقدمت
ابيات امرئ القيس واستحسن استعارتها وقد
جعل الليل صدرا يثقل تنحبه ويبطئ تقضيه
وجعل له ادرافا كثيرة جعل له صلبا يمتد ويتطاول
وراوا هذا بخلاف ما يستعيره ابو تمام من الاستعارات
الوحشيه البعيدة المستنكرة وراوا ان الالفاظ
جميلة واعلموا ان هذا صالح جميل وليس من الباب
الذى يقال انه متناه عجيب وفيه المام بالتكلف
ودخل فى التعمل وقد خرجوا له فى البديع من القصيدة
قوله
قد اغتدى والطير فى وكناتها ٥ بمنجرد قيد الاوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معا ٥ كجلمود صخر حطه السيل من عل
وقوله ايضا

له

له ايطلا ظبي وساقا نعامة ٥ وارخا سرحان وتقريب تتفل
فاما قوله قيد الاوابد فهو مليح ومثله فى كلام الشعراء
واهل الفصاحة كثير والتعمل بمثله ممكن واهل
زماننا الان يصنفون نحو هذا تصنيفا ويولفون
المحاسن تاليفا ثم يوشحون به كلامهم والذين
كانوا من قبل لغزارتهم وتمكنهم لم يكونوا يتصنعون
لذلك انما كان تتفق لهم اتفاقا ويطرد فى كلامهم
اطرادا واما قوله فى وصفه مكر مفر فقد جمع فيه
طباقا وتشبيها وفى سرعة جرى الفرس للشعراء
ما هو احسن من هذا واللطف وكذلك فى جمعه بين
اربعة وجوه من التشبيه فى بيت واحد صنعة
ولكن قد عورض فيه وزوحم والتوصل اليه
يسير وتطلبه سهل قريب وقد بينا لك ان هذه
القصيدة ونظايرها تتفاوت فى ابياتها تفاوتا
بينا فى الجودة والرداة والسلاسة والانعقاد والسلامة
والانحلال والتمكن والتسهل والاسترسال والتوحش
والاستكراه وله شركا فى نظايرها ومنازعون فى
محاسنها ومعارضون فى بدايعها ولاسوا كلام ينحت
من الصخر تارة ويذوب تارة ويتلون تلون الحرباء

وتختلف اختلاف الاهواء ويكثر في تصرفه اضطرابه
وتتفاذف به اسبابه وبين قول يجري في سبكه على نظام
وفي رصفه على منهاج وفي وضعه على حد وفي صفايه
على باب وفي بهجته ورونقه على طريق مختلفة مؤتلف
وموتلفه متحد ومتباعده متقارب وشارده مطيع
ومطيعة شارد وهو على متصرفاته واحد لا يستصعب
في حال ولا يتعقد في شان وكنا اردنا ان نتصرف
في قصايد مشهورة فنتكلم عليها وندل على معانيها
ومحاسنها ونذكر لك من فضايلها ونقايصها ونبسط
لك القول في هذا الجنس ونفتح عليك في هذا النهج ثم
راينا هذا خارجا عن غرض كتابنا والكلام فيه يتصل
بنقد الشعر وعياره ووزنه بميزانه ومعياره ولذلك
كتب وان لم يكن مستوفاة وتصانيف وان لم تكن
مستقصاة وهذا القدر يكفي في كتابنا ولم يجب ان
ننسخ لك ما سطره الادبا في خطا امرئ القيس في
العروض والنحو والمعاني وما عيبوه عليه في اشعاره
وتكلموا به على ديوانه لان ذلك ايضا خارج عن غرض
كتابنا ومجانب لمقصوده وانما اردنا ان نبين بجملة
التي بيناها لتعرف ان طريقة الشعر شريعة موروثة

ومنزلة

ومنزلة مشهورة ياخذ منها اصحابها على مقادير
اسبابهم وتناول منها ذووها على حسب احوالهم
وانت تجد للمتقدم معنى قد طمسه المتاخر بما ابرعليه
فيه وتجد للمتاخر معنى قد اغفله المتقدم ومعنى قد
توافدا عليه وتوافيا اليه فهما فيه شريكا عيان
وكانهما فيه رضيعا لبان والله يوتي فضله من يشا
فاما نهج القران ونظمه وتاليفه ورصفه فان
العقول تتيه في جهته وتحار في فكره وتضل دون
وصفه ونحن نذكر لك في تفصيل هذا ما تستدل
به على الغرض وتستولي به على الامد وتصل به الى
المقصد وتتصور اعجازه كما تتصور الشمس وتتيقن
تناهي بلاغته كما تتيقن العجز واقرب عليك الغامض
واسهل لك العسير واعلم ان هذا علم شريف المحل
عظيم المكان قليل الطلاب ضعيف الاصحاب ليست
له عشيرة تحميه ولا اهل عصمة تفطن لما فيه وهو
ادق من السحر واهول من البحر واعجب من الشعر
وكيف لا يكون كذلك وانت تحسب ان وضع الصبح
في موضع العجز يحسن في كل كلام الا ان يكون شعرا
او سجعا وليس كذلك فان احدى اللفظتين قد تنفر

في موضع وتنزل عن مكان لا تنزل عنه اللفظة الاخرى
بل تتمكن فيه وتضرب بجرانها وتراها في مظانها ٭
وتجدها فيه غير منازعة الى اوطانها وتجد الاخرى
لو وضعت موضعها في محل نفار ورمى شراد ونابيه
عن استقرار ولا اكثر عليك المثال ولا اضرب لك
فيه الامثال وارجع بك الى ما وعدتك به من الدلالة
وضمنت لك من تقريب المقال فان كنت لا تعرف
الفصل الذي بيننا بين اللفظتين على اختلاف
مواقع الكلام ومتصرفات مجاري النظام لم تستفد
مما نقربه عليك شيأ وكان التقليد اولى بك والاتباع
اوجب عليك ولكل شيء سبب ولكل علم طريق ٭
ولا سبيل الى الوصاعلى الشيء من غير طريقه ولا بلوغ
غايته من غير سبيله **خذ الان هداك الله في تفريغ**
الفكر وتخليه البال وانظر فيما نعرض ونهديه اليك
متوكلا على الله ومعتصما به ومستعيذا به من الشيطان
الرجيم حتى تقف على اعجاز القرآن العظيم سماه الله
عز ذكره حكيما وعظيما ومجيدا وقال لا ياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وقال
لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا
من

من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم
يتفكرون وقال ولو ان قرانا سيرت به الجبال او
قطعت به الارض او كلم به الموتى بل لله الامر جميعا
وقال قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا ٭
بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض
ظهيرا واخبرنا احمد بن محمد بن الحسين القزويني
حدثنا ابو عبد الرحمن احمد بن عثمان حدثنا ابو
يوسف الصيدلاني حدثنا محمد بن سلمة عن ابي
سنان عن عمرو بن مرة عن ابي البختري الطائي
عن الحارث الاعور عن علي رضي الله عنه قال قيل
يا رسول الله اني امتك ستفتتن من بعدك فسال
او سيل ما المخرج من ذلك فقال بكتاب الله العزيز
الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل
من حكيم حميد من ابتغى العلم في غيره اضله الله ومن
ولى هذا من جبار فحكم بغيره قصمه الله وهو الذكر
الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم فيه خبر من
قبلكم وتبيان من بعدكم وهو فصل ليس بالهزل
وهو الذي سمعته الجن فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا
يهدي الى الرشد فامنا به لا يخلق على طول الرد ٭

ولا تنقضى عبره ولا تفنى عجايبه واخبرنى احمد بن
على بن لحسن اخبرنا ابى اخبرنا بشر بن عبد الوهاب
اخبرنا هشام بن عبيد الله حدثنا المسيب بن
شريك عن عبيدة عن اسامة بن ابى عطا قال ارسل
النبى صلى الله عليه وسلم الى على رضى الله عنه فى
ليلة فذكر نحو ذلك فى المعنى وفى بعض الفاظه اختلاف
واخبرنا احمد بن على بن لحسن اخبرنا بشر بن عبد
الوهاب اخبرنا هشام بن عبيد الله حدثنا المسيب
ابن شريك عن بشر بن تميم عن القاسم عن ابى امامة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قراء
ثلث القران اعطى ثلث النبوة ومن قراء نصف القران
اعطى نصف النبوة ومن قراء القران كله اعطى النبوة
كلها غير انه لا يوحى اليه وذكر الحديث ولو لم يكن
من عظم شانه الا انه طبق الارض انواره وجلل
الافاق ضياوه ونفذ فى العالم حكمه وقبل فى الدنيا
رسمه وطمس ظلام الكفر بعد ان كان مضروب
الرواق ممدود الاطناب مبسوط الباع مرفوع العماد
ليس على الارض من يعرف الله حق معرفته او يعبده
حق عبادته او يدين بعظمته او يعلم علو جلالته

او

او يتفكروا فى حكمته فكان كما وصفه الله تعالى جل
ذكره من ايه نور فقال وكذلك اوحينا اليك روحا
من امرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن
جعلناه نورا نهدى به من نشا من عبادنا وانك لتهدى
الى صراط مستقيم فانظر ان شئت الى شريف هذا
النظم وبديع هذا التاليف وعظيم هذا الوصف
كل كلمة من هذه الايه تامة وكل لفظ بديع واقع قوله
وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا يدل على صدوره
من الربوبية ويبين عن وروده عن الالهيه وهذه
الكلمة بمنفردها واخواتها كل واحدة منها لو وقعت
بين كلام كثير تميز عن جميعه وكان واسطة عقدة
وفاتحة عقده غرة شهرة وعين دهر وكذلك قوله
ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشا من عبادنا فجعله
روحا لانه يحيى لخلق فله فضل الارواح فى الاجساد
وجعله نورا لانه يضى ضيا الشمس فى الافاق
ثم اضاف وقوع الهدايه به الى مشيته ووقف
وقوف الاستر شاد به على ارادته وبين انه لم يكن
ليهتدى اليه لولا توفيقه ولم يكن ليعلم ما الكتاب
ولا الايمان لولا تعليمه وانه لم يكن يهدى ولم يكن

ليهتدى فكيف كان يهدى لولاه فقد صار من قبل ذلك
ليهتدى فقال وانك لتهتدى الى صراط مستقيم صراط
الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض الا الى الله ″
تصير الامور فانظر الى هذه الكلمات الثلاث فالكلمتان
الاوليان موتلفان وقوله الا الى الله تصير الامور
كلمة منفصلة مباينة للاولى قد صيرهما شريف النظم
اشد ائتلافا من الكلام المولف والطف انتظاما من
الحديث الملايم وبهذا يتبين فضل الكلام وتظهر ″
فصاحته وبلاغة الامر اظهر والحمد لله ولكال ابين
من ان يحتاج الى كشف تامل قوله فالق الاصباح وجعل
الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز
العليم انظر الى هذه الكلمات الاربع التى الف بينها
واحج بها على ظهور قدرته ونفاذ امره اليس كل
كلمة منها فى نفسها غرة وبمنفردها درة وهو مع ذلك
يبين انه يصدر عن علو الامر ونفاذ القهر ويتجلى
فى بهجة القدرة العزة ويجمع السلاسه الى الرصانة
والسلامة الى المتانة والرونق الصافى والبها الضافى
ولست اقول انه شمل الاطباق الملبح والايجاز اللطيف
والتعديل والتمثيل والتقريب والتشكيل وان كان
قد

قد جمع ذلك واكثر منه لان العجيب ما بينا من انفراد
كل كلمة بنفسها حتى تصلح ان تكون عين رسالة او خطبة
او وجه قصيدة او فقرة فاذا الفت ازدادت حسنا
وزادتك اذا تاملت معرفة وايمانا ثم تامل قوله ″
وايه لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون ″
والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر
قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم هل تجد
كل لفظة وهل تعلم كل كلمة تستقل بالاشتمال على
نهايه البديع وتضمن شرط القول البليغ فاذا
كانت الاية تنتظم من البديع وتتالف من البلاغات
فكيف لا تفوت حد المعهود ولا تجوز شاو المالوف
وكيف لا تحوز قصب السبق ولا يتعالى عن كلام
الخلق ثم اقصد الى سورة تامة فتصرف فى معرفة
قصصها وراع ما فيها من براهينها وقصصها تامل
السورة التى يذكر فيها النمل وانظر كل كلمة وفصل
فصل بدا بذكر السورة الى ان بين ان القران من
عنده فقال وانك لتلقى القران من لدن حكيم عليم
ثم وصل بذلك قصة موسى عليه السلام وانه
رأى نارا فقال لاهله امكثوا انى انست نارا ″

ساتيكم منها بخبر او اتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون
قد تصرف في وجه واتى وقال في سورة طه في هذه القصه
لعلى اتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى وفي موضع
لعلى اتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون
قد تصرف في وجوه واتى بذكر القصة على ضروب ″
ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك ولهذا قال فاليأتوا
بحديث مثله ليكون ابلغ في تعجيزهم واظهر للحجة عليهم
وكل كلمة من هذه الكلمات وان ابنات عن قصة فهي
بليغة بنفسها تامة في معناها ثم قال فلما جاءها
نودى ان بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله
رب العالمين فانظر الى ما اجرى له الكلام من علو ″
امر هذا النداء وعظم شان هذا الثناء وكيف
انتظم مع الكلام الاول وكيف اتصل بتلك المقدمت
وكيف وصل بها ما بعدها من الاخبار عن الربوبية
وما دل به عليها من قلب العصاحية وجعلها دليلا
يدله عليه ومعجزة تهديه اليه **وانظر الى الكلمات**
المفرده القائمة بانفسها في لحسن وفيها تتضمنه
من المعاني الشريفة ثم ما تشفع به هذه الاية وقرن
به هذه الدلالة من اليد البيضاء عن نور البرهان

من غير سوء ثم انظر في اية اية وكلمة كلمة هل تجدها
كما وصفنا من عجيب النظم وبديع الوصف فكل كلمة
لو افردت كانت في الجمال غاية في الدلالة اية فكيف
اذا قارنتها اخواتها وضامتها ذواتها تجرى في الحسن
مجراها وتاخذ في معناها ثم من قصة الى قصة ومن
باب الى باب من غير خلل يقع في نظم الفصل الى الفصل
وحتى يصور لك الفصل وصلا ببديع التاليف ″
وبليغ التنزيل وان اردت تتبين ما قلناه فضل
تبين ويتحقق بما ادعيناه زيادة تحقق فان كنت
من اهل الصنعة فاعمد الى قصة من هذه القصص
واحاديث من هذه الاحاديث فعبر عنه بعبارة
من جهتك واخبر عنه بالفاظ من عندك حتى ترى
فيما جيت به النقص الظاهر وتتبين في نظم ″
القران الدليل الباهر ولذلك اعاد قصة موسى
عليه السلام في سور وعلى طرق شتى وفواصل ″
مختلفة مع اتفاق المعنى فلعلك ترجع الى عقلك
وتسير ما عندك ان غلطت في امرك وذهبت
في مذاهب وهمك او سلطت على نفسك وجه
ظنك متى تهيا البليغ ان ينصرف في قدرته

في اشيا تختلفه فيجعلها موتلفه من غير ان يبين على
كلامه اعبا الخروج والتقل او يظهر على خطابه اثار
التكلف والتعمل واحسب انه يسلم من هذا ومحال
ان يسلم منه متى يتطفر بمثل تلك الكلمات الافراد
والالفاظ الاعلام حتى يجمع بينها فيجعلوا فيها فقرة من
كلامه وقطعة من قوله ولو اتفق له في احرف معدودة
واسطر قليلة فمتى يتفق له في قدر ما نقول انه من القران
معجز هيهات هيهات ان الصبح يطمس النجوم وان كانت
ظاهرة والبحر يغمر الانهار وان كانت زاخرة متى تهيا
للادمي ان يقول في وصف كتاب سليمان عليه السلام
بعد ذكر العنوان والتسميه هذه الكلمة الشريفة
العالية الا تعلوا على واتوني مسلمين وكخلوص من ذلك
الى ما صارت اليه من التدبير واشتغلت به من
المشورة ومن تعظيمها امر المستشارو من تعظيمهم
امرها وطاعتها بتلك الالفاظ البديعه والكلمات
العجيبه البليغه ثم كلامها بعد ذلك الا تعلم تمكن
قولها يا ايها الملأ افتوني في امري ما كنت قاطعة
امرا حتى تشهدون وذكر قولهم قالوا نحن اولوا قوة
واولوا باس شديد والامر اليك فانظري ماذا تامرين

لا

لا تجد في صفتهم انفسهم ابرع مما وصفهم به وقولهم
الامر اليك تعلم براعته بنفسه وعجيب معناه وموضع
اتفاقه في هذا الكلام وتمكن الفاصله وملامته لما
قبله وذلك قوله فانظري ماذا تامرين ثم الى هذا
الاختصار والى البيان مع الايجاز فان الكلام قد يفسده
الاختصار ويعميه التخفيف منه والايجاز وهذا مما
يزيده الاختصار بسطا لتمكنه ووقوعه موقعه
ويتضمن الايجاز منه تصرفا يتجاوز محله وموضعه
وكم جئت الى كلام مبسوط يضيق عن الافهام ووقعت
على حديث طويل يقصر عما يراد به من التمام ثم لو
وقع على الافهام فما يجب فيه من شروط الاحكام
او بما في القصة وما تقتضي من الاعظام ثم لو
ظفرت بذلك كله رايته ناقصا في وجه الحكمة او
مدخولا في باب السياسه او مضعوفا في طريق
السيادة او مشترك العبارات ان كان سيجود
المعنى او جيد البلاغة ستجلب المعنى او ستجلب
البلاغة جيد المعنى او ستنكر اللفظ وحشي العبارة
وستبهم لجانب ستنكر الوضع وانت لا تجد في جميع
ما في تلون عليك الا ما ذا بسطا فادوا اذا اختصر

كمل فى بابه وجادوا ذا سرح الحكيم فى جوانبه طرف
خاطره وبعث العليم فى اطرافه عيون مباحثه لم
يقع الاعلى محاسن تتوالى وبدايع تترى ثم فكر بعد
ذلك فى اية اية اوكلمة كلمة فى قوله ان الملوك اذا دخلوا
قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك
يفعلون هذه الكلمات الثلاث كل واحدة منها كالنجم
فى علوه ونوره وكاليا قوت يتلألا بين شذورهم
ثم تامل تمكن الفاصله وهى كلمة الثالثة وحسن موقعها
وعجيب حكمتها وراع معناها وان شرحت لك ما
فى كل اية طال عليك الامر ولكنى قد بينت بما فسرت
وقررت بما فصلت الوجه الذى سلكت والنحو الذى
قصدت والغرض الذى اليه رميت والسمت الذى
اليه دعوت ثم فكر بعد ذلك فى شئ ادلك عليه
وهو تعادل هذا النظم فى الاعجاز فى مواقع الايات
القصيرة والطويله والمتوسطه فاجل الراى فى
سورة سنورة واية اية وفاصله وتدبر لخواتم
والفواتح والبوادى والمقاطع ومواضع الفصل والوصل
ومواضع التنقل والتحويل ثم اقض ما انت قاض
وان طال عليك تأمل لجمع نا فتصر على سورة واحدة

اوعلى بعض سورة ما رايك فى قوله ان فرعون علا
فى الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف طائفة منهم
يذبح ابنائهم ويستحي نساءهم انه كان من المفسدين
هذه تشتمل على ست كلمات سنأوها وضيأوها على
ما ترى وسلاستها وماؤها على ما تشاهد ورونقها
على ما تعاين وفصاحتها على ما تعرف وهى تشتمل
على جملة وتفصيل وتفسير ذكر العلو فى الارض
باستضعاف لخلق بذبح الولدان وسبي النساء واذا
تحكم فى هذين الامرين فما ظنك بما دونهما لان النفوس
لا تطمئن على هذا الظلم والقلوب لا تقر على هذا
لجور ثم الفاصلة التى اوغلب فى التاكيد وكفت فى
التظليم وردت اخر الكلام على اوله وعطفت عجزه
على صدره ثم ذكر وعده تخليصهم بقوله ونريد
ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم ائمة
ونجعلهم الوارثين وهذا من التاليف بين المؤتلف
والجمع بين المستانس كما ان قوله وابتغ فيما اتاك
الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن
كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الارض
ان الله لا يحب المفسدين وهى خمس كلمات متباعدة

في الموقع نابية المطارح فدجعلها النظم البديع ،،
اشد تالقا من الشى الموتلف فى الاصل واحسن ،،
توافقا من المطابق فى اول الوضع و مثل هذه الايه
قوله وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة
سبحان الله وتعالى عما يشركون ومثلها وكم اهلكنا
من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن
من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين ومن الموتلف
قوله فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة
ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين وهذه
ثلاث كلمات كل كلمة منها اغزر من الكبريت الاحمر
ومن الباب الاخر قوله تعالى ولا تدع مع الله الها
اخر لا اله الا هو كل هالك الا وجهه له الحكم واليه
ترجعون كل سورة من هذه السور تتضمن من القصص
ما لو تكلفت العبارة عنها باضعاف كلماتها لم تستوف
ما استوفته من تمر تجد فيما تنظم ثقل النظم ونفور
الطبع وشراد الكلام وتهافت القول وتمنع جانبه
وقصورك فى الايضاح عن واجبه ثم لا تقدر على
ان تنتقل من قصة الى قصة وفصل الى فصل
حتى تتبين عليك المواضع الوصل ويستصعب
عليك

عليك اماكن الفصل ثم لا يمكنك ان تصل بالقصص
مواعظ زاجرة وامثالا سائرة وحكما جليلة وادلة
على التوحيد بينه وكلمات فى التنزيه والتحميد شريفة
وان اردت ان تحقق ما وصفت لك فتامل شعرا من
شئت من الشعراء المفلقين هل تجد كلامه فى المديح
والغزل والفخر والهجو يجرى مجرى كلامه فى ذكر القصص
انك لتراه اذا جأ الى وصف وقعة او نقل خبر عامى
الكلام سوقى الخطاب مسترسلا فى امره مقتسا هلا
فى كلامه عادلا عن المالوف من طبعه وناكبا عن
العهود من سجيته فان اتفق له فى قصة كلام جيد
كان قد رشنتين او ثلاثه وكان ما زاد عليها حشوا
وساجاوزها لغوا ولا اقول انها تخرج من عادته
عفوا لانه يقصر عن العفو ويقف دون العرف
ويتعرض للركاكه فان لم تقتنع بما قلت لك من الابيات
فتامل غير ذلك من السور هل تجد لجميع على ما وضعت
لك لو لم تكن الا سورة واحدة لكفت فى الاعجاز
فكيف بالقران العظيم ولو لم يكن الا حديث من سورة
لكفى واقنع وشفى ولو عرفت قدر قصة موسى
وحدها من سورة الشعراء لما طلبت بينه سواها

بل قصة من قصصه وهى قوله واوحينا الى موسى
ان اسر بعبادى انكم متبعون الى قوله فاخرجناهم
من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك واورثناها
بنى اسرائيل فاتبعوهم مشرقين حتى قال فاوحينا
الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل
فرق كالطود العظيم ثم قصة ابراهيم عليه السلام
ثم لولم تكن الا الايات التى انتهى اليها القول فى
ذكر القرآن وهى قوله وانه لتنزيل من رب العالمين
نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين
بلسان عربى مبين وهذه كلمات مفردة بفواصلها
منها ما يتضمن فاتحة وفاصلة ومنها ما هى فاتحة
وواسطة وفاصلة ومنها كلمة بفاصلتها تامة
دال على انه نزله على قلبه ليكون نذيرا وبين انه
اية لكونه بلسانا ثم وصل بذلك كيفية النذارة فقال
وانذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن
اتبعك من المومنين فتامل اية اية لتعرف الاعجاز
وتتبين التصرف البديع والتنقل فى الفصول الى اخر
السورة ثم راع المقطع العجيب وهو قوله وسيعلم
الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون هل يحسن

ان ياتى بمثله هذا الوعيد وان تنظم مثل هذا النظم
وان تجد مثل هذه النظاير السابقه وتصادف
مثل هذه الكلمات المتقدمه ولولا كراهة الاملال
لجيت الى كل فصل فاستقريت على الترتيب كلماته
وبنيت لك ما فى كل واحدة منها من البراعه ومن
عجيب البلاغة ولعلك تستدل بما قلنا على ما بعده
وتستضئ بنوره وتهتدى بهداه ونحن نذكر ايات
اخر لتزداد استبصارا وتتقدم تيقنا تامل من
الكلام المؤتلف قوله حم تنزيل الكتاب
من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب
شديد العقاب ذى الطول لا اله الا هو اليه المصير انت قد
تدربت الان بحفظ اسماء الله وصفاته فانظر متى وجدت
فى كلام البشر وخطبهم مثل هذا النظم فى هذا القدر
ومايجمع ما تجمع هذه الاية من شريف المعانى وحسن
الفاتحه والخاتمه وتامل ما بعدها من الاى واعرف
وجه الخلوص من شى شى من احتجاج الى وعيد
ومن اعذار الى انذار ومن فنون من الامر شى يختلفه
تاتلف بشريف النظم ومتباعدة تتقارب بعلى
الضم ثم جا الى قوله كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب

من بعدهم وهمت كل امة برسولهم ليا خذوه وجادلوا
بالباطل ليدحضوا به لحق فاخذتهم فكيف كان عقاب
وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب
النار الاية الاولى اربعة فصول والثانيه فصلان
وجه الوقوف على شرف الكلام ان تتامل موقع
قوله وهمت كل امة برسولهم ليا خذوه وهل تقع فى
لحسن موقع قوله ليا خذوه كلمة وهل تقوم مقامه
فى الجزالة لفظة وهل يسد مسده فى الاصالة نكتة
لو وضع موضع ذلك ليقتلوه اوليرجموه اولينفوه
اوليطردوه اوليهلكوه اوليذلوه ونحو هذا ما كان
ذلك بعيدا ولا بارعا ولا عجيبا ولا بالغا فانقد موضع
هذه الكلمة وتعلم بها ما تذهب اليه من نخب الكلام
الالفاظ والاهتداء للمعانى فان كنت تقدران
شيأ من هذه الكلمات التى عددناها عليك او غيرها
لاتقف بك على غرضنا من هذا الكتاب فلا سبيل
لك الى الوقوف على تصاريف الخطاب فافزع الى
التقليد واكف نفسك مؤونة التفكير وان فطنت
فانظر الى ما قال من رد عجز الخطاب الى صدره
بقوله فاخذتهم فكيف كان عقاب ثم ذكر عقبيها

العزاير

العذاب فى الاخرة واتلاها تلوا العذاب فى الدنيا
على الاحكام الذى رايت ثم ذكر المومنين بالقران بعد
ذكر المكذبين بالايات والرسل فقال الذين يحملون
العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به
الاان ذكر ثلاث ايات وهذا كلام مفصول تعلم
عجيب اتصاله بما سبق ومضى وانتسابه الى ما تقدم
وتقضى وعظم موضعه فى معناه ورفيع ما يتضمن
من تحميدهم وتسبيحهم وحكايه كيفيه دعا الملئكه
بقوله ربنا وسعت كل شى رحمة وعلما هل تعرف
شرف هذه الكلمه لفظا ومعنى ولطيف هذه لحكايه
وتلاوم هذا الكلام وتشاكل هذا النظام وكيف
يهتدى الى وضع هذه المعانى بشرى والى تركيب
ما يلايمها من الالفاظ انسى ثم ذكر ثلاث ايات
فى امر الكافرين على ما ترى ثم نبه على امر القران وانه
من اياته بقوله هو الذى يريكم اياته وينزل لكم من
السما رزقا وما يتذكر الا من ينيب وانما ذكر هذين
الامرين اللذين تختص بقدره عليهما لتناسبهما فى
انهما من تنزيله من السما ولان الرزاق الذى لم يرزق
لم يكن يبقا النفس تجب طاعته وانظر فى اياته ثم

قال فادعوا الله مخلصين له الدين ولوكره الكافرون
رفيع الدرجات ذوالعرش يلقى الروح من امره على من
يشا من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون
لايخفى على الله منهم شى لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار قف على هذه الدلالة وفكر فيها وراجع
نفسك فى مراعاة معانيها هذه الصفات العاليه
والكلمات الساميه والحكمة البالغة والمعانى الشريفة
تعلم وروده عن الالهيه ودلالتها على الربوبيه
ويتحقق ان الخطب المنقولة عنهم والاخبار المأثورة
كلماته الفصيحه من الكلام الذى تعلق به الهمم البشريه
وما تحوم عليه الافكار الادميه وتعرف مباينتها لهذا
الضرب من القول اى خاطر يتشوق الى ان يقول يلقى
الروح من امره على من يشا من عباده لينذر يوم التلاق
يوم هم بارزون واى لفظ يدرك هذا المضمار
واى حكيم يهتدى الى مالهذا من الغور واى فصيح
يهتدى الى هذا النظم ثم استقرى الاية الى اخرها
واعتبر كلماتها وراع بعدها قوله اليوم تجزى كل نفس
بما كسبت لاظلم اليوم ان الله سريع الحساب من
يقدر على تاليف هذه الكلمات القلائل على قربها

وعلى

وعلى خفتها فى النظم وموقعها من القلب ثم تامل
قوله وانذرهم يوم الازفة اذ القلوب لدى الحناجر
كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم
خائنة الاعين وما تخفى الصدور والله يقضى
بالحق والذين يدعون من دونه لايقضون بشى
ان الله هو السميع البصير كل كلمة من ذلك على
ما قد وصفتها من انه اذا راها الانسان فى رسالة
كانت عينها او فى خطبة كانت وجهها او قصيدة
كانت غرة غرتها وبيت قصيدتها كاليا قوتيه
التى تكون فريدة العقد وعين القارة ودرة الشذر
اذا وقع بين كلام وشحه واذا ضمن فى نظام زينه
واذا اعترض فى خطاب تميز عنه وبان بحسنه منه
ولست اقول هذا لك فى اية دون اية وسورة دون
سورة وفصل دون فصل وقصة دون قصة
ومعنى دون معنى لانى قد شرحت لك ان الكلام
فى حكاية القصص والاخبار وفى الشرايع والاحكام
وفى الديانه والتوحيد وفى الحج والتشبيب هو
بخلاف الكلام فيما عدا هذه الامور الا ترى ان
الشاعر المفلق اذا جا الى الزهد قصر والاديب

اذا تكلم فى بيان الاحكام وذكر الحلال والحرام لم
يكن كلامه على حسب كلامه فى غيره ونظم القران
لا يتفاوت فى شى ولا يتباين فى امر ولا يختل فى مجال
بل له المثل الاعلى والفضل الاسنى وفيما شرحناه
لك كفاية وفيما بيناه لك بلاغ ونذكر فى الاحكام آيات
وغيرها ايات اخر منها قوله يسئلونك ماذا احل
لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح ″
مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما امسكن
عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله
سريع الحساب انت تجد فى هذه الاية من الحكمة ″
والتصرف العجيب والنظم البارع ما يدلك ان شئت
على الاعجاز مع هذه الاختيار والايجاز فكيف اذا بلغ
ايات وكانت سورة ونحو هذه الاية قوله الذين ″
يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا
عندهم فى التوراة والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم
عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث
ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين
امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى ″
انزل معه اولئك هم المفلحون وكالاية التى بعدها

فى

فى التوحيد واثبات النبوة وكالايات الثلاث فى المواريث
اى بارع يقدر على جمع احكام الفرائض فى قدرها من
الكلام ثم كيف يقدر على ما فيها من بديع النظم وان
جئت الى ايات الاحتجاج كقوله تعالى لو كان فيهما الهة
الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون
لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وكالايات فى التوحيد
كقوله هو الحى لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين
الحمد لله رب العالمين وكقوله تبارك الذى نزل ″
الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذى له ملك
السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك
فى الملك وخلق كل شى فقدره تقديرا وكقوله تبارك
الذى بيده الملك وهو على كل شى قدير الى اخرها
وكقوله والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات
ذكرا ان الهكم لواحد رب السموات والارض وما
بينهما ورب المشارق انا زينا السما الدنيا بزينة
الكواكب وحفظا من كل شيطان ماردلا يسمعون
الى الملا الاعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم
عذاب واصب الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب
ثاقب هذه من الايات الذى قال فيها الله تعالى ″

ذكره الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني
تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم
وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من
يشأ ومن يضلل الله فما له من هاد وانظر بعين
عقلك وارجع جليه بصيرتك اذا تفكرت فى كلمة
كلمة مما نقلناه اليك وعرضناه عليك ثم فيما ينظم
من الكلمات ثم الى ان يتكامل فصلا وقصة او يتم
حديثا وسورة لا بل فكر فى جميع القرآن على هذا
الترتيب وتدبره على نحو هذا التنزيل فلم ندع
ما ادعيناه لبعضه ولم نصف ما وصفنا الا فى كلمة
كلمة وان كانت الدلالة فى البعض ابين واظهر ولاية
الكشف ابهر واذا تاملت على ما هديناك اليه
ووقفناك عليه فانظر هل ترى وقع هذا النوع فى
قلبك واشتماله على لبك وسريانه فى حسك
ونفوذه فى عروقك واستلاك به ائتلافا واحاطة
واهتداك به ايمانا وبصيرة ام هل تجد الرغب
ياخذ منك ما اخذه من وجه والهزة تعمل فى
جوانبك من لون والاريحية تستولى عليك من باب
وهل تجد الطرب يستفزك اللطيف ما فطنت

له والسرور يحركك من عجيب ما وقفت عليه وتجد
فى نفسك من المعرفة التى حدثت لك غرة وفى
اعطافك ارتياحا وهزة وترى لك فى الفضل تقدما
وتبريزا وفى اليقين سبقا وتحقيقا وترى مطارح
الجهال تحت اقدام الغفلة ومهاويهم فى ظلال القلة
والذلة واقدارهم بالعين التى يجب ان تلحظ بها
مراتبهم بحيث يجب ان تزيتها هذا كله فى تامل
الكلام ونظامه وتجيب معانيه واحكامه فان جئت
الى ما انبسط فى العالم من بركته وانواره وتمكن
فى الافاق من يمنه واضوائه وثبت فى القلوب من
اكياره واعظامه وتقرر فى النفوس من حتم امره
ونهيه ومضى فى الدماء من مفروض حكمه والى انه
جعل عماد الصلاة التى هى تلو الايمان فى التاكيد وثانيه
التوحيد فى الوجوب وفرض حفظه ووكل الصغار
والكبار بتلاوته وامر عند افتتاحه بما امر به لتعظيمه
من قوله فاذا قرات القرآن فاستعذ بالله من الشيطان
الرجيم لم يؤمر بالتعوذ لافتتاح امر كما امر به
لافتتاحه فهل يدلك هذا على عظيم شانه وراجح
ميزانه وعالى مكانه وجملة الامر ان تقدم الكلام

شديدة تميزة صعب ومما كتب الى الحسن بن عبدالله
العسكرى اخبرنى ابوبكر بن دريد قال سمعت ابا
حاتم يقول سمعت الاصمعى يقول فرسان الشعراء
اقل من فرسان الحرب وقال سمعت ابا عمرو بن
العلاء يقول العلماء بالشعر اعز من الكبريت الاحمر
واذا كان الكلام المتعارف المتداول بين الناس يشق
تمييزه ويصعب نقده يذهب عن محاسن الكبير
وينظرون الى الكثير من قبيحه بعين الحسن وكبير من
حسنه بعين القبح ثم يختلفون فى الاحسن منه
اختلافا كثيرا وتتباين اراوهم فى تفضيل ما تفضل
منه كيف لا يتحيرون فيما لا يحيط به علمهم ولا يتاتى
فى مقدورهم ولا يمل بخواطرهم وقد حير القوم الذين
لم يكن احد افصح منهم ولا اتم بلاغة ولا احسن
براعة حتى دهشوا حين ورد عليهم وولهت عقولهم
ولم يكن عندهم فيه جواب غير ضرب الامثال والتحرص
عليه والتوهم فيه وتقسيمه اقساما وجعله عضين
وكيف لا يكون احسن الكلام وقد قال الله تعالى
نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر
منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم

وقلوبهم

وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من
يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد استغنم فهم
هذه الاية وكفاك استفد علم هذه الكلمات
وقد اغناك فليس يوقف على حسن الكلام بطوله
ولا تعرف براعته بكثرة فصوله ان القليل يدل على
الكثير والقريب قد يهجم بك على البعيد ثم انه
سبحانه وتعالى لما علم من عظم شان هذه المعرفة
وكبر محلها وذها بها على اقوام ذكر فى اخر هذه
الاية ما ذكر وبين ما بين فقال ذلك هدى الله
يهدى به من يشاء فلا يعلم ما وصفنا لك الا بهداية
من العزيز الحميد وقال ومن يضلل الله فما له من هاد
وقال يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وقد بسطنا
لك القول رجاء افهامك وهذا المنهاج الذى رايته
ان سلكته ياخذ بيدك ويدل على رشدك ويغنيك
عن ذكر براعة اية اية لك واعلم انا لم نقصد فيما
سطرناه من الايات وسميناه من السور والدلالات
ذكر الاحسن والاكشف والاظهر لانا نعتقد فى كل
سورة ذكرناها واضربنا عن ذكرها اعتقادا واحدا
فى الدلالة على الاعجاز والكفاية فى التمنع والبرهان

ولكن لم يكن بد من ذكر بعض فذكرنا ما تيسر وقلنا
فيما اتجه في الحال وخطر وان كنا نعتقد ان الاعجاز
في بعض القرآن اظهر وفي بعضه ادق واغمض والكلام
في هذا الفصل يجئ بعد هذا فاحفظ عنا في الجملة ″
ما كررنا والسير بعد ذلك في التفصيل اليك وحصل
ما اعطيناك من العلامة ثم النظر عليك وقد اعتمدنا
على ان الايات تنقسم الى قسمين احدهما ما يتم ″
بنفسه او بنفسه وفاصلته فبينين في الكلام انارة
النجم في الظلام والثاني ما يشتمل على كلمتين او كلمات
اذا تاملتها وجدت كل كلمة منها في نهاية البراعة ″
وغاية البلاغة وانما تبين ذلك بان تتصور هذه ″
الكلمات مضمنة بين اضعاف كلام كثير او خطاب
طويل فتراها ما بيتها تدل على نفسها وتعلو على
ما قد قرن بها لعلو جنسها فاذا ضمت الى اخواتها
وجئت في ذواتها ارتك القلائد منظومة كما كانت
تريك عند تامل الافراد منها البواقيت منثورة ″
والجواهر مبثوثة ولولا ما اكره من تضمين القران
في الشعر لانشدتك الفاظا وقعت مضمنة لتعلمه
كيف تلوح عليه وكيف ترى بهجتها في اثنائه وكيف

تمتاز

تمتاز منه حتى انه لو تامله من لم يقرا القران لتبين
انه اجنبي من الكلام الذي تضمنه والباب الذي ″
توسطه وانكر مكانه واستكبر موضعه ثم تناسبها
في البلاغة والابداع وتماثلها في السلاسة والاغراب
ثم انفرادها بذلك الاسلوب وتخصصها بذلك الترتيب
ثم سايرما قدمنا ذكره مما نكره اعادته وانت ترى
غيره من الكلام يضطرب في مجاريه ويختل تصرفه
في معانيه ويتفاوت التفاوت الكثير في طرقه ويضيق
به النطاق في مذاهبه ويرتبك في اطرافه وجوانبه
ويسلمه للتكلف الوحش كثرة تصرفه ويحيله على التصنع
الظاهر موارد تتقله وتخلصه ونظم القران ومختلفه
وفي فصله ووصله وافتتاحه واختتامه وفي كل نهج
يسلكه وطريق ياخذ فيه وباب يتهجم عليه ووجه
نؤمه على ما وصفه الله تعالى به لا يتفاوت كما
قال ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا
كثيرا ولا يخرج عن تشابهه وتماثله كما قال قرانا
عربيا غير ذي عوج وكما قال كتابا متشابها ولا يخرج
عن ابانته كما قال بلسان عربي مبين وغيره من الكلام
كثير التلون دائم التغير يقف بك على بديع مستحسن

ويعقبه بقبيح مستهجن ويطلع عليك بوجه لحسناء
ثم يعرض للهجر بخد القبيحة الشوهاء ويأتيك باللفظة
المستنكره بين الكلمات التى هى كاللالى الزهر وقد
يأتيك باللفظة الحسنة بين الكلمات البهم قد يقع
اليك منه الكلام المنثور والنظم المنسوس والحديث المشوه
وقد تجد منه ملا يتناسب ولا يتشابه ولا يتالف ولا
يتماثل وقد قيل فى وصف ماجرى هذا المجرى وشعر
كبعر الكبش فرق بينه لسان دعى فى القريض دخيل
وقال اخر وبعض قريض القوم اولاد عله يكد لسان
الناطق المتحفظ فان قال قليل فقد نجد فى ايات القران
مايكون نظمه بخلاف ما وصفت ولاستمين الكلمات
بوجه البراعة وانما تكون البراعة عندك منه فى مقدار
يزيد على الكلمات المفردة وحد يتجاوز حد الالفاظ
المستبدة وان كان الاكثر على ما وصفته به قليل
له نحن نعلم ان قوله حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم
واخواتكم وعماتكم وخالاتكم الى اخر الاية ليس
من القبيل الذى يمكن اظهار البراعة فيه وابانة
الفصاحة وذاك يجرى عندنا مجرى مايحتاج الى
ذكره من الاسماء والالقاب فلا يمكن اظهار البلاغة

فيه

فيه نطلبها فى نحو هذا ضرب من الجهالة بل الذى
يعتبر فى نحو ذلك تنزيل الخطاب وظهور الحكمة فى الترتيب
والمعنى وذلك حاصل فى هذه الاية ان تاملت الا ترى
انه بدا بذكر الامام لعظم حرمتها وادلايها بنفسها
ومكان بعضيتها فهى اصل لكل من يدلى بنفسه منهن
لانه ليس فى ذوات الانساب اقرب منها ولما جاء
الى ذوات الاسباب لحق بها حكم الام من الرضاع
لان اللحم ينشره اللبن بما يغذوه فيتحصل بذلك
ايضا لهم حكل البعضيه فنشر الحرمة بهذا المعنى
والحقها بالوالده وذكر الاخوات من الرضاعه فنبه
بها على كل من يدلى بغيرها وجعلها تلو الام من الرضاع
والكلام فى اظهار حكم هذه الاية وفوايدها يطول ولم
تضع كتابنا لهذا وسبيل هذا ان نذكره فى كتاب معانى
القران ان سهل الله لنا املاه وجمعه فلم تنفك هذه
الاية من لحكم التى تخلف حكمة الاعجاز فى النظم والتاليف
والفائدة التى تتوب العدول عن البراعة فى وجه
الترصيف فقد علم السايل انه لم يات بشى ولم
يهتد للاعراض فى دلالات الكلام وفوايده ومتصرفاته
وفنونه وستوجهاته وقد يتفق فى الشعر ذكر الاساى

فيحسن موقعه كقول ابى داود الاسدى

ان يقتلوك فقد ثللت عروشهم ٭ بعتيبة بن الحارث بن شهاب

باشدهم كلبا على اعدائه ٭ واعزهم فقدا على الاصحاب

وقد يتفق ذكر الاسامى فيفسد النظم ويقبح الوزن

والايات الاحكاميات التى لابد فيها من امر البلاغة

يعتبر فيها من الالفاظ ما يعتبر فى غيرها وقد يمكن

فيها وكل موضع امكن ذلك فقد وجد فى القران فى

بابه ما ليس عليه مزيد فى البلاغة وعجيب النظم

ثم فى جملة الايات ما ان لم تراع البديع البليغ فى

الكلمات الافراد والالفاظ الاحاد فقد تجد ذلك

مع تركب الكلمتين والثلاث ويطرد ذلك فى الابتداء

والخروج والفواصل وما يقع بين الفاتحة والخاتمة من

الواسطة او باجتماع ذلك او فى بعض ذلك ما يخلف

الابداع فى افراد الكلمات وان كانت الجملة والمعظم

على ما سبق الوصف فيه واذا عرف ما يجرى اليه

الكلام وينهى اليه الخطاب ويقف عليه الاسلوب

وتختص به القبيل بان عند اهل الصنعة تميز بابه

وانفراد سبيله ولم يشك البليغ فى انتمايه الى الجهة

التى ينتهى اليها ولم يرتب الاديب البارع فى انتسابه

الى

الى ما عرف من نهجه وهذا كما يعرف طريقه مترسل

فى رسالته فهو لا يخفى عليه بنا قاعدته واساسه

فكانه يرا يعد عليه مجارى حركاته وانفاسه وكذلك

فى الشعر واختلاف ضروبه يعرف المتحقق به طبع كل

احد وسبيل كل شاعر وفى نظم القران ابواب

كثيرة لم تستوفها وتقصيها يطول عجايبها لا تنقضى

غمتها الكلام والاشارات واذا بلغ الكلام من هذا

القبيل مبلغا ربما زاد الافهام به على الاتضاح

او ساوى مواقع التقسير والشرح مع استيفايه

شروطه كان النهاية فى معناه وذلك كقوله سبحان

الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد

الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من اياتنا انه هو

السميع البصير فصول هذه الاية وكلماتها على

ما شرحناه من قبل البلاغة واللطف فى التقدم

وفى تضمن هذا الامر العظيم والمقام الكريم ويتلوا

هذا قوله واتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى

لبنى اسرائيل هذا خروج لو كان فى غير هذا الكلام

لتصور فى صورة المنقطع وقد تمثل فى هذا النظم

لبراعته وعجيب امره وموقع ما لا ينفك منه القول

وقد يتبين الكلام المتصل بعضه من بعض ويظهر
عليه التشبيج والتباين للخلل الواقع في النظم وقد
تصور هذا الفصل للطفه وصلا ولم يبن عليه
تميز لخروج ثم انظر كيف اجرى هذا الخطاب الى ذكر
نوح وكيف اثنى عليه وكيف يليق صفته بالفاصلة
ويتم النظم بهامع خروجها مخرج البروز من الكلام
الاول الى ذكره واجزائه الى مدحه بشكره وكونهم
من ذريته يوجب عليهم ان يسيروا بسيرته وان
يستنوا بسنته في ان يشكروا كشكره ولا يتخذوا من
دون الله وكيلا وان يعتقدوا تعظيم تخليصه
اياهم من الطوفان لما حملهم عليه ونجاهم فيه حين
اهلك من عداهم به وقد عرفهم انه انما يؤاخذهم
بذنوبهم وفسادهم فيما سلط عليهم من قبلهم
وعاقبهم ثم عاد عليهم بالافضال والاحسان حتى
يتذاكروا ويعرفوا قدر نعمة الله عليهم وعلى نوح
الذى ولدهم وهم من ذريته فلما عادوا الى جهالتهم
وتمردوا في طغيانهم عاد عليهم بالتعذيب ثم ذكر
الله عز وجل في ثلاث ايات بعد ذلك معنى هذه
القصة التى كانت لهم بكلمات قليله في العدد
كثيرة

كثيرة في الفوائد لا يمكن شرحها الا بالتفصيل الكثير
والكلام الطويل ثم لم يخل تضاعيف الكلام مما ترى
من الموعظة على اعجب تدريج وابدع تاليخ بقوله ان
احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها ولم ينقطع
بذلك نظام الكلام وانت ترى الكلام تبدء مع اتصاله
وينتشر مع انتظامه فكيف بالقاء ما ليس منه في اثنايه
وطرح ما يعده في اداجه الى ان خرج الى قوله عسى
ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا يعني ان عدتم الى
الطاعة عدنا الى العفو ثم خرج خروجا اخر الى ذكر
القران وعلى هذا فقس بحثك عن شرف الكلام وماله
من علو الشان لا يطلب مطلبا الا انفتح ولا يسلك
قلبا الا انشرح ولا يذهب مذهبا الا استنار واضأ
ولا يضرب مضربا الا بلغ فيه السما لا يقع منه على
سته فائدة فقدرت انها اقصر فوائدها الا قصرت
ولا تظفر بحكمه فظننت انها زبدة حكمها الا وقد
اخللت ان الذى عارض القران بشعر امرئ القيس
لاضل من حمار اهله واحمق من هنقة لو كان شعره
كله كالابيات المختاره التى قدمناها الا وجب
البراة منه قوله

وسن كسنيق سنأ وسنما ٥ ذعرت بدلاج الهجير تهوض
قال الاصمعى لا ادرى ما هذا ولا السنيق ولا
السنم وقال بعضهم السنق الكمة وقال فيها

وقوله

له قصر يا عير وساقا تمامه ٥ كنخل الهجان القيصرى العضوض
عصافير وذبان ودود واجراء من مجلجله الذياب
وزاد فى تقبيح ذلك وقوعه فى ابيات

فيها

فقد طوقت فى الافاق حتى ٥ رضيت من الغنيمه بالاياب
وكل مكارم الاخلاق سارت اليه همتى وغنا اكتسابى
وقوله فى قصيدة له فى نهاية

السقوط

ازمان فوها كلما نبهتها ٥ كالمسك فاح وظل فى الفدام
افلا ترى اظعانهن بواكرا ٥ كالنخل من شوكان حين صرام
وكان شاربها اصاب لسانه ٥ موم يخالط جسمه بسقام

وكقوله

لم تفعلوا فعل الحنظله ٥ انهم جبير بيسما ايتمروا
لاحيرى وفى ولا عدس ٥ ولا ست عير يحكها النضر
ان بنى عوف انتبوا حسبا ٥ ضيعة الداخلون اذا غدروا

وكقوله

ابلغ شهابا وابلغ ٥ هل اتاك لخير مال
انا تركنا متكم قتلى ٥ نجوعى وسبيا كالسعالى
يمشين بين رياحنا ٥ معترفات بجوع وهزال

ولم يقع مثل ذلك له وحده فقد قال الاعشى

فادخلك الله برد لكنان ٥ جذلا فى مذهب طيب

وقال ايضا

فرميت غفلة عينه عن شاته ٥ فاصبت حبة قلبها وطحالها

وقال فى فرسه

ويامر للجوم كل عشية ٥ تقت وتعليق فقد كاد يسنق

وقال ٥ شاو مشل شلول شلشل شول ٥

وهذه الالفاظ فى معنى واحد وقد وقع لزهير نحوه

كقوله

فاقسمت جهدا بالمنازل من منى ٥ وما سفحت فيه المقادم والقمل

كيف يقال هنا فى قصيدة يقول فيها

وهل ينبت الخطى الا وشيجه ٥ وتعرس الا فى منابتها النخل

وكقول الطرماح

سوف تدينه من ليس سبنتاه ٥ امارت بالبول ما الكراض
السبنتاه الناقه الصلبه والكراض ما الفحل اسالت

ما الفحل مع البول فلم تعقد عليه ولم تحمل فتضعف
والماير السايل **فان قال قائل** اجدل تحاملت على
امرئ القيس ورايت أن شعره يتفاوت من اللين ،،
والشراعة وبين اللطف والشكاسه وبين التوحش
والاستيناس والتقارب والتباعد ورايت الكلام
الاعدل افضل والنظام المستوسق اكمل وانت تجد
البحترى يسيق فى هذا الميدان ويفوت الغاية فى هذا
الشان وانت ترى الكتاب يفضلون كلامه على كل
كلام ويقدمون رايه فى البلاغة على كل راى وكذلك
تجد لابى نواس من بهجة اللفظ ودقيق المعنى ما يتحير
فيه اهل اللفظ ويقدمه الشطار والظراف على كل
شاعر ويرون لنظمه روعة لا يرون لنظم غيره
وربما لا يتفق لسواه فكيف يعرف فضل ما سواه
فالجواب ان الكلام فى الشعر لا يجوز ان يوازن به
القران قد تقدم واذكنا قد بينا ان شعر امرئ ،،
القيس وهو كبيرهم الذى يقرون بتقدمه ،،
وشيخهم الذى يعترفون بفضله وقايدهم الذى
يأتمون به وامامهم الذى يرجعون اليه كيف
سبيله وكيف طريق منزلته عن منزلة نظم القران

وانه

وانه لا يخلط بشعره غبار ذلك النظم وهو اذا لحظ
ذلك كان **كما قال**

فاصبحت من ليلى الغداة كناظر ٭ مع الصبح فى اعجاز نجم مغرب

وكما قال ايضا

راحت مشرقة ورحت بمغربا ٭ فمتى التقا مشرق ومغرب

واذا كنا قد بينا فى العاقدة ما علمت وفصلنا لك فى
شعره ما عرفت لم تحتج الى ان تتكلم على شعر شاعر
وكلام كل بليغ والقليل يدل على الكثير وقد بينا فى
جملة مبانية اسلوب نظم القران جميع الاساليب
ومزيته عليها فى النظم والترتيب وتقدمه عليها
فى كل حكمة وبراعة ثم تكلمنا على التفصيل على ،،
ما شاهدت فلا يبقى علينا بعد ذلك سؤال ثم نقول
انت تعلم ان من يقول بتقدم البحترى فى الصنعة ،،
به من الشغل فى تفضيله على بن الرومى او تسويه
ما بينهما ما لا يطمع معه فى تقديمه على امرئ القيس
ومن فى طبقته وكذلك ابى نواس انما يعدل شعره
بشعر اشكاله ويقابل كلامه بكلام اضرابه من
اهل عصره وانما يقع بينهم التباين اليسير والتفاوت
القليل فاما ان يظن ظان او يتوهم متوهم ان

جنس الشعر معارض لنظم القرآن فكانما خرمن السماء
فتخطفه الطير او تهوى به الريح فى مكان سحيق وانما
هى خواطر يخير بعضها على بعض ويقتدى فيها بعض
ببعض والغرض الذى يرمى اليه يصح التوافى عليه فى
الجملة فهو قبيل متداول وجنس متنازع وشريعه
مورود وطريقه مسلوكة الا ترى الى ماروى عن
الحسين بن الضحاك قال انشدنى ابو نواس قصيدته
التى يقول فيها

وشاطر الندمان تختلق التكريه زان المجون بالنسك
كانه نصب كاسه قمر يكرع فى بعضهم انجم الفلك

قال فانشدنى ابو نواس بعد ايام قصيدته التى
يقول فيها

اعاذل اعتبت الامام واعتب واعربت عما فى الضمير واعربا
وقلت لساقينا اجرها فلم اكن لبابى امير المومنين واشربا
فجوزها عنى عقارا ترى لها الى الشرف الاعلى شعاعا مطينا
اذا عب فيها شارب القوم خلته يقبل فى داج من الليل كوكبا

قال فقلت له يا ابا على هذه مصالته فقال لى اتظن
انه يروى لك معنى وانا حى فتامل هذا الاخذ وهذا
الوضع وهذا الاتباع اما الخليع فقد راى الابداع
فى

فى المعنى فاما العبارات فانها ليست على ما ظننه لان
قوله يكرع ليس بصحيح وفيه ثقل بين وتفاوت وفيه
احالة لان القمر لا يصح تصور ان يكرع فى نجم واما
قول ابى نواس اذا عب فيها فكلمة قد قصد فيها المتانه
وكان سبيله ان يختار سواها من الفاظ الشرب ولو
فعل ذلك كان املح وقوله شارب القوم فيه ضرب
من التكلف الذى لا بد له منه او من مثله لاقامة
الوزن ثم قوله خلته يقبل فى داج من الليل كوكبا
تشبيه بحالة واحدة من احواله وهى ان يشرب حيث
لا ضوء هناك وانما ينتاوله ليلا فليس بشبيه
مستوفى على ما فيه من الوقوع والملاحة وقد قال
ابن الرومى ما هو اوقع منه واملح وابدع
ومهفهف تمت محاسنه حتى تجاوز منية النفوس
تصبو الكوس الى مراشفه وتحن فى يده الى الكاس
ابصرته والكاس بين فمه وبين انامل خمس
وكانها وكان شاربها قمر يقبل عارض الشمس
ولا شك فى ان تشبيه بن الرومى احسن واعجب الا
انه تمكن من ايراده فى بيتين وهما مع سبقهما الى المعنى
اتيا به فى بيت واحد وانما اردت بهذا ان اعرفك

ان هذه امور متقاربه يقع فيها التنافس والتعارض
والاطماع تتعلق بها والهمم تسمو اليها وهى الف طباعنا
وطوع مداركنا ومجانس لكلامنا واعجاب قوم بنحو هذا
ومايجرى مجراه وايثارا قوام الشعر البحترى على ابى
تمام وعبد الصمد وابن الرومى وتقديم قوم هولاء او
بعضهم عليه وذهاب قوم عن المعرفة ليس بامر يضرينا
ولا سبب يعترض على افهامنا ونحن نعمد الى بعض
قصايد البحترى فنتكلم عليها كما تكلمنا على قصيدة امرئ
القيس ليزداد الناظر فى كتابنا بصيرة ويستخلص
من ست المعرفة سريره ويعلم كيف كيف تكون الموازنة
وكيف تقع المشابهه والمقاربه ونجعل تلك القصيدة
التى نذكرها اجود شعر سمعت الصاحب اسماعيل
ابن عباد يقول سمعت ابا الفضل بن العميد يقول
سمعت ابا مسلم الرستمى يقول سمعت البحترى يذكر
ان اجود شعر قاله اهلا بذا لكم لخيال المقبل قال
وسمعت ابا الفضل بن العميد يقول اجود شعره
هو قوله فى الشيب زجرله لو كان ينزجر قال وسئلت
عن ذلك فقلت البحترى اعرف بشعر نفسه من غيره
فنحن الان نقول فى هذه القصيده مايصلح فى مثل هذا

قوله

قوله

اهلا بذا لكم لخيال المقبل ٥ فعل الذى نهواه اولم يفعل
برق سرى فى بطن وجرة ٥ فاهتدت بسناه اعناق الركاب الضلل
البيت الاول فى قوله ذا لكم لخيال ثقل روح وتطويل
وحشو وغيره اصلح له واخف منه

قول الصنوبرى

اهلا بذلك الزور من زور ٥ شمس بدت فى فلك الدور
وعذوبه الشعر تذهب بزيادة حرف او نقصان حرف
فيصير الى الكزازه وتعود ملاحته بذلك ملوحة وفصاحته
عيا وبراعته تكلفا وسلاسته تعسفا وملاسته
تلويا وتعقدا فهذا فصل وفيه شى اخر وهو ان هذا
الخطاب انما يستقيم مهما خوطب به الخيال حال اقباله
فاما ان يحكى الحال التى كانت وسلفت على هذه
العباده ففيه عهدة وفى تركب الكلام على هذا المعنى
عقدة وهو لبراعته وحذقه فى هذه الصنعة يعلق
نحو هذا الكلام ولا ينتظر فى عواقبه لان ملاحة
قوله يغطى عن عيون الناظرين فيه نحو هذه الامور
ثم قوله فعل الذى نهواه اولم يفعل ليست بكلمة
رشيقة ولا لفظة ظريفة وان كان كسائر الكلام

فاما بيته الثانى فهو عظيم الموقع فى البهجة وبديع
الماخذ حسن الرواء انيق المنظر والمسمع يملا القلب
والفهم ويفرح لخاطر وتسرى بشاشته فى العروق
وكان البحترى يسمى نحو هذه الابيات عروق الذهب
ونحوه من الخلل مع الديباجه لحسنة والرونق المليح وذلك
انه جعل الخيال كالبرق لاشراقه فى مسراه كما يقال انه
يسرى كنسيم الصبا فيطيب ما مر به كذلك يضئ
ما مر حوله وينور ما مر به وهذا غلو فى الصنعة الا
ان ذكره بطن وجرة حشو وفى ذكره خلل لان النور
القليل يوشج بطون الارض وما اطمان منها بخلاف
ما يوشج فى غيرها فلم يكن من سبيله ان يربط ذلك
ببطن وجرة وتحديده المكان على لكشواحمد من
تحديد امرئ القيس من ذكر سقط اللوى بين الدخول
فحومل فتوضح فالمقراه لم يقنع بذكر حد حتى حده
باربعة حدود كانه يريد بيع المنزل فيخشى ان اخل
بحد ان يكون بيعه فاسدا او شرطه باطلا فهذا
باب ثم انما يذكر الخيال بخفاء الاثر ودقة المطلب
ولطف المسلك وهذا الذى ذكر يضاد هذا الوجه
ويخالف ما يوضع عليه اصل الباب ولا يجوز ان

يقدر

يقدر مقدر ان البحترى قطع الكلام الاول وابتدأ
بذكر برق لمع من ناحية حيينه من جهة بطن وجرة
لان هذا القطع ان كان فعله كان خارجا به عن النظم
المحمود ولم يكن مبدعا ثم كان لا تكون فيه فائدة
لان كل برق سمل وتكرر وقع الاهتداء به فى الظلام
وكان لا يكون بما نظمه مفيدا ولا مستقدما وهو على
ما كان من قصده فهو ذو لفظ محمود ومعنى مستجلب
غيره مقصود ويعلم بمثله انه طلب العبارات
وتعليق القول بالاشارات وهذا من الشعر لجنس
الذى يحلو لفظه وتقل فوايده

كقول القائل

ولما قضينا من منى كل حاجة ٥ ومسح بالاركان من هو ماسح
وشدت على حدب المهارى رحلنا ٥ ولا ينظر الغادى الذى هو رايح
اخذنا باطراف الاحاديث بيننا ٥ وسالت باعناق المطى الاباطح

هذه الفاظ بعيدة المطالع والمقاطع حلوة المجانى
والمواقع قليلة المعانى والفوايد فاما قول البحترى
بعد ذلك

من غادة منعت وتمنع نيلها ٥ قلوانها بزلت لنا لم تبذل
كالبدر غير مختل والغصن غير ميل والدعص غير سهيل

فالبيت الاول على ما تكلف فيه من المطابقه والخبثم
الصنعة الفاظه او فرمن معانيه وكلماته اكثر من
فوائده ونعلم ان القصد وضع العبارات فى مثله
ولوقال هي ممتوعة مانعة كان ينوب عن تطويله
وتكثيره الكلام وتهويله ثم هو معنى متداول
مكرر على كل لسان واما البيت الثانى فانت تعلم
ان التشبيه بالبدر والغصن والدعص امر منقول
متداول ولا فضيلة فى التشبيه نحو ذلك وانما يبقى
تشبيهه ثلاثة اشيا بثلاثة اشيا فى البيت وهذا ايضا
قريب لان المعنى مكرر ويبقى له بعد ذلك شى اخر وهو
تعلمه للترصيع فى البيت كله الا ان هذه الاستثنات
فيها ضرب من التكلف لان التشبيه بالغصن كاف
فاذا فراد فقال كالغصن غير معوج كان ذلك من باب
التكلف خللا وكان ذلك زيادة يستغنى عنها وكذلك
قوله كالدعص غير مهيل لانه اذا انتها لخرج عن ان
يكون مطلق التشبيه مصروفا اليه فلا يكون لتقييده
معنى واما قوله

مالحسن عندك يا سعاد بمحسن ٥ فيما اتاه ولا الجمال بجمل
عذل المشوق وان من شيم الهوى ٥ فى حيث تجهله بجاج العذل

قوله

قوله فى البيت الاول عندك حشو بواقع ولا بديع وفيه
كلفة والمعنى الذى قصده انت تعلم انه متكرر على
لسان الشعراء وفيه شى اخر لانه يذكر ان احسنها
لم يحسن فى تهييج وجده وتهييم قلبه وضد هذا المعنى
هو الذى يميل اليه اهل الهوى والحب وبيت كثاجم
اسلم من هذا وابدع من الخلل

وهو قوله

بحياة حسنك احسنى وبحق من ٥ جعل الجمال عليك وقفا اجملى

واما البيت الثانى فان قوله فى حيث حشا بقوله فى
كلامه ووقع ذلك مستكرا وحشيا نافرا عن طبعه
جافيا فى وضعه فهو كرقعة من جلد فى ديباج حسن
فهو يمحو احسنه ويا تيه على جماله ثم فى المعنى شى
لان بجاج العذل لا يدل على هو مجهول ولو كان مجهولا
لم يهتد والعذل عليه فعلم ان القصد استجلاب
العبارات دون المعانى ثم لو سلم من هذا الخلل لم
يكن فى البيت معنى بديع ولا يشى يفوت قول الشعرا
فى العذل فان ذلك جلهم الذلول وقولهم المكرر

واما قوله

ما ذا عليك من انتظام ستيم ٥ بل ما يضرك وقفه فى منزل

ان سئل عني عن الجواب فلم يطق ٥ رجعا فكيف يكون ان لم يسل
لست انكر حسن البيتين وظرفهما ورشاقتهما ولطفهما
ومأتهما وبهجتهما الا ان البيت الاول منقطع عن الكلام
المتقدم ضربا من الانقطاع لانه لم يجر لمشافهة العاذل
ذكر وانما جرى ذلك المجرى على وجه لا يتصل هذا البيت
به ولا يلايمه ثم الذى ذكره من الانتظار وان كان
مليحا في اللفظ فهو في المعنى متكلف لان الواقف
في الدار لا ينتظر امرا وانما يقف تحسرا وتلذذا وتحيرا
والشرط الاخير من البيت واقع والاول مستجلب ،
وفيه تعليق على امر لم يجر له ذكر لان وضع البيت
يقتضى تقدم عذل على الموقوف ولم يحصل ذلك مذكورا
في شعره من قبل واما البيت الثاني فانه معلق بالاول
لم يستقل الا به وهم يعيبون وقوف البيت على غيره
ويرون ان البيت التام هو المحمود التام والمصراع التام
بنفسه بحيث لا يقف على المصراع الاخر افضل واتم
واحسن وقوله فكيف يكون ان لم يسئل مليح جدا ،
ولا تستتم ملاحة ما قبله عليه ولا يطرد فيه الما
اطراده فيه وفيه يشى اخر لانه لا يصلح ان يكون
السوال سببا لان يعيا عن الجواب فظاهر القول

يقتضيه

يقتضيه فاما قوله
لا تكلفن لى الدموع قلت لى ٥ دمعا يتم عليه ان لم يفضل
ولقد سكنت الى الصدود من النوى ٥ والشرى ارى عند طعم لحنظل
وكذاك طرفة حين اوجس ضربة ٥ في الراس هان عليه فصد الاكحل
فالبيت الاول يخالف لما عليه مذهبهم في طلب الاسعاد
بالدموع والاسعاف بالبكاء ويخالف الاول كلامه لانه
يفيد مخاطبة العذل وهذا يفيد مخاطبة الرفيق ،
وقد يبنت لك ان القوم يسلكون حفظ الالفاظ
وتصنيعها دون ضبط المعانى وترتيبها ولذلك قال
الله عز وجل والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم
في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون فاخبر
انهم يتبعون القول حيث توجه بهم واللفظ كيف
اطاعهم والمعانى كيف يتبع الفاظهم وذلك خلاف
ما وضع عليه الابانة عن المقاصد بالخطاب ولذلك
كان طلب الفصاحة فيه اسهل وامكن فصار بهذا
ابلغ خطابهم ثم لو ان هذا البيت وما يتلوه من
البيتين سلم من نحو هذا لم يكن في ذلك شى يفوت
شعر شاعر او كلام متكلم واما قوله والشرى ارى
فانه وان كان قد تصنع له من جهة الطبقات

ومن جهة التجنيس المقارب فهي كلمة ثقيلة على اللسان
وهم يذمون نحو هذا كما عابوا على ابي تمام

قوله

كريم متى امدحه امدحه والورى ٥ معي ومتى ما لمته لمته وحدى

ذكر لي الصاحب بن عباد انه جارى ابا الفضل بن
العميد في محاسن القصيدة حتى انتهى الى هذا البيت
فذكر له ان قوله امدحه معيب لثقله من جهة تدارك
حروف الحلق ثم رايت بعد ذلك المتقدمين قد تكلموا
في هذه النكتة فعلمت ان ذلك شيء عند اهل الصنعة
معروف ثم ان قوله عندا كل لحنظل ليس بحسن ولا
واقع واما البيت الثالث فهو اجنبي من كلامه غريب
في طباعه نافر من جملة شعره وفيه كنازه وفجاجة
وان كان المعنى صلحا

فاما قوله

واغر في الزمن البهيم محجل ٥ قد رجت منه على اغر محجل

كالهيكل المبني الا انه في الحسن جاء كصورة في هيكل
فالبيت الاول لم يتفق له خروج حسن بل هو مقطوع
عما سلف من الكلام وعامة خروجه نحو هذا وهو
غير بارع في هذا الباب وهذا مذموم معيب منه

لان

لان من كان صناعته الشعر وهو يأكل به وتغافل
عما يرفع اليه في كل قصيده واستهان باحكامه
وتجويده مع تتبعه لان يكون عامة ما يصدر به
اشعاره من النسيب عشرة ابيات وتتبعه للصنعة
الكثيرة وتركيب العبارات وتنقيح الالفاظ وتزويرها
كان ذلك ادخل في عيبه وادل على تقصيره او قصوره
وانما يقع له لخروج منه واما قوله واغر في الزمن البهيم
محجل فان ذكر التحجيل في الممدوح قريب وليس بجيد
وقد يمكن ان يقال انه اذا قرن بالاغر حسن وجرى
مجراه وانخرط في سلكه واهوى الى مضماره ولم ينكر
لمكانه من جواره فهذا اعذر والعدول عنه
احسن وانما اراد ان يرد العجز على الصدر ويأتي
بوجه في التجنيس وفيه يشي لان ظاهر كلامه يوهم
انه قد صار ممتطيا الاغر الاول ورائحا عليه ولو سلم
من ذلك لم يكن فيه ما يفوت حدود الشعراء واقاويل
الناس فاما ذكر الهيكل في البيت الثاني ورده عجز
البيت عليه وظنه انه قد ظفر بهذه اللفظة
وعمل شيا حتى كررها في كلمة فيها ثقل ونحن
نجدهم اذا اراد وا ان يصفوا بنحو هذا قالوا

ماهو الاصورة وماهو الامتثال وماهو الادمية
وماهو الاطبية ونحو ذلك من الكلمات لخفيفه على
القلب واللسان وقد استدرك هو ايضا على نفسه
فذكر انه كصورة في هيكل ولو اقتصر على ذكر الصورة
وحذف الهيكل كان اولى واجمل ولو ان هذه الكلمة
كررها اصحاب الغرايم على الشياطين لراعوهم بها
وافزعوهم بذكرها وذلك من كلامهم وشبيه بصناعتهم

واما قوله

وفي الضلوع يشد عقد خزامه ٥ يوم اللقاء على معم مخول

اخواله للرستمين بفارس ٥ وجدوده للتبعين بوكل

نبل المخزم مما يمدح به لمخيل فهو لم يأت فيه ببديع
وقوله يشد عقد خزامه ذاخل في التكلف والتعسف
لا يقبل من مثله وان قبلناه من غيره لانه يتبع الالفاظ
وينقدها نقدا شديدا فهلا قال يشد خزامه او ياتي
بحشو اخر سوى العقد فقد عقد هذا البيت يذكر
العقد ثم قوله يوم اللقاء حشو اخر لا يحتاج اليه
واما البيت الثاني فمعناه اصلح من الفاظه لانها
غير مجانسة لطباعه وفيها غلظ ونفار

واما قوله

///

-لهوى

يهوى كما تهوى العقاب وقد رات ٥ صيدا وتنقض انقضاض الاجدل

متوجس برقيقتين كما نما ... ريان من ورق عليه موصل

ما ان يعاف قذى ولو اوردته ٥ يوم خلائق حمدويه الاحول

البيت الاول صالح وقد قاله الناس ولم يسبق اليه
ولم يقل ما لم يقولوه. بل هو منقول وفي سرعة عدو
الفرس تشبيهات ليس هذا بابعها وقد يقولون يفوت
الطرف ويسبق الريح ويجاري الوهم ويكبو النظر ولولا
ان الاتيان على محاسن ما قالوه في ذلك يخرج الكلام
عن غرض الكتاب لنقلت لك جمله مما ذهبوا اليه في هذا
المعنى فتتبع تعلم انه لم يات فيها بما يجل عن الوصف
او يفوت منتهى لحد على ان الهوى يذكر عند الانقضاض
خاصة وليس للفرس هذه الصفة في الحقيقة الا ان
يشبه حده في العدو وبحالة انقضاض البازي والعقاب
وليست تلك الحالة باسرع احوالي طيرانها واما البيت
الثاني فقوله ان الاذنين كانهما من ورق موصل وانما
اراد بذلك حدتهما وسرعة حركتهما واحساسهما
بالصوت كما يحس الورق بخفيف الريح وظاهر التشبيه
غير واقع واذا ضمن ما ذكرنا من المعنى كان المعنى حسنا
ولكن لا يدل عليه اللفظ وانما يجري مجرى المضمن

وليس هذا البيت برايق اللفظ ولا متشاكل فيه لطبعه
غير قوله متوجس برقيقتين فان هذا القدر هو حسن
واما البيت الثالث فقد ذكرنا فيما مضى من الكتاب انه
من باب الاستطراد ونقلنا نظاير ذلك من قول الى تمام
وغيره وقطعه الى تمام فى نهاية الحسن فى هذا المعنى
والذى وقع للبحترى فى هذا البيت عندى ليس بجيد
فى لفظ ولا معنى وهو بيت وحش جدا قد صار قذى
فى عين هذه القصيده بل وخزا فيها ووبال عليها
قد قدر صفاها واذهب بهاها وماها وطمس
بظلمته سناها وما وجه مدح الفرس بانه لايعاف
قذى من الماء اذا وردها كانه اراد ان يسلك مسلك
بشار فى قوله ولا يشرب الماء الا بدم واذا كان لهذا
الباب مجانبا وعن هذا السمت بعيدا فهلا وصفها
بعزة الشرب كما وصفها المتنبى فى قوله وصول الى
المستصعبات بخيله فلو كان قرن الشمس ما ورد
وهلا سلك فيه مسلك القائل

وانى للماء الذى شابه القذى ٭ اذا كثرت وراده لعيوف

ثم قوله ولو اوردته يوما حشوبا رد ثم قوله حمدويه
الاحول وحش جلفا فما اسقت هذا البيت وابخضه

وما

وما اثقله واسخفه وانما غطى على عيبه وزين له
ايراده طمعه فى الاستطراد وهلا طمع فيه على وجه
لا يغض من بهجة كلامه ولا معنى الفاظه فقد كان
يمكن ذلك ولا يعتذر فاما قوله

ذئب كما سحب الرداء يذب عن عرف وعرف كالقناع المسبل
تتوهم الجوزاء فى ارساغه والبدر فوق جبينه المتهلل

فالبيت الاول وحش الابتداء منقطع عما سبق من الكلام
وقد ذكرنا انه لا يهتدى لوصل الكلام ونظام بعضه
الى بعض وانما يتصنع لغير هذا الوجه وكان يحتاج ان
يقول كالرداء فقد حذف الوصل غير متسق ولا
مليح وكان من سبيله الا يخفى عليه ولا يذهب عن مثله
ثم قوله كما سحب الرداء قبيح فى تحقيق التشبيه وليس
بواقع ولا مستقيم فى العبارة الا على اضمار انه ذئب
يسحبه كما يسحب وقوله يذب عن عرف ليس بحسن
ولا صادق والمحمود ما ذكره امرئ القيس وهو قوله

فريق الارض ليس بالغزل واما قوله تتوهم الجوزاء
فى ارساغه فهو تشبيه مليح ولكنه لم يسبق اليه
ولا انفرد به ولو سخت لك ما قاله الشعراء فى تشبيه
الغرة بالهلال والبدر والنجم وغير ذلك من الامور

وتشبيه الجول لتجبت من بدايع قد وقعوا عليها ||
وامور مليحة قد ذهبوا اليها وليس ذلك موضع كلامنا
فنتبع ذلك في اشعارهم يعلم ما وصفت لك واعلم انا
تركنا بقيه كلامه في وصف الفرس لانه ذكر عشرين
بيتا في ذلك والذى ذكرناه في المعنى يدل على ما بعده
ولا بعد وا ما تركناه ان يكون متوسطا الى حد لا يفوت
طريقة الشعراء ولو تتبعت اقاويل الشعراء في وصف
الخيل علمت انه وان جمع فاوعى وحش فنادى قفيهم
من سبقه في ميدانه ومنهم ومنهم من سواه في شاوه
ومنهم من دناه فالقبيل واحد والنسيج متشكل ولولا
كراهة التطويل لنقلت جملة من اشعارهم في ذلك
لتقف على ما قلت فتجاوزنا الى الكلام على ما قاله
في المدح في هذه القصيدة قال

محمد بن علي الشرف الذى ○ لا يلحظ الجوزاء الا من علي
وسحابة لو تتابع سرنها ○ فينا الراح المزن غير مخجل
والجود يعذله عليه حاتم ○ سرفا والاجود لمن لم يعذل

البيت الاول منقطعا عما قبله على ما وصفنا به
شعره من قطعه المعاني وفصله بينها وقلة تاتيه
للتجويد لخروج والوصل وذلك نقصان في الصناعة

وتخلف

وتخلف في البراعة وهذا اذا وقع في مواضع قليلة غدر
فيها واما اذا كان بنا الغالب من كلامه على هذا
فلا غدر له واما المعنى الذى ذكره فليس بشي مما
سبق اليه وهو شي مشترك فيه وقد قالوا في
نحو وان مجده سما السما وقالوا في نحوه الكثير ||
الذى يصعب نقل جميعه وكما قال المتنبي ||

وعزمه بعثتها همة زحل ○ من تحتها بمكان الترب من زحل

وحدثني اسماعيل بن عباد انه راى ابو الفضل بن
العميد قال لرجل ثم لمن حضره اتدرى من هذا قال
هذا الذى قال في ابيه البحترى لمحمد بن القاسم ||

الشرف الذى فذلك على استعظامه للبيت بما مدح
به من البيت والبيت الثاني في تشبيه جوده بالسحاب
قريب وهو حديث مكرر ليس ينفك مديح شاعر
منه وكان من سبيله ان يبدع فيه زيادة ابداع كما قد
يقع لهم في نحو هذا ولكن لم يتصنع له وارسله ارسالا
وقد وقع في المصراع الثاني ضرب من الخلل وذلك
ان المزن انما ينحل اذا منع نيله فذلك موجود في
كل نيل ممنوح وكلاهما محمود مع الاسعاف فان
اسعف احدهما ومنع الاخر لم يمكن التشبيه

وان كان انما شبه غالب احدهما بالاخر وذكر قصورا
احدهما عن صاحبه حتى انه قد يخل فى وقت والاخر
لا يخل بحال فهذا جيد وليس فى حمل الالفاظ على
الاشارة الى هذا شئ والبيت الثالث وان كان معناه
مكررا فلفظه مضطرب بالتاخير والتقديم يشبه
الفاظ المبتدين **واما قوله**

فضل وافضال وما اخذ المدى ● بعد المدى كالفاضل المتفضل
سار ادارج العفاة الى الندى ● لا يصنع المعروف غير معجل

فالبيت الاول منقطع عما قبله وليس فيه شى
غير التجنيس الذى ليس ببديع لتكرره على كل لسان
وقوله ما اخذ المدى فانه لفظ مليح وهو **كقول القائل**

قد ركب الالة بعد الاله ● وروى لكاله بعد لكاله

وكقول امرئ القيس

شموحيات الماحلا على حال ● ولكنها طريقة مثله فهو قيها تابع

واما البيت الثانى فقريب فى اللفظ والمعنى وقوله
لا يصنع المعروف ليس بلفظ محمود

واما قوله

عال على نظر الحسود كانما ● جذبته افراد النجوم باجبل
او ما رايت المجد الق رحله ● فى ال طلحة ثم لم يتحول

فالبيت

فالبيت الاول منكر جدا فى جر النجوم بالا رسان
موضعه الى العلو والتكليف فيه واقع والبيت الثانى
اجنبى عنه بعيد منه وافتتاحه ردى وما وجه
الاستفهام والتقرير والاستبانه والتوقيف
والتبيان اجنبيان من كلامه غرسان فى قصيدته
ولم يقع له فى المدح فى هذه القصيدة شى جيد الا
ترى انه **قال بعد ذلك**

نفسى فداوك يا محمد من فتى ● يوفى على ظلم الخطوب فتنجلى
انى اريد ابا سعيد والعدى ● بينى وبين سحابه المتهلل

كان هذا ليس من طبعه ولا من سبكه **وقوله**

مضر الجزيرة كلها وربيعة ● لكابون توعدنى وارز الموصل
قد جدت بالطرف الجواد فتنه ● لاخيك من ردا بيك بمنصل

البيت الاول حسن المعنى وان كانت الفاظه بذكر الاماكن
لا يات فيه التحسين وهذا المعنى قد يمكن ايراده
باحسن من هذا اللفظ وابدع منه وارق منه

كقوله

اذا غضبت عليك بنو تميم ● رايت الناس كلهم غضبا

والبيت الثانى قد تعذر عليه وصله بما سبق من الكلام
على وجه يلطف وهو قبيح اللفظ حيث يقول فيه

ولم يقنع بقفل القضا حتى جعل للحتف ظلمة تجلى بالسيف
وجعل السيف هاديا فى النفس المجهل الذى لا يهتدى
اليه وليس فى هذا مع تحسين اللفظ وتنميقه شى لان
السلاح وان كان معينا فانه يهتدى الى النفس
وكان يجب ان يبدع فى هذا ابدع المتنبى فى قوله

كان الهمام فى الهجاعيون ٥ وقد طبعت سيوفك من رقاد
وقد صفعت الاسنة من هموم ٥ فما يخطرن الا فى فؤاد

فالاهتداء على هذا الوجه فى التشبيه فى هذا الموضع
حشو ردئ يلحق بصاحب الكنة ويلزمه الهجنة
واما البيت الثالث فانه اصلح هذه الابيات وان
كان ذكر الفارس حشوا وتكلفا ولغوا الان هذا لا يتغير
بالفارس والراجل على انه ليس فيه بديع

يمشى الوغا والقوس ليس بحية ٥ من حده والدرع ليس بمعقل
مصغ الى حكم الردى فاذا مضى ٥ لم يلتفت واذا قضى لم يعدل
متوقد يبرى باول ضربة ٥ ما ادركت ولوانها فى يذبل

البيتان الاولان من الجنس الذى يكثر كلامه عليه
وهى طريقته التى يجتنبها وذلك من السبك الكتابى
والكلام المعتدل الا انه لم يبدع فيها بشى وقد زيد
عليه فيهما ومن قصد الى ان يكمل عشرة ابيات

نتنه لاخيك من اود ابيك من اخذه بهذا التعرض لهذا
السجع وذكر هذا السجع وذكر هذا النسب حتى افسد
به شعره واما قوله بعد ذلك فى وصف

السيف يقول

يتناول الروح البعيد منالها عفوا وتفتح فى القضاء المقفل
بابارته فى كل حتف مظلم وهداية فى كل نفس مجهل
ماض وان لم تمضه يد فارس بطل ومصقول وان لم يصقل

ليس لفظ البيت الاول بمضاه لديباجة شعره ولا له بهجة
نظمه لظهور اثر التكلف عليه وبيّن ثقل فيه واما
القضا المقفل وفتحه فكلام غير محمود ولا مرضى واستعاره
لو لم يستعرها كانت اولى به وهلا عيب عليه كما عيب
على ابى تمام قوله

فضربت اثنتا فى اخدعيه ٥ ضربة غادرية عودا ركوبا

وقالوا يستحق الاستعارة ان يصفع فى اخدعيه وقد اتبعه
البحترى فى استعارة الاخدع ولوعا باتباعه فقال فى الفتح
وانى قد بلغتنى الشرف العلى ٥ واعتقت من ذل المطامع اخدعى

ان شيطانه حيث زين له هذه الكلمة وتابعه حين حسن
عنده هذه اللقطة لخبيث ما ردد وردى معاندا اراد ان
يطلق عنه الزم فيه ويسرح جيش العتب اليه

ولم

في وصف السيف فليس من حكمه ان ياتى باشيأ منقولة
وامور مذكوره وسبيله ان يغرب ويبدع كما ابدع //
المتنبى فى قوله

سله الركض بعد وهن بنجد فتصدى للغيث اهل الحجاز

هذا فى باب صفاله واضوايه وكثره مائه

وكقوله

ريان لو قذف الذى اسقيته ٥ بحرى من اللهجات بحر مزبد

وقوله مصغ الحكم الردى ان تاملته مقلوب كان
ينبغى ان يقول يصغى الردى الى حكمه كما

قال الاخر

فالسيف يامن والاقدار تنتظر وقوله واذا قضى لم يعلل
منكر على السنتهم فى الشعر خاصة فى نقض هذا المعنى
والبيت الثالث سليم وهو كالاولين فى خلوه عند
البديع فاما قوله

فاذا اصاب فكل شئ مقتل ٥ واذا اصيب فماله من مقتل

وكانما سود النبال وحمرها ٥ دبت بايد فى قراه وارجل

البيت الاول يقصد به صنعة اللفظ وهو فى المعنى
متفاوت لان للضرب قد لا يكون مقتلا وقد يطلق
الشعراء ذلك ويرون ان هذا ابدع من قول المتنبى

وانه

وانه يضده

يقتل السيف فى جسم القتيل به والسيوف كما للناس اجال

وهذه طريقه لهم يتمدحون بها فى قصد الرمح طعنا وتقطيع
السيف ضربا وفى قوله واذا اصيب فماله من مقتل تعسف
لانه يريد بذلك انه لا يتكسر فالتعبير بما عبر عن المعنى
الذى ذكرنا ويتضمن التكلف وضربا من المحال وليس
بالنادر والذى عليه الجملة ما حكينا عن غيره ونحوه

قال بعض اهل الزمان

يقصف فى الفارسى السمهرى ٥ وصدر الحسام فريقا فريقا

والبيت الثانى ايضا هو معنى مكرر على السنة الشعراء
واما تصنيعه بسود النبال وحمرها فليس بشئ ولعله
اراد بالحمر الذرو التفصيل بارد والاغراب به منكر
وهو كما حكى عن بعضهم انه قال كان كذا حين كانت
الثريا بحذاء راسى على سواء او منحرفا قدر شبر
او نصف شبر او اصبع او ما يقارب ذلك فقيل له هذا
من الورع الذى ينغضه الله ويمقته الناس ورب
زيادة كانت نقصانا وصفة النمل بالسواد والحمرة
فى هذا من ذلك الجنس وعليه خرج بقية البيت

فى قوله //

دبت بايدى قراه وارجل وكان يكفى ذكر الارجل عن ذكر
الايدى ووصف الغرند بدب النمل شئ لا يشذ عن
احد منهم واما قوله

وكان شاهره اذا استضوى به الرخمان يعصى بالسماك الاعزل

حملت حمايله القديمه بقله من عهد عاد غضة لم تذبل

البيت الاول منهما فيه ضرب من التكلف وهو منقول
من اشعارهم والفاظهم وانما يقول ثم يشد على
الرجال بكوكب فجعل ذلك الكوكب السماك واحتاج
الى ان يجعله اعزل للقافيه ولو لم يحج الى ذلك كان
خيرا له لان الصفة فى هذا الموضع بعض من الصنف
وموضع التكلف الذى ادعيناه لحشو الذى ذكره من
من قوله اذا استضوى به الرخمان وكان يكفى ان يقول
كان صاحبه يعصى بالسماك وهذا وان كان قد تعمل
فيه اللفظ فهو لغو على ما بينا واما البيت الثانى ففيه
لغو من جهة قوله حمايله قديمه ولا فضيله له فى ذلك
ثم تشبيه السيف بالبقله من تشبيهات العامة ,,,
والكلام الرذل البذل لان العامه قد يتفق منها
تشبيه واقع حسن ثم انظر الى هذا المقطع الذي هو
بالعى اشبه منه بالفصاحة والى اللكنه اقرب
منه

منه الى البراعة وقد بينا ان مراعاة الفواتح والخواتم
والمطالع والمقاطع والفصل والوصل بعد صحة الكلام
ووجود الفصاحة فيه مما لا بد له منه وان الاخلال
بذلك يخل بالنظم ويذهب رونقه ويحيل بهجته
ويأخذ ماؤه وبهاءه وقد اطلت عليك فيما نقلت
وتكلفت ما سطرت لان هذا القبيل قبيل موضوع
متعمل مصنوع واصل الباب فى الشعر على ان ينظر الى
جملة القصه ثم يتعمل الالفاظ ولا ينظر بعد ذلك
الى مواقعها ولا يتأمل مطارحها وقد نقصد تارة الى
تحقيق الاغراض وتصوير المعانى التى فى النفوس ولكنه
يلحق باصل بابه ويميل بك الى موضعه وبحسب الاهتمام
بالصنعه يقع فيها التفاضل وان اردت ان تعرف
اوصاف الفرس فقد ذكرت لك ان الشعراء قد تصرفوا
فى ذلك بما يقع اليك ان كنت من اهل الصنعة مما يطول
على نقله وكذلك فى السيف وذكر لى بعض اهل الادب
ان احسن قطعه فى السيف قول ابى الهول الحميرى

- حاز صمصامة الزبيدى من بين جميع الانام موسى الامين
- سيف عمرو وكان فيها سميا خير ما اطبقت عليه الجفون ,,
- اخضر اللون بين برديه حد من زعاف تميس فيه المنون ,,,

اوقدت فوق الصواعق نارا ثم شاتب له النعاف القيون
فاذا ما شهرته بهر الشمس ضيأ فلم تكد تستبين
يستطير الابصار كالقبس المشعل لا تستقيم فيه العيون
وكان الفرند والرونق الجارى فى صفحيته مامعين
نعم مخراق ذى كتيفته فى الهجاء يعصى به ونعم العرين
ما يبالى اذا انتحاه لضرب اشمال سطت به ام يمين

وانما يوازن شعر البحترى بشعر شاعر من طبقته ومن اهل عصره ومن هو فى مضماره او فى منزلته ومعرفة اجناس الكلام والوقوف على اسراره والوقوع على مقداره شئ وان كان عزيزا وامر وان كان بعيداً فهو سهل على اهله مستجيب لاصحابه مطيع لاربابه ينقدون الحروف ويعرفون الصروف وانما تبقى الشبهه فى ترتيب الحال من البحترى وابى تمام وابن الرومى وغيره ونحن وان كنا نفضل البحترى بديباجة شعره على ابن الرومى وغيره من اهل زمانه وتقدمه بحسن عبارة صحته وسلاسة كلامه وغذوبة الفاظه وقلة تعقد قوله والشعر قبيل ملتمس مستدرك وامر ممكن مطيع ونظم القرآن حال عن ان يعلق به الوهم او يسمو اليه الفكر او يطمع فيه طامع او يطلبه

طالب

طالب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
تنزيل من حكيم حميد وكنت قد ذكرت لك قبل هذا
انك ان كنت بصنعة علم اللسان متدربا وفيه متوجها
متقدما امكنك الوقوف على ما ذكرنا والتقود فيما
وصفنا والا قاجلس فى مجلس المتقلدين وارض
بمواقف المتحيرين ونصحت لك حيث قلت انظر هل
تعرف عروق الذهب ومحاسن الجوهر وبدايع الياقوت
ودقايق السحر من غير معرفة باسباب هذه الامور
ومقدماتها وهل يقطع سمت البلاد من غير اهتداء
فيها ولكل شئ طريق يتوصل اليه به وباب يوخذ
نحوه فيه ووجهه يولى منه ومعرفة الكلام اشد
من المعرفة بجميع ما وصفت لك واعمض ودق
واطف وتصوير ما فى النفس وتشكيك ما فى القلب
حتى تعلمه وكانك مشاهده وان كان قد يقع بالاشارة
ويحصل بالدلالة والامارة كما يحصل بالمنطوق
الصريح والقول القبيح فللاشارات ايضا مراتب
وللسان منازل رب وصف يصورلك الموصوف
كما هو على جهته لا تخلف فيه ورب وصف يبرعليه
ويعتداه ورب وصف يقصر عنه ثم اذا صدق الوصف

انقسم الى صحة واتقان وحسن واحسان والى اجمال
وشرح والى استيفاء وتقريب والى غير ذلك من الوجوه
ولكل مذهب وطريق وله باب وسبيل فوصف الجملة
الواقعة كقوله تعالى لو اطلعت عليهم لوليت منهم
فرارا ولملئت منهم رعبا والتفسير كقوله ويوم تيسر
الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم
احدا الى اخر الاية فى هذا المعنى وكنحو قوله يا ايها الناس
اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم يوم ترونها تذهل
كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى
الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله
شديد هذا مما يصور الشئ على جهته ويمثل احوال
ذلك اليوم ومما يصور لك الكلام الواقع فى الصفة كقوله
حكاية عن السحرة لما توعدهم فرعون بما توعدهم به
حين امنوا قالوا انا الى ربنا لمنقلبون انا نطمع ان يغفر
لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المومنين وقال فى موضع
اخر انا الى ربنا منقلبون وما تنقم منا الا ان امنا
بايات ربنا لما جاءتنا ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا
مسلمين وهذا يبنى عن كلام لحزين لما ناله لجانع لماسه
ومن باب التسخير والتكوين قوله تعالى انما امره اذا

اراد

اراد شيأ ان يقول له لن فيكون

وقوله قلنا لهم كونوا قردة خاسئين وكقوله فاوحينا
الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق
كالطود العظيم وتقصى اقسام ذلك مما يطول ولم
اقصد استيفاء ذلك وانما ضربت لك المثل بما ذكرت
لتستدل واشرت اليك بما اشرت لتامل وانما اقتصرنا
على ذكر قصيدة البحترى لان الكتاب يفضلونه على
اهل دهره ويقدمونه على من فى عصره ومنهم
يدعى له الاعجاز غلوا ويزعم انه يناغى النجم فى قوله
غلوا والملحده تستظهر بشعره وتتكثر بقوله وترى
كلامه من شبهاتهم وعباراته مضافا الى ما عندهم
من تنزيهاتهم فينا قدر رجيه وموضع رتبته وحد
كلامه وهيهات ان يكون المطمع فيه كالمايوس
منه وان يكون الليل كالنهار والباطل كالحق وكلام رب
العالمين كلام البشر فان قال قائل فقد قدح
الملحد فى نظم القران وادعى عليه الخلل فى البيان
واضاف اليه الخطأ فى المعنى واللفظ وقال ما قال
فهل من فصل قيل الكلام على مطاعن الملحدة فى القران
مما قد سبقنا اليه وصنف اهل الادب فى بعضه

فكفوا واتى المتكلمون على ما وقع اليهم فشقوا
ولولا ذلك لاستقصينا القول فيه فى كتابنا واما
الغرض الذى صنفنا فيه فى التفصيل والكشف عن
اعجاز القران فلم نجده على التقريب الذى قصدنا
وقد رجونا ان يكون ذلك معينا وواقعا وان سهل
الله لنا ما نويناه من املاء معانى القران ذكرنا فى ذلك
ما يشتبه من الجنس الذى ذكروه لان اكثر ما يقع من
الطعن عليه فانما يقع على جهل القوم بالمعانى او بطريقة
كلام العرب وليس ذلك من مقصود كتابنا هذا وقد
قال النبى صلى الله عليه وسلم فضل كلام الله على سائر
الكلام كفضل الله على خلقه وقد قصدنا فيما املينا ه
الاختصار ومهدنا الطريق فمن كمل طبعه للوقوع
على فضل اجناس الكلام استدرك ما بينا وما تعذر عليه
لكم بين شعر جرير والفرزدق والاخطل والحكم بين
فضل زهير والنابغة والفضل بين البحترى واصحابه
ولم يعرف سحف مسيلمة فى نظمه ولم يعلم انه من
الباب الذى يهزأ به ويسخر منه كشعر ابى العتاهية
فى جملة الشعر وشعر على بن صلادة فكيف يمكنه
النظر فى ما وصفنا والحكم على ما بينا فان قال قائل

فا

فاذكر لنا من هولاء الشعراء الذين
سميتهم الاشعر والابلغ قيل له هذا ايضا خارج عن
غرض هذا الكتاب وقد تكلم فيه الادباء ويحتاج ان يجدد
لنحو هذا الكتاب ويفرد له باب وليس من قبيل ما نحن
فيه بسبيل ولقايل ان يقول قد نسلم بعض الكلام
من العواض والعيوب ويبلغ امده فى الفصاحه والنظم
العجيب ولا يبلغ عندكم حد المعجز فلم قضيتم به فى القران
دون غيره من الكلام وانما لم يصح هذا السؤال وما
نذكر فيه من اشعار فى نهاية الحسن وخطب ورسايل
فى غاية الفضل لان قد بينا ان هذه الاجناس قد وقع
والتنازع فيها والمساماة عليها والتنافس فى طرقها
والتفاضل فى بابها وكان البون بين البعض والبغض
فى الطبقه الواحدة قريبا والتفاوت خفيفا وذلك
القدر من السبق ان ذهب عنه الواحد لم يايس
منه الباقون ولم ينقطع الطمع فى مثله وليس كذلك
سمت القران لانه قد عرف ان الوهم ينقطع دون
مجاراته والطمع يرتفع عن مباراته ومساماته وان
الكل فى العجز عنه على حد واحد وكذلك قد يزعم
زاعمون الكلام لجاحظ من السمت الذى لا يوخذ فيه

والباب الذى لايذهب عنه وانت تجد قوما يرون
كلامه ومتهاجه معيبا ونطاق قوله ضيقا حتى
يستعين بكلام غيره ويقرع الى مايوشح به كلامه من
بيت سائر ومثل بيت نادر وحكمة ممهده منقولة
وقصة عجيبه مأثورة واما كلامه فى اثناء ذلك ″
فسطور قليله والفاظ يسيرة فاذا احوج الى تطويل
خاليا على شى يستعين به فخلطه بقوله من قول غيره
كان كلاما كلام غيره فان اردت ان يتحقق هذا
فانظر فى كتبه فى نظم القران وفى الرد على النصارى
وفى خبر الواحد وغير ذلك مما يجرى هذا المجرى هل
تجد فى ذلك كله ورقة تشتمل على نظم بديع او كلام
مليح على ان متاخرى الكتاب قد نازعوه فى طريقته
وجاذبوه على منهجه فمنهم من ساواه حين ساماه
ومنهم من ابر عليه اذ باراه **هذا ابو الفضل بن**
العميد قد سلك مسلكه واخذ طريقته فلم
يقصر عنه واعله قد بان تقدمه عليه لانه ياخذ
فى الرسالة الطويلة فيستوفيها على حدود مذهبه
ويكملها على شروط صنعته ولا يقتصر على ان
ياتى الاسطر من نحو كلامه كما ترى لجاحظ يفعله
فى

فى كتبه متى ذكر من كلامه سطرا اتبعه من كلام
الناس اوراقا واذا ذكر منه صفحة بنى عليه من
قول غيره كتابا وهذا يدلك على ان الشى اذا استحسن
اتبع وانما استملح قصده وتعمد وهذا الشى يرجع الى
الاخذ بالفضل والتنافس فى التقديم فلو كان فى ″
مقدور البشر معارضة بالقران لهذا الغرض وحده لكثرت
المعارضات ودامت المنافسات فكيف وهناك رواع
لانتهاء لها وجوالب لاحد لكثرتها لانهم لو كانوا
عارضوه لتوصلوا الى تكذيبه ثم الى قطع المحامين
دونه عنه او تنفيرهم عليه وادخال الشبهات على
قلوبهم وكان القوم يكتفون بذلك عن بذل النفوس
ونصب الارواح والاخطار بالاموال والذرارى
فى وجه عداوته ويستغنون بكلام هو طبعهم وعادتهم
وصناعتهم عن محاربته وطول منافسته ومجاذبته
وهذا الذى عرضناه على قلبك يكفى ان هديت ″
لرشدك ويشفى ان دللت على قصدك ونسئل الله
حسن التوفيق والعصمة والتسديد انه لا معرفة
الا بهدايته ولا عصمة الا بكفايته وهو على ما يشاء
قدير وحسبنا الله ونعم الوكيل ″

فصل فان قال قائل

قديجوز ان يكون اهل عصر النبى صلى الله عليه وسلم
قدعجزوا عن الاتيان بمثل القران وان كان من بعدهم
من اهل الاعصار لم يعجزوا **قيل هذا سؤال معروف**
وقد اجيب عنه بوجوه منها ما هو صواب ومنها
ما فيه خلل لان من كان يجيب عنه بانهم لا يقدرون
على معارضته فى الاخبار عن الغيوب ان قدروا على
مثل نظمه فقد سلم المسئلة لان ذكرنا ان نظمه
معجز لا يقدر عليه فاذا اجاب بما قدمناه فقد وافق
السائل على مراده والوجه ان يقال فيه طرق منها
انا اذا علمنا ان اهل ذلك العصر كانوا عاجزين
عن الاتيان بمثله فمن بعدهم اعجز لان فصاحة
اوليك فى وجوه ما كان يتفتنون فيه من القول مما لا
يزيد عليه فصاحة من بعدهم واحسن احوالهم
ان يقاربوهم او يساووهم فاما ان يتقدموهم
او يسبقوهم فلا ومنها انا قد علمنا عجز اهل سائر
الاعصار كعلمنا بعجز اهل العصر الاول والطريق
فى العلم بكل واحد من الامرين طريق واحد لان التحدى
فى الكل على جهة واحدة والتنافس فى الطباع على

حد والتكلف على منهاج لا يختلف ولذلك قال الله
تبارك وتعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان
ياتوا بمثل هذا القران لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم
لبعض ظهيرا **فصل فى التحدى**

يجب ان تعلم من حكم المعجزات اذا ظهرت على الانبياء
ان يدعوا فيها انها من دلالتهم وايا تهم وانه لا يصح
بعثة النبى من غير ان يوتى دلالة ويويد بايه لان
النبى لا يتميز من الكاذب بصورته ولا بقول نفسه
ولا بشى اخر سوى البرهان الذى يظهر عليه فيستدل
به على صدقه فاذا ذكر لهم ان هذه ايتى وكانوا
عاجزين عنها صح له ما ادعاه ولو كانوا غير عاجزين
عنها لم يصح ان يكون برهانا له وليس يكون ذلك
معجزا بان يتحداهم الى ان ياتوا فاذا تحداهم وبان
عجزهم صار ذلك معجزا وانما احتيج الى التحدى فى باب
القران لان من الناس من لا يعرف كونه معجزا وانما
يعرف اولا اعجازه بطريق لان الكلام المعجز لا يتميز
من غيره بحروفه وصورته وانما يحتاج الى علم وطريق
يتوصل به الى معرفة كونه معجزا فان كان لا يعرف
بعضهم اعجازه فيجب ان يعرف هذا حتى يمكنه ان يستدل به

ومتى راى اهل ذلك اللسان

قد عجزوا عنه باجمعهم مع التحدى اليه والتقريع به
والتمكين منه صار حينئذ بمنزلة من راى اليد البيضا
وانقلاب العصا فى البلاغه ومعرفة فنون القول
ووجوه المنطق فانه يعرف حين يسمعه عجزه عن
الاتيان بمثله ويعرف ايضا اهل عصره ممن هو
فى طبقته او يدانيه فى صناعته عجزهم عنه فلا
يحتاج الى التحدى حتى يعلم به كونه معجزا ولو كان
اهل الصنعة الذين صنعتهم ما بينا لا يعرفون كونه
معجزا حتى يعرفوا عجزهم غيرهم عنه لم يجز ان يعرف
النبى صلى الله عليه وسلم ان القران معجز حتى
يرى حتى عجز قريش عنه بعد التحدى اليه واذا
عرف عجز قريش لم يعرف عجز سائر العرب عنه حتى
ينتهى الى التحدى الى اقصارهم وحتى يعرف عجز سليمه
الكذاب عنه ثم يعرف حينئذ كونه معجزا وهذا
القول ان قيل افحش ما يكون من الخطاء فيجب ان
تكون منزله اهل الصنعة فى معرفة اعجاز القران
بانفسهم منزلة من راى اليد البيضا وفلق البحر
بان ذلك معجزا واما من لم يكن من اهل الصنعة
فلا

فلا بد له من مرتبة قبل هذه المرتبة يعرف بها كونه
معجزا فيساوى حينئذ اهل الصنعة فيكون استدلالها
فى تلك الحاله به على صدق من ظهر ذلك عليه
على سواء اذا ادعاه دلالة على نبوته وبرهانا على
صدقه فاما من قدر ان القران لا يصير معجزا الا
بالتحدى اليه فهو كمن قدر من ظن او جميع ايات
موسى وعيسى عليهما السلام ليست بايات حتى
يقع التحدى اليها ولكن عليها ثم يقع العجز عنها
فيعلم حينئذ انها معجزات وقد سلف من كلامنا
فى هذا المعنى ما يغنى عن الاعادة ويبين ما ذكرناه
فى غير البليغ ان الاعجمى الان يعرف اعجاز القران
الا بامور تايده على الاعجمى الذى كان فى ذلك
الزمان شاهد اله لان من هو من اهل العصر
يحتاج ان يعرف اولا ان العرب عجزوا عنه وانما يعلم
عجزهم عنه بنقل التاقله اليه ان النبى صلى الله عليه
وسلم قد تحدا العرب اليه فعجزوا عنه ويحتاج فى النقل
الى شروط وليس يصير القران بهذا النقل معجزا
كذلك لا يصير معجزا بان يعلم العربى الذى ليس
ببليغ انهم قد عجزوا عنه باجمعهم بل هو معجز فى نفسه

وانما طريق معرفة هذا وقوعهم على العلم لعجزهم
عنه **فصل فى قدر المعجز من القران**
الذى ذهب اليه عامة اصحابنا وهو قوله ابى الحسن
الاشعرى رضى الله عنه فى كتبه ان اقل ما يعجز عنه
من القران السورة قصيرة كانت او طويلة او ما كان
بقدرها قال فاذا كانت الاية حروف سورة وان
كانت سورة الكوثر فذلك معجز قال ولم يقم دليل
على عجزهم عن المعارضة فى اقل من هذا القدر
وذهبت المعتزلة
الى ان كل سورة براسها فهى معجزة وقد حكى عنهم نحو
قولنا الا ان منهم من لم يشترط كون الاية بقدر السورة
بل شرط الايات الكثيرة وقد علمنا انه تحداهم تحديا
الى السور كلها ولم يخص ولم ياتوا بشى منها بمثل فعلم
ان جميع ذلك معجز واما قوله عز وجل فليأتوا بحديث
مثله فليس بمخالف لهذا الان الحديث التام لا تتحصل
حكايته فى اقل من كلمات سورة قصيرة وهذا يؤكد
ما ذهب اليه اصحابنا ويؤيده وان كان قد يتاول قوله
فليأتوا بحديث مثله على ان يكون راجعا الى القبيل
دون التفصيل وكذلك يحمل قوله تعالى قل لئن اجتمعت
الانس

والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله
على القبيل لانه لم يجعل الحجة عليهم عجزهم عن الاتيان
بمثله على القبيل لانه لم يجعل الحجة عليهم عجزهم عن الاتيان
بمثله بجميعه من اوله الى اخره **فان قيل** هل تعرفون
اعجاز السور القصار بما تعرفون به اعجاز السور
الطوال وهل تعرفون اعجاز كل قدر من القران بلغ
الحد الذى قدرتموه بمثل ما تعرفون به اعجاز سورة
البقرة **فالجواب** ان ابا الحسن الاشعرى رحمه الله
اجاب عن ذلك بان كل سورة قد علم كونها معجزة بعجز
العرب عنها وسمعت بعض الكبراء من اهل هذا الشان
يقول ان ذلك يصح ان يكون علم ذلك توقيفا والطريقه
الاولى اسد وليس هذا الذى ذكرناه اخيرا بمنافٍ له
لانه لا يمتنع ان يعلم العجاز بطرق مختلفة تتوافى عليه
وتجتمع فيه واعلم ان تحت اخلاف هذه الاوجه ضربا
من الفائدة لان الطريقه الاولى تبين ان ما علم به
كون جميع القران معجزا موجود فى كل سورة صغرت
او كبرت فيجب ان يكون الحكم فى الكل واحدا والطريقه
الاخيرة تتضمن تعذر معرفة اعجاز القران بالطريقة
التى سلكناها فى كتابنا من التفصيل الذى بينا

فيما يعرف به فى الكلام الفصاحة وتتبين فيه البلاغة
حتى يعلم ذلك بوجه اخر فيستوى فى هذا القدر
البليغ وغيره فى ان لا يعلمه مفحما حتى يستدل به من وجه
اخر سوى ما يعلمه البلغاء من التقدم فى الصنعة وهذا
غير ممتنع الا ترى ان الاعجاز فى بعض السور والايات
اظهر وفى بعضها اغمض وادق ولا يفتقر البليغ فى النظر
فى حال بعضها الى تفكر دقيق وبحث لطيف حتى يقع
على الجلية ويصل الى المطلب ولا يمتنع ان يذهب عليه
الوجه فى بعض السور فيحتاج الى التفزع فيه الى اجماع
او توقيف او ما علمه من العرب قاطبة عنه

فان ادعى ملحد او زعم زنديق انه لا يقع العجز
عن الاتيان بمثل السور القصار والايات بهذا المقدار
قلنا له ان الاعجاز قد حصل بما بيناه وعرف بما
وقفنا عليه من عجز العرب عنه ثم فيه شئ اخر وهو
ان هذا سوال لا يستقيم للملحد لانه يزعم انه ليس
فى القرآن كله اعجاز فكيف يجوز ان يناظره على تفصيله
فاذا ثبت لنا معه اعجازه فى السور الطوال قامت
الحجة عليه وثبتت المعجزة ولا معنى لطلبه لكثرة
الادلة والمعجزات ونحن نعلم ان اعجاز البعض بما بيناه

والبعض

والبعض الاخر بانه اذا ثبت الاصل لم يبق بعد
ذلك الا قولنا لانا عرفنا فى البعض الاعجاز بما بينا
ثم عرفنا فى الباقى بالتوقيف ونحو ذلك وليس
يمتنع اختلاف حال الكلام حتى يكون الاعجاز على
بعضه اظهر وفى بعضه اغمض وسن امن يبعض دون
بعض كان مذموما على ما قال الله تعالى افتومنون
ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وقال وننزل من
القران ما هو شفا ورحمة للمومنين فظاهره
عند بعض اهل التاويل كالدليل على ان الشفاء
ببعضه اوقع وان كنا نقول انه يدل على ان الشفاء
فى جميعه واعلم ان الكلام يقع فيه الابلغ والبليغ
ولذلك كانوا يسمون الكلمة يتيمة ويسمون البيت
الواحد يتيما سمعت اسماعيل بن عباد يقول
سمعت ابا بكر بن مقسم يقول سمعت ثعلبا
يقول سمعت الفراء يقول العرب تسمى البيت
الواحد يتيما وكذلك يقال الدرة اليتيمة لانفرادها
فاذا بلغ البيتين والثلاثة فهى تنفعه والى العشرة
تسمى قطعة فاذا بلغ العشرين استحق ان يسمى
قصيدة وذلك ماخوذ من الخ القصيد وهو

المتراكم بعضه على بعض وهو ضد الراد ومثله
الرتيد انتهت الحكاية ثم استشهد بقوله فتذكر
اثقلان سيدا بعد ما القت ذكا يمينها فى كافر
يريد بيض النعام لانه يتضد بعضه على بعض
وكذلك يقع فى الكلام البيت الوحشى النادر
والمثل السايروالمعنى الغريب والشى الذى لواجتهد
له لم يقع عليه فيتفق له ويصادفه قال لى بعض
علما هذه الصنعة وجاريته فى ذلك ان هذا مما لا
سبب له يخصه وانما سببه العزارة فى اصل الصنعة
والتقدم فى عيون المعرفة فاذا وجد ذلك وقع له
من الباب مايطرد عن حساب ومايشتد عن تفصيل
لحساب فاما ما قلنا من ان ما بلغ قدر السور معجز فان
ذلك صحيح فصل فى انه هل يعلم اعجاز القران
ضرورته ذهب ابو الحسن الاشعرى الى ان ظهور
ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم يعلم ضرورة وكونه
معجزا يعلم باستدلال وهذا المذهب محكى عن المخالفين
والذى نقوله فى هذا ان الاعجمى لا يمكنه ان يعلم
اعجازه الا استدلالا وكذلك من لم يكن بليغا
فاما البليغ الذى قد احاط بمذاهب العربيه وغرائب

الصنعة

الصنعة فانه يعلم من نفسه ضرورة عجزه عن الاتيان
بمثله ويعلم عجز غيره بمثل ما يعرف عجز نفسه كما انه
اذا علم الواحد منا انه لا يقدر على ذلك وهو يعلم
عجز غيره استدلالا

فصل فيما يتعلق به الاعجاز

ان قال قائل بينوا لنا ما الذى وقع التحدى اليه
اهو لحروف المنظومة او الكلام القائم بالذات
او غير ذلك قيل الذى تحداهم به ان ياتوا بمثل
لحروف التى هى نظم القران منظومة كنظمها
متتابعه كتتابعها مطردة كاطرادها ولم يتحدهم
الى ان ياتوا بمثل الكلام القديم الذى لا مثل له
ان كان كذلك فالتحدى واقع الى ان ياتوا بمثل
لحروف المنظومة التى هى عبارة عن كلام الله
تعالى فى نظمها وتاليفها وهى حكاية لكلامه ودلالات
عليه واما ذات له على ان يكونوا مستانفين كذلك
لاحاكين لما اتى به النبى صلى الله عليه وسلم فلا
يجب ان يقدر مقدرا ويظن ظان انا حين قلنا ان
القران معجز وانه تحداهم الى ان ياتوا بمثله اردنا
غير ما فسراه من العبارات عن الكلام القديم القايم

بالذات وقد بينا قبل هذا انه لم يكن ذلك معجزا لكونه
عبارة عن الكلام القديم وليس ذلك بمعجز في النظم
والتاليف وكذلك ما دون الايه كاللفظ عبارة
عن كلامه وليست بمفردها بمعجزة وقد جوز بعض
اصحابنا ان يتحداهم الى مثل كلامه القديم القائم
بنفسه والذى عول عليه مشايخنا ما قدمنا ذكره
على ذلك اكثر مذاهب الناس ولم يجب ان نفسر ونذكر
موجب هذا المذهب الذى حكيناه وما يتصل به لانه
خارج عن غرض كتابنا لان الاعجاز واقع في نظم
الحروف التى هى دلالات وعبارات عن كلامه والى
مثل هذا النظم وقع التحدى فبينا وجه ذلك وكيفية
ما يتصور القول فيه وانزلنا توهم من يتوهم ان الكلام
القديم حروف منظومة او حروف غير منظومة او شئ
مولف او غير ذلك مما يصح ان يتوهم على ما سبق
من اطلاق القول فيما مضى

فصل في وصف وجوه من البلاغة

ذكر بعض اهل الادب والكلام ان البلاغة على عشرة
اقسام الايجاز والتشبيه والاستعارة والتلاوم
والفواصل والتجانس والتصريف والتضمين والمبالغة

وحسن

وحسن البيان فاما الايجاز فانه يحسن مع ترك
الاخلال باللفظ القليل الشامل لامور كثيرة
وذلك ينقسم الى حذف وقصر فالحذف الاسقاط
للتخفيف كقوله واسئل القرية وقوله طاعة وقول
معروف وحذف الجواب كقوله ولو ان قرانا سيرت
به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى كان هذا
قيل لكان هذا القران ولحذف ابلغ من الذكر لان
القصر تذهب كل مذهب في القصد من الجواب
والايجاز بالقصر كقوله ولكم في القصاص حياة
وقوله يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو وقوله
انما بغيكم على انفسكم ولا يحيق المكر السئ الا باهله
والاطناب فيه بلاغة فاما التطويل فقيه عي
واما التشبيه بالعقد على ان احد الشيئين يسد مسد
الاخر في حس او عقل كقوله والذين كفروا اعمالهم
كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه
لم يجده شيئا وقوله مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم
كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف وقوله
واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظله وقوله انما مثل
الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط

به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا
اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم
قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها
حصيدا كان لم تغن بالامس وقوله انا ارسلنا
عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع الناس
كانهم اعجاز نخل منقعر وقوله فاذا انشقت السماء
فكانت وردة كالدهان وقوله انما الحياة الدنيا
لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال
والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج
فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وقوله وجنة عرضها
كعرض السما والارض وقوله مثل الذين حملوا التوراة
ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله كمثل الكلب
ان تحمل عليه يلهث وقوله كانهم اعجاز نخل خاوية
وقوله مثل مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء
كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان اوهن البيوت
لبيت العنكبوت وقوله وله الجوار المنشآت في البحر
كالاعلام وقوله خلق الانسان من صلصال
كالفخار ونحو ذلك **ومن ذلك باب الاستعاره**
وهو بيان التشبيه كقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا

من

من عمل فجعلناه هباء منثورا وكقوله فاصدع بما تؤمر
واعرض عن المشركين وقوله انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية
وقوله ولما سكت عن موسى الغضب وكقوله فمحونا اية
الليل وجعلنا اية النهار مبصرة وقوله بل نقذف بالحق
على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق فالدفع والقذف
مستعار وقوله واية لهم الليل نسلخ منه النهار وقوله
وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم وقوله فذو
دعاء عريض وقوله حتى تضع الحرب اوزارها وقوله
حصيدا خامدين وقوله الم تر انهم في كل واد يهيمون
وقوله وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وقوله
ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك وقوله ولنذيقنهم من
العذاب الادنى دون العذاب الاكبر وقوله فضربنا
على اذانهم يريد الاحساس باذانهم من غير صمم
وقوله ولما سقط في ايديهم وهذا وقع من اللفظ
الظاهر وابلغ من الكلام الموضوع له **واما التلاوم**
فهو تعديل الحروف في التاليف تفيض التنافر
كقول الشاعر

وقرب حرب بمكان قفر ٥ وليس قرب قبر حرب قبر

قالوا هو من شعر لجن حروفه متنافره لا يمكن

انشاده الا يتتعتع فيه والمتلاوم على ضربين احدهما
في الطبقه الوسطى كقوله

رمتني وستر الله بيني وبينها ٥ عشية ارام الكناس رميم
رميم الذى قالت بجارات بيتها ٥ ضمنت لكم ان لا يزال مهيم
الا رب يوم لو رمتني رميتها ٥ ولكن عهدى بالنضال قديم

قالوا والمتلاوم في الطبقه العليه القران كله وان
كان بعض الناس احسن احساسا من بعض كما ان
بعضهم يفطن للموزون بخلاف بعض والتلاوم حسن
الكلام في السمع وسهولته في اللفظ ووقع المعنى في
القلب وذلك كالخط الحسن والبيان الشافي والمتنافر
كالخط القبيح فاذا انضاف الى التلاوم حسن البيان وصحة
البرهان في اعلا الطبقات ظهر الاعجاز لمن كان جيد الطبع
ويصير لجوده الكلام كما يظهر له اعلى طبقه الشعر
والتنافر ذهب لخليل الى انه من بعد شديدا وقرب ،،
شديد فاذا بعد فهو كالطفر فاذا قرب جدا كان ،،
بمنزله مشى المقيد وبين ذلك بقرب مخارج الحروف
وتباعدها **واما الفواصل** فهى حروف متشاكله
في المقاطع يقع بها افهام المعاني وفيها بلاغة ،،،
والاسجاع عيب لان السجع يتبع المعنى والفواصل

تابعة

تابعة للمعاني والسجع كقول مسيلمة ثم الفواصل
قد تقع على حروف متجانسه كما قد تقع على حروف
متقاربه ولا يحتمل القوافي ما تحتمل الفواصل لانها
ليست في الطبقه العليا في البلاغة لان الكلام ،،
يحسن فيها بمجانسه القوافي واقامة الوزن
واما التجنيس فانه بيان انواع الكلام الذى
يجمعه اصل واحد وهو على وجهين مزاوجة ومناسبة
فالمزاوجه كقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقوله ومكروا ومكر الله
وقوله **عمرو بن كلثوم**

الا يجهلن احد علينا ٥ فنجهل فوق جهل الجاهلينا

واما المناسبه فهي كقوله تعالى ثم انصرفوا صرف
الله قلوبهم وقوله يخافون يوما تتقلب فيه القلوب
والابصار **واما التصريف** فهو تصريف الكلام
في المعاني كتصريفه في الدلالات المختلفه كتصريف
الملك في معاني الصفات فصرف في معنى مالك
وملك وذى الملكوت والمليك وفي معنى التمليك
والتملك والاملاك **واما التضمين** فهو حصول
معنى فيه من غير ذكره له باسم او صفة هي عبارة

عنه وذلك على وجهين تضمين توجبه البيت كقولنا
معلوم يوجب انه لابد من عالم وتضمين يوجبه
معنى العباره من حيث لايصح الا به كالصفه بضارب
يدل على مضروب والتضمين كله ايجاز والتضمين
الذى تدل عليه دلالات القياس ايضا ايجاز ″
وذكران بسم الله الرحمن الرحيم من باب التضمين لانه
تضمن تعليم الاستفتاح فى الامور باسمه على جهة
التعظيم لله تبارك وتعالى والتبرك باسمه **واما**
المبالغه فهى الدلالة على كثرة المعنى وذلك على
وجوه منها مبالغة فى الصفة المبنيه لذلك كقوله
رحمن عدل عن راحم للمبالغة وكقوله عقار وكذلك
فعال وفعول كقولهم شكور وغفور وقيل كقوله
له رحيم وقدير ومن ذلك ان يبالغ باللفظة التى هى
صنعه عامه كقوله خالق كل شى وقوله فاتى اعلمه
بيناهم من القواعد وقوله ولايدخلون الجنة حتى
يلج الجمل فى سم الخياط وقوله وانا واياكم لعلى هدى
او فى ضلال مبين وقد يدخل الحذف الذى تقدم ذكره
للمبالغه **واما حسن البيان فالبيان على اربعة**
اقسام كلام وحال واشارة وعلامة ويقع التفاضل
فى

فى البيان ولذلك قال عز وجل من قائل الرحمن علم
القران خلق الانسان علمه البيان وقيل اعيا من
باقل سئل عن طبية فى يده بكم استراها فاراد ان
يقول باحد عشر فاشار بيديه ما دا اصابعه
العشر ثم ادلع لسانه واقلت الظبى من يده ثم
البيان على مراتب قلنا قد كنا حكينا ان من الناس
من يريد ان ياخذ اعجاز القران من وجوه البلاغة
التى ذكرنا انها تسمى البديع فى اوالكتاب مما مضت
امثلته فى الشعر ومن الناس من زعم انه ياخذ
ذلك من هذه الوجوه التى هددناها فى هذا الفصل
واعلم ان الذى بيناه قبل هذا وذهبنا اليه هو
شديد وهو ان هذه الامور تنقسم فمنها مايمكن
الوقوع عليه والتعمل له ويدرك بالتعلم فما كان
كذلك فلا سبيل الى معرفة اعجاز القران به واما
ما لا سبيل اليه بالتعلم والتعمل من البلاغات
فذلك هو الذى يدل على اعجازه ونحن نضرب ″
لذلك امثلة لتقف على ما ذهبنا اليه وذكرنا
فى هذا الفصل عن هذا القائل ان التنبيه تعرف
به البلاغة وذلك مسلم ولكن ان قلنا ما وقع من

التشبيه فى القران معجز عرض علينا من التشبيهات ،،
لجارية فى الاشعار مالا يخفى عليك وانت تجد فى شعر
ابن المعتز من التشبيه البديع الذى يشبه السحر وقد
تتبع فى هذا مالم يتبع غيره واتفق مالم يتفق لغيره
من الشعراء وكذلك كثير من وجوه البلاغة قد بينا ان
تعلمها يمكن وليس تقع البلاغه بوجه واحد منها
دون غيره فان كان انما يعنى هذا القائل انه اذا
اتى فى كل معنى يتفق فى كلامه بالطبقه العاليه ثم ،،
كان ما يصل به كلامه بعضه ببعض وينتهى منه
الى مستصرفاته على اتم البلاغة وابدع البراعة فهذا
مما لانا بالا بل تقول به وانما ننكر ان يقول قائل
ان بعض هذه الوجوه باتفرادها قد حصل فيه
الاعجاز من غير ان يقارنه ما يتصل به الكلام ،،
ويفضى اليه مثل ما يقول ان ما اقسم به وحده
بنفسه معجز وان التشبيه معجز وان التجنيس معجز
والمطابقه بنفسها معجز فاما الايه التى فيها ذكر
التشبيه فان ادعى اعجازها لالفاظها ونظمها وتاليفها
فانى لا ادفع ذلك واصححه ولكن لا ادعى اعجازها
لموضع التشبيه وصاحب المقالة التى حكيناها اضاف

ذلك

ذلك الى موضع التشبيه وما قرن به من الوجوه ما قد
بينا ان الاعجاز يتعلق به كالبيان وذلك لا يختص ،،
بجنس من المبين دون جنس ولذلك قال هذا بيان
للناس وقال تبيانا لكل شى وقال بلسان عربى مبين
فكرر فى مواضع ذكره انه مبين فالقران اعلى منازل
البيان واعلى مراتبه ما جمع وجوه الحسن واسبابه
وطرقه وابوابه من تعديل النظم وسلامته وحسنه
وبهجته وحسن موقعه فى السمع وسهولته على ،،
اللسان ووقوعه فى النفس موقع القبول وتصوره
تصور المشاهد وتشكله على جهته حتى يحل محل
البرهان ودلالة التاليف مما يتصور حسنا وبهجة
وسناء ورفعة واذا علا الكلام فى نفسه كان له من
الموقع فى القلوب والتمكن فى النفوس ما يذهل ويبهج
ويقلق ويونس ويطمع ويونس ويضحك ويبكى ويحزن
ويفرح ويسكن ويزعج ويشجى ويطرب ويهز الاعطاف
ويستميل نحوه الاسماع ويورث الاريحية والعزه وقد
يبعث على بذل المهج والاموال شجاعة وجودا ويرى
السامع من وراء رايه مرمى بعيدا وله مسالك
فى النفوس لطيفه ومداخل الى القلوب دقيقة

وبحسب مايترتب فى نظمه وينزل فى موقعه ويجرى
على سمت مطلعه ومقطعه يكون عجيب تاثيراته ،،
وبديع مقتضياته وكذلك على حسب مصادره يتصور
وجوه موارده قد يبنى الكلام عن محل صاحبه ويدل
على مكان متكلمه وينبه على عظيم شان اهله وعلى
علو محله الا ترى ان الشعر فى الغزل اذا صدر عن محب
كان ارق واحسن واذا صدر عن متغزل وحصل من
متصنع نادى على نفسه بالمداجاة واخبر عن خبيه
فى المراياة وكذلك قد يصدر الشعر فى وصف الحرب
عن الشجاع فيعلم وجه صدره ويدل على كهنه ،،
وحقيقته وقد يصدر عن التشبيه ويخرج عن التصنع
فيعرف من حاله ما ظن انه يخفيه ويظهر من امره
خلاف ما يبديه وانت تعرف لقول المتنبى

فالخيل والليل والبيداء تعرفنى ٥ والحرب والطعن والقرطاس والقلم

من الواقع فى القلب لما يعلم انه من اهل الشجاعة
مالا تجده المحترى فى قوله

وانا الشجاع وقد بدا لك موقفى ٥ بعقرقس والمشرفيه شهدى

وتجد لابن المعتز فى موقع شعره من القلب فى التخيل
وغيره مالا تجده لغيره لانه اذا قال

اذا

اذا شئت اوقرت البلاد حوافرا ٥ وسارت وراى هاشم ونزار
وغم سماء النقع حتى كانه دخان ٥ واطراف الرماح شرار ،،

وقال

قد تزديت بالمكارم حولى ٥ وكفتنى نفسى من الافتخار
انا جيش اذا غزوت وحيد ٥ ووحيد فى المحفل الكرار

وقال

ايها السائل عن حسب الاطيب ما فوقه لخلوق من مزيد
نحن آل الرسول والعترة الكمى ٥ واهل القرى فماذا تريد
ولنا ما اضا صبح علميه ٥ وانتهه رايات ليل سود

وكما انشدنا الحسن بن عبد الله قال انشدنا محمد بن
يحيى لابن المعتز قصيدته التى

انا بن الذى سادهم فى الحياة ٥ وسادهم بعد تحت فوق الثرى
ومالى فى احد مرغب بلى ٥ فى يرغب كل الورى
واسهر للمجد والمكرمات ٥ اذا اكتحلت اعين بالكرى

فانظر فى القصيده كلها ثم فى جميع شعره تعلم انه
ملك الشعر وانه يليق به من الفخر خاصه ثم مما يتبعه
مما يتعاطاه مما لا يليق بغيره بل ينفرد عن سواه ولم
ان احب اكثر عليك فاطول الكتاب بما يخرج عن
غرضه وكما ترى من قول ابى فراس لحمدانى فى نفسك

اذ قال

ولا اصبح لحي لخلوف بغارة ٥ ولا لجيش مالم يأته قبلي النذر
ويارب دار لم تخفني منيعه ٥ طلعت عليها بالردى انا والبحر
وساحبة الاذيال نحوى لقيتها ٥ فلم يلقها جاف في اللقاء ولا وعر
وهبت لها ماحازه لجيش كله ٥ واتب ولم يكشف لابياتها ستر
وماراح يطغيني باثوابه الغنى ٥ ولا بات يثنيني عن الكرم الفقر
وماحاجتي في المال ابغي وفوره ٥ اذا لم افرق قرى قلاوقر الوقر
والشي اذا صدر من اهله وبدا من اصله وانتسب
الى ذويه سلم في نفسه وبان فخامته وشوهد اثر
الاستحقاق فيه واذا صدر من متكلف ويدا من
متصنع بان اثر الغربة عليه وظهرت مخايل الاستجاش
فيه وعرف شمايل التحير منه انا نعرف في شعر ابي نواس
اثر الشطاره وتمكن البطاله وموقع كلامه في وصف
ما هو بسبيله من امر العباره ووصف الخمر والخمار
كما نعرف موقع كلام ذي الرمة في وصف المهامة
والبوادي والجمال والاتساع والازمة وعيب ابي نواس
التصرف في وصف الطول والرباع والوحش

فتفكر في قوله

دع الاطلال تسقيها الجنوب ٥ وتبلى عهد جدتها الخطوب

وخلى

وخل لراكب الوجناء ارضا ٥ يحنب به النجيبة والنجيب
بلاد بنتها عشر وصلح ٥ واكثر صيدها ضبع وذيب
ولا تاخذ عن الاعراب لهوا ٥ ولا عيشا نعيشهم جديب
دع الالبان يشربها رجال ٥ دقيق العيش عندهم غريب
اذا راب الحليب فيل عليه ٥ ولا تحرج فما في ذاك حوب
فاطيب منه صافيه شمول ٥ يطوف بكاسها ساق اديب
كان هديرها في الدن يحكي ٥ قراءة القيس تايله الصليب
اعاذل اقصري عن طول لوى ٥ فراعي توبتي عندي يخيب

تعيين الذنوب واي حرمن ٥ الفتيان ليس له ذنوب

وقوله صقته الطول بلاغه العدم فاجعل صفاتك
لابنة الكرم وسمعت الصاحب اسماعيل بن عباد
يقول سمعت برلكويه الزنجاني يقول انشد بعض
الشعراء هلال بن مزيد قصيدة على وزن قصيده
الاعشى

ودع هريرة ان الركب مرتحل ٥ وكان وصف فيها الطلل
قال برلكويه فقال لي هلال ما تقول

فقلت بديها

اذا سمعت فتى يبكي على طلل ٥ من اهل زنجار فاعلم انه طلل

وانما ذكرت لك هذه الامور لتعلم ان الشي في معدن

اعز والى مظانه احن والى اصله انزع وباسبابه
اليق وهو يدل على ما صدر منه ويتبه على ما انبج
عنه ويكون قراره على موجب سورته وانواره على
حسب محله ولكل شئ حد ومذهب ولكل كلام //
سبيل ومنهج وقد ذكر ابو بكر الصديق رضى الله
عنه فى كلام مسيلمه ما اخبرتك به فقال ان هذا
كلام لم يخرج من ال قدل على ان الكلام الصادر عن
عزة الربوبية ورفعة الالهية يتميز عما لم يكن
كذلك ثم رجع الكلام به الى ما ابتدانا به من عظيم
شان البيان ولو لم يكن فيه الا ما من به الله
على خلقه بقوله خلق الانسان علمه البيان فاما
بيان القران فهو اشرف بيان واهداه ولحمله
واعلاه وابلغه واسناه تامل قوله افنضرب
عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين فى شدة
التبيه على تركهم لحق والاعراض عنه وموضع
امتنانه بالذكر والتحذير وقوله ولن ينفعكم
اليوم اذ ظلمتم انكم فى العذاب مشتركون وهذا
يبلغ فى التحسير وقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا
عنه وهذا يدل على كونهم مجبولين على الشر معودين

لمخالفة

لمخالفة النهى والامر وقوله الاخلاء يومئذ بعضهم
لبعض عدو الا المتقين هو فى نهاية المصنع من كلة الا
على التقوى وقوله ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت
فى جنب الله وهذا نهاية فى التحذير من التفريط وقوله افمن
يلقى فى النار خير ام من ياتى امنا يوم القيامة اعملوا //
ما شئتم انه بما تعملون بصير هو فى النهاية فى الوعيد
والتهديد وقوله وترى الظالمين لما راوا العذاب يقولون
هل الى مرد من سبيل وتراهم يعرضون عليها خاشعين
من الذل ينظرون من طرف خفى نهايه فى الوعيد وقوله
وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وانتم فيها
خالدون نهاية فى الترغيب وقوله ما اتخذ الله من
ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق
ولعلا بعضهم على بعض وكذلك قوله لو كان فيهما الهة
الا الله لفسدتا نهاية فى الحجاج وقوله واسروا قولكم
او اجهروا به انه عليم بذات الصدور الا يعلم من خلق
وهو اللطيف الخبير نهاية فى الدلالة على علمه بالخفيات
ولا وجه للتطويل فان بيان الجمع فى الرفعة وكبر المنزلة
على سواء وقد ذكرنا من قبل ان البيان يصح ان يتعلق
به الاعجاز وهو معجز من القران وما حكينا عن صاحب

الكلام من المبالغة فى اللفظ فليس ذلك بطريق الاعجاز
لان الوجوه التى ذكرها قد تتفق فى كلام غيره وليس ذلك
معجزا بل قد يصح ان يقع فى المبالغة فى المعنى والصفة وجوه
من اللفظ يثمر الاعجاز وتضمين المعانى ايضا قد يتعلق
به الاعجاز اذا حصلت للعباره طريق البلاغه فى اعلى
درجتها واما الفواصل فقد بينا انه يصح ان يتعلق بها
الاعجاز وكذلك قد بينا فى المقاطع والمطالع نحو هذا وبينا
فى تلاوم الكلام ما سبق من صحة تعلق الاعجاز به والتصرف
فى الاستعاره البديعه يصح ان يتعلق به كما يصح مثل
ذلك فى حقايق الكلام لان البلاغة فى كل واحد من البابين
يجرى مجرى واحد وتاخذ ماخذ مقرر واما الايجاز
والبسط فيصح ان يتعلق بهما الاعجاز كما يتعلق
بالحقايق والاستعارة والبيان فى كل واحد منهما ما لا
يضبط حده ولا يقدر قدره ولا يمكن التوصل الى
ساحل بحره بالتعلم يتطرق الى عوره بالتسبب وكل
ما يمكن تعلمه ويتهيأ تلقنه ويمكن تخليصه ويستدرك
اخذه فلا يجب ان يطلب وقوع الاعجاز به ولذلك قلنا
ان السجع مما ليس يلتمس فيه الاعجاز لان ذلك امر
محدود وسبيل مورود ومتى يدرب الانسان به

و

واعتاده لم يستصعب عليه ان يجعل جميع كلامه
منه وكذلك التجنيس والتطبيق متى اخذ احدهما وطلب
وجههما استوفى ما شاء ولم يتعذر عليه ان يملا
خطابه منه كما اولع بذلك ابو تمام والبحترى وان
كان البحترى اشعف بالمطابق واقل طلبا للمجانس
فان قال قائل هلا قلت ان هذين البابين يقع
فيهما مرتبة عاليه لا يوصل اليهما بالتعلم ولا تملك
بالتعمل كما ذكرتم فى البيان وغير ذلك قلنا الوعد
الى كتاب الاجناس ونظر فى كتاب العين لم يتعذر
عليه التجنيس الكثير فاما الاطباق فهو اقرب منه
وليس كذلك البيان والوجوه التى راينا الاعجاز فيها
لانها تستوفى بالتعلم فان قيل فالبيان قد يتعلم
قيل ان الذى يمكن ان يتوصل اليه بالتعلم يتفاوت
فيه الناس ويتناهى فيه العادات وهو كما يعلم من
مقادير القوى فى حمل الثقيل وان الناس يتفاوتون
فى ذلك ويرمون فيه الى حد فاذا تجاوزوه وقفوا
بعده ولم يمكنهم التخطى ولم يقدروا على التعدى
الا ان يحصل ما يخرق العاده وينقض العرف والا يكون
ذلك الا للدلالة على النبوات على شروط فى ذلك

والقدر الذى يفوت الحد فى البيان ويتجاوز الوهم ويشذ
عن الصنعة ويقذفه الطبع فى النادر القليل كالبيت
البديع والقطعة الشريفة تتفق فى ديوان شاعر
والفقرة تتفق فى لسان كاتب حتى يكون الشاعر بن
بيت او بيتين او قطعة او قطعتين والاديب شهيد
كلمه او كلمتين وذلك امر قليل ولو كان كلامه كله
يطرد على ذلك المسلك ويستمر على ذلك المنهج امكن
ان يدعى فيه الاعجاز ولكنك ان كنت من اهل الصنعة
تعلم قلة الابيات الشوارد والكلمات القوائد وامهات
القلايد فان اردت ان تجد قصيده كلها وحشية
واردت ان تراها مثل بيت من ابياتها مرضية لم
تجد ذلك فى الدواوين ولم تظفر بذلك الى يوم الدين
ونحن ننكر ان يستدرك البشر كلمة شريفة ولفظه
بديعة وانما انكرنا ان يقدروا على مثل نظم سورة
او نحوها واحلنا ان يتمكنوا من حد فى البلاغة ومقدار
فى الخطابة وهذا كما قلناه من ان صورة الشعر قد تتفق
فى القرآن وان لم يكن له حكم الشعر فاما قدر المعجز
فقد بينا انها السورة طالت او قصرت وبعد ذلك
خلاف من الناس من قال مقدار سورة او طوال اية
فهو

فهو معجز وعندنا كل واحد من الامرين معجز والدلالة
عليه ما تقدم والبلاغة لا تتبين باقل من ذلك فلذلك
لم نحكم باعجازه وما صح ان تتبين فيه البلاغة ومحصولها
الابانه فى الابلاغ عن ذات النفس على احسن معنى واجزل
لفظا وبلوغ الغاية فى المقصود بالكلام فاذا بلغ الكلام
غايته فى هذا المعنى كان بالغا وبليغا فاذا تجاوز حد
البلاغة الى حيث لا يقدر عليه اهل الصناعة وانتهى
الى امر يعجز عنه الكامل فى البراعة صح ان يكون له حكم
المعجزات وجاز ان يقع موقع الدلالات وقد ذكرنا انه
بجنسه واسلوبه متباين لسائر كلامهم ثم بما يتضمن
من تجاوزه فى البلاغة الحد الذى يقدر عليه البشر
فان قيل اذا كان يجوز عندكم ان يتفق فى شعر
الشاعر تطعه عجيبه شاردة تباين جميع ديوانه فى
البلاغة ويقع فى ديوانه بيت واحد يخالف مالوف
طبعه ولا يعرف سبب ذلك البيت ولا تلك القطعة
فى التفصيل ولو اراد ان ياتى بمثل ذلك ويجعل جميع
كلامه من ذلك النمط لم يجد الى ذلك سبيلا وله سبب
فى الجملة وهو التقدم فى الصنعة لانه يتفق من
المتاخر فيها فهلا قلتم انه اذا بلغ فى العلم بالصناعة

بالغة القصوى كان جميع كلامه من نمط ذلك البيت
وسمت تلك القطعه وهلا قلتم ان القران من هذا
الباب فالجواب انا لم نجد احدا بلغ الحد الذى
وصفتم فى العاده وهذا الناس واهل البلاغة ،،
اشعارهم عندنا محفوظه وخطبهم منقوله ،،
ورسائلهم ماثوره وبلاغتهم مروية وحكمهم
مشهورة وكذلك اهل الكهانة والبلاغة مثل قس
ابن ساعده وسحبان وائل ومثل شق وسطيح ،،
وغيرهم كلامهم معروف عندنا وموضوع بين ايدينا
لا يخفى علينا فى الجملة بلاغة بليغ ولا خطابة خطيب
ولا براعة شاعر مفلق ولا كتابة كتاب مدقق فلما
لم نجد فى شئ من ذلك ما يدانى القران فى البلاغة او
يشاكله فى الاعجاز مع ما وقع من التحدى اليه المده
الطويله وتقدم من التقريع فى المجازاه الامد المديد
وثبت له وحده خاصة قصب السبق والاستيلاء
على الامر وعجز الكل عنه ووقفوا دونه حيارى ،،
يعرفون عجزهم وان جهل قوم سببه ويعلمون نقصهم
وانا نعقل قوم وجهه رأينا انه ناقض للعاده ورأينا
انه خارق المعروف فى الحيلة وخرق العادة انما تقع
با

بالمعجز على وجه اقامة البرهان على النبوات وعلى
ان من ظهرت عليه ووقعت موقع الهدايه اليه صادق
فيما يدعيه من نبوته ومحق فى قوله ومصيب ،،
فى هديه قد شهدت له الحجه البالغه والكلمة التامة
والبرهان النير والدليل البين

فصل فى حقيقه المعجز

معنى قولنا ان القران معجز على اصولنا انه لا يقدر
العباد عليه وقد ثبت ان المعجز الدال على صدق
النبى صلى الله عليه وسلم لا يصح دخوله تحت قدر
العباد وانما يتفرد الله تعالى بالقدرة عليه ولا يجوز
ان يعجز العباد عما تستحيل قدرتهم عليه كما يستحيل
عجزهم عن فعل الاجسام فنحن لا نقدر على ذلك
وان لم يصح وصفنا بانا عاجزون عن ذلك حقيقة
وكذلك معجزات سائر الانبياء على هذا فلم يقدر عليه
احد شبه بما يعجز عنه العاجز وانما يقدر العباد
على الاتيان بمثله لانه لو صح ان يقدروا عليه بطل
دلالة المعجز وقد اجرى العادة بان يتعذر فعل
ذلك منهم والا يقدروا عليه ولو كان غير خارج
عن مكرر لاتوا بمثله او عرضوا عليه من كلام

نصحائهم وبلغائهم ما يعارضه فلما لم يشتغلوا بذلك
علم انهم فطنوا بخروج ذلك عن اوزان كلامهم واساليب
نظامهم وزالت اطماعهم عنه وقد كنا بينا ان التواضع
ليس يجب ان يقع على قول الشعر ووجوه النظم ″
المستحسنه في الاوزان المطربه للسمع ولا يحتاج
في مثله الى توقيف وانه يتبين ان مثل ذلك يجرى
في الخطاب فلما جرى فيه فطنوا له واختاروه وطلبوا
انواع الاوزان والقوافي ولما وقعوا على حسن ذلك
وقدروا عليه بتوقيف الله عز وجل وهو الذي جمع
خواطرهم عليه وهداهم له وبلد واعيهم اليه ولكنه
اقدرهم على حد محدود وغاية في الحرف مضروبة
لعلمه بان سيجعل القران معجزا ودل على عظم شانه
بانهم قدروا على ما بينا من التاليف وعلى ما وصفنا
من النظم من غير توقيف ولا اقتفاء اثر ولا تحد اليه
ولا تقريع فلو كان هذا من ذلك القبيل او من الجنس
الذي عرفوه والفوه لم تزل اطماعهم عنه ولم يدهشوا
عند وروده عليهم تكيف وقد امهلهم وفسح ″
لهم في الوقت وكان يدعوا اليه ستين كثيرة وقال
عز من قائل او لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم

النذير

النذير ويظهر ان العجز عنه بعد طول التقريع ″
والتحدى بان انه خارج عن عاداتهم وانهم لا يقدرون
عليه وقد ذكرنا ان العرب كانت تعرف ما يباين
عاداتها من الكلام البليغ لان ذلك طبعهم ولغتهم
فلم يحتاجوا الى تجربة عند سماع القران وهذا
في البلغاء منهم دون المتاخرين في الصنعة والذي
ذكرناه يدلك على انه لا كلام ازيد في قدر البلاغة
من القران وكل من جوز ان يكون للبشر قدرة ″
على ان ياتوا بمثله في البلاغة لم يمكنه ان يعرف ان
القران معجز بحال ولو لم يكن جرى في المعلوم انه
سيجعل القران معجزا لكان يجوز ان تجرى عادات
البشر بقدر زايد على ما الفوه من البلاغة وامر
يفوق ما عرفوه من الفصاحة واما نظم القران
فقد قال اصحابنا فيه ان الله تعالى يقدر على ″
نظم القران الرتبة التي لا مزيد عليها فقد قال مخالفونا
ان هذا غير ممتنع لان فيه من الكلمات الشريفة
الجامعة للمعاني البديعة وانضاف الى ذلك حسن
الموقع فيجب ان يكون قد بلغ النهاية لانه عندهم
وان زاد على ما في العادة فان الزايد عليها

وان تفاوت فلا بد من ان ينتهى الى حد لا مزيد عليه
والذى نقوله انه لا يمتنع ان يقال انه يقدر الله ″
تعالى على ما فى بعض نظم ابلغ وابدع من القران كله واما
قدر العباد فهى متناهية فى كل ما يقدروا عليه
مما تصح قدرتهم عليه

فصل فى كلام النبى صلى الله عليه وسلم

وامور تتصل بالاعجاز ان قال قائل اذا كان النبى
صلى الله عليه وسلم افصح العرب وقد قال هذا فى حديث
مشهور وهو صادق فى قوله فهلا قلتم ان القران من
نظمه لقدرته فى الفصاحة على مقدار لا يبلغه غيره
قيل قد علمنا انه لم يتحدهم الى مثل قوله وفصاحته
والقدر الذى بينه وبين كلام غيره من الفصحاء كقدر
ما بين شعر الشاعرين وكلام الخطيبين فى الفصاحة
وذلك مما لا يقع به الاعجاز وقد بينا قبل هذا انا اذا
وازنا بين خطبه ورسايله وكلامه المنثور وبين
نظم القران تبين من البون بينهما مثل ما بين كلام
الله عز وجل وكلام الناس فلا معنى لقول من
ادعى ان كلام النبى صلى الله عليه وسلم معجز وان
كان دون القران فى الاعجاز فان قيل لولا ان كلامه

معجز

معجز لم يشتبه على بن مسعود الفصل بين المعوذتين
وبين غيرهما من القران وكذلك لم يشتبه دعاء القنوت
فى انه هل هو من القران ولا يجوز ان يخفى عليهم القران
من غيره وعدد السور عندهم محفوظ مضبوط ″
وقد يجوز ان يكون شذ عن مصحفه لا لانه نفاه
من القران بل عول على حفظ الكل اياه على ان الذى
يرونه خبر واحد لا يسكن اليه فى مثل هذا ولا يعمل
عليه ويجوز ان يكتب على ظهر مصحفه دعا القنوت
لئلا ينساه كما يكتب الواحد منا بعض الادعيه
على ظهر مصحفه وهذا نحو ما يذكره الجهال من اختلاف
كثير بين مصحف بن مسعود وبين مصحف عثمان
رضى الله عنهما ونحن لا ننكر ان يغلط فى حروف
معدودة كما يغلط الحافظ فى حروف ولا يتسى وما
لا يجيزه على الحفاظ مما لم يخزه عليه ولو كان قد
انكر السورتين على ما ادعوا لكانت الصحابة
تناظره على ذلك وكان يظهر وينتشر فقد تناظروا
فى اقل من هذا وهذا امر يوجب التمكين والتضليل
تكيف يجوز ان يقع التخفيف فيه وقد علمنا اجماعهم
على ما جمعوه فى المصحف فكيف يقدح بمثل هذه الحكايات

نسخه قبل هذا من تخليط الملحد الصحابة لم يخف عليهم ما هو من القران

الشاذه المولدة في الاجماع المتقرر والاتفاق المعروف
ويجوز ان يكون الناقل اشتبه عليه لانه خالف
في النظم والترتيب فلم يثبتها في اخر القران والاختلاف
بينهم في موضع الاثبات غير الكلام في الاصل الا ترى
انهم قد اختلفوا في اول ما نزل من القران فمنهم من
قال قوله اقرأ باسم ربك ومنهم من قال يا ايها
المدثر ومنهم من قال فاتحة الكتاب واختلفوا ايضا
في اخر ما انزل فقال بن عباس اذا جاء نصر الله وقالت
عائشة سورة المائده وقال البرأ بن عازب اخر ما انزل
برأة وقال السدى اخر ما انزل الله فان تولوا فقل
حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت ويجوز ان يكون
في مثل هذا خلاف وان يكون كل واحد ذكر اخر ما سمع
ولو كان القران من كلامه لكان البون بين كلامه وبينه
مثل ما بين خطبة وخطبة ينشيهما رجل واحد
وكانوا يعارضونه لانا قد علمنا ان القدر الذى
بين كلامهم وبين كلام النبى صلى الله عليه وسلم
لا يخرج الى حد الاعجاز ولا يتفاوت التفاوت الكثير
ولا يخفى كلامه من جنس اوزان كلامهم وليس كذلك
نظم القران لانه خارج من جميع ذلك فان قيل لو
كان

كان على ما دعيتم لعرفنا بالضرورة انه معجز دون
غيره قيل معرفة المفصل بين وزنا الشعر وغيره
من اوزان الكلام لا يقع ضرورة ويحتاج في معرفة
ذوق الشعر ووزنه الفرق بينه وبين غيره من
الاوزان الى تفطن وتامل وفكر وروية واكتساب
وان كان النظم المختلف الشديد التباين اذا وجد
ادرك اختلافه بالحاسة الا ان كل وزن وقيل
اذا اردنا تمييزه من غيره احتجنا فيه الى الفكرة
والتامل فان قيل لو كان معجزا لم يختلف اهل الملة
في وجه اعجازه قيل قد يثبت الشى دليلا وان
اختلفوا في وجه دلالة الدليل البرهان كما قد يختلفون
في الاستدلال على حدوث العالم من الحركة والسكون
والاجتماع والافتراق فاما المخالفون فانه يتعذر
عليهم ان يعرفوا ان القران كلام الله تعالى لان
مذهبهم انه لا فرق بين ان يكون القران من قبل
الرسول او من قبل الله عز وجل في كونه معجزا لانه
ان خصه بقدر من العلم لم تجر العادة بمثله امكنه
ان ياتى بما له هذه الرتبه وكان متعذرا على غيره
لفقد علمه بكيفية النظم وليس القوم بعاجزين

عن الكلام ولا عن النظم والتاليف والمعنى الموشر
عندهم فى تقدر مثل نظم القران علينا فقد العلم
بكيفية النظم وقد بينا قبل هذا ان المانع هو انهم
لا يقدرون عليه والمفحم قد يعلم كيفيه الاوزان
واختلافها وكيفية التركيب وهو لا يقدر على نظم
الشعر وقد يعلم الشاعر وجوه الفصاحة واذا
قالا قال الشعر كان شعر احدهما فى الطبقه العاليه
وشعر الاخر فى الطبقه الوضيعة وقد يطرد فى
شعر المبتدى والمتاخر فى الحذق القطعه الشريفة
والبيت النادر وما يتفق للشاعر المتقدم والعلم
بهذا الشان فى التفصيل لا يغنى ويحتاج معه
الى مادة من الطبع وتوفيق من الاصل وقد يتساوى
العالمان بكيفية الصناعة ———
والنساجه ثم يتفق لاحدهما من اللطف فى الصنعة
ما لا يتفق للاخر وكذلك اهل نظم الكلام يتفاضلون
مع العلم بكيفية النظم وكذلك اهل الروى ,,,,
يتفاضلون فى الاصابة مع العلم بكيفة الاصابه
واذا جدت للشاعر بيتا او قطعة احسن من شعر
امرئ القيس لم يدل ذلك وعلى انه اعلم بالنظم

منه لانه لو كان كذلك كان يجب ان يكون جميع شعره
على ذلك الحد ,,, ويحسب ذلك البيت فى الشرف
والحسن والبراعة ولا يجوز ان يعلم نظم قطعه
ويجهل نظم مثلها وان كذلك علم ان هذا لا يرجع
الى ما قدروه من العلم ولسنا نقول انه يستغنى
عن العلم فى النظم بل يكفى علم به فى الجملة ثم يقف
الامر على القدرة وهذا يبين لك بانه قد يعلم لخط
فيكتب سطرا قلوارادان ياتى بمثله بحيث لا يغادر
منه شيأ لتقدر والعلم حاصل وكذلك قد يحسن
كيفية الخط والجيد منه من الردى ولا يمكنه ان
ياتى بارفع درجات الجيد وقد يعلم كيفية قوم
ادارة الاقاليم وكيفية تصوير والزمهم اصحابنا
ان يقولوا بقدرتنا على احداث الاجسام وانما
يتعذر وقوع ذلك منا بانا لا نعلم الاسباب
التى اذا عرفنا ايقاعها على وجوه اتفق لنا فعل
الاجسام وقد ذهب بعض المخالفين الى ان ,,
العادة انتقضت بان انزله جبريل فصار القران
معجزا لنزوله على هذا الوجه ومن قبله لم يكن معجزا
وهذا قول الى هاشم وهو ظاهر الخطا لانه يلزم

ان يكونوا قادرين على مثل القران وانه لم يتعذر
عليهم فعل مثله وانما تعذر بانزاله ولو كانوا
قادرين على مثل ذلك كان قد اتفق من بعضهم
مثله وان كانوا في الحقيقة غير قادرين قبل نزوله
ولا بعده على مثله فهو قولنا واما قول كثير من
المخالفين فهو على ما بينا الان معنى المعجز عندهم تعذر
فعل مثله وكان ذلك متعذرا قبل نزوله وبعده

فاما الكلام في ان التاليف هل له نهاية
فقد اختلف المخالفون من المتكلمين فيه فمنهم من
قال ليس لذلك نهاية كالعدد فلا يمكن ان يقال انه
لا يأتي قول قصيدة الا وقد قيلت من قبل ومنهم
من قال ان ما جرت به العاده فله نهايه وما لم
تجر به العادة فلا يمكن ان تعلم نهاية الرتبه فيه
وقد بينا ان على اصولنا قد يقدر لكلامنا

حد في العادة ولا سبيل الى مجاوزه ولا يقدر عليه
فان القران خرق العاده فزاد عليها فصل
ان قيل هل من شرط المعجز ان يعلم انه اتى به
من ظهر عليه قيل لا بد من ذلك لانا لو نعلم ان
النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي اتى بالقران
وظهر

وظهر ذلك من جهته لم يمكن ان يستدل به على نبوته
وعلى هذا لو تلقى رجل منه سورة فاتى بها بلدا
وادعى ظهورها عليه وانها معجزة له لم تقم الحجة
عليهم حتى يبحثوا ويتبينوا انها ظهرت عليه وقد
حققت ان القران اتى به النبي صلى الله عليه
وسلم وظهر من جهته وجعله علما على نبوته
وعلمنا ذلك ضرورة فصار حجة علينا فصل
قد ذكرنا في الابانة عن معجز القران وجيز من القول
رجونا ان يكفي واملنا ان يقنع والكلام في اوصافه
ان استقصى يعيد الاطراف واسع الاكناف لعلو شانه
وشريف مكانه والذي سطرناه في الكتاب وان كان
موجزا واملتياه فيه وان كان حقيقا فانه ينبه على
الطريقة ويدل على الوجه ويهدي الى الحجة
ومتى عظم محل الشي فقد يكون الاسهاب فيه عيا
والاكثار في وصفه تقصيرا وقد قال الحكيم وقد
سئل عن البليغ متى يكون عييا فقال متى وصف
هوى او حبيبا وضل اعرابي في سفر له ليلا فطلع
القمر فاهتدى به فقال ما اقول لك اقول رفعك
الله وقد رفعك ام اقول نورك الله وقد نورك

ام اقول جملك الله وقد جملك ولولا ان العقول تختلف
والافهام تتباين والمعارف تتفاضل لم نحتج الى ما تكلفنا
ولكن الناس يتفاوتون فى المعرفة ولو اتفقوا فيها
لم يجز ان يتفقوا فى معرفة هذا الفن او يجتمعوا فى
الهداية الى هذا العلم لاتصاله باسباب وتعلقه
بعلوم غامضة الغور عميقة القعر كثيرة المذاهب
قليلة الطلاب ضعيفة الاصحاب وجب بانى
مواقعة يقع الافهام دونه وعلى قدر لطف
مسالكه يكون القصور عنه انشدنى ابو القاسم
الزعفرانى قال انشدنى المتنبى لنفسه القطعه
التى يقول فيها

وكم من عايب قولا صحيحا ● وافته من الفهم السقيم
ولكن تاخذ الاذهان منه ● على قدر القرايح والعلوم
وانشدنى الحسن بن عبد الله قال انشدنا بعض
مشايخنا للبحترى

اهذا الشعر قولا ما ذى سنة ● لوانهم ضربوا بالسيف ما شعروا
على نحت القوافى من مقاطعها ○ وما على لهم ان تفهم البقر
فاذا كان نقد الكلام كله صعبا وتمييزه شديدا
والوقوع على اختلاف فنونه معتذرا وهذا فى كلام

الادمى فما ظنك بكلام رب العالمين قد ابنانك ان
من قدر ان البلاغه فى عشرة اوجه من الكلام لا يعرف
من البلاغة الا القليل ولا يفطن منها الا اليسير ،،
ومن زعم ان البديع يقتصر على ما ذكرنا من قبل
عنهم فى الشعر فهو متطرف بل ان كانوا يقولون
ان هذه من وجوه البلاغة وغرر البديع واصول
اللطف وان ما يجرى مجرى ذلك ويشاكله ملحق
بالاصل ومردود على القاعدة فهذا قريب وقد
بينا فى نظم القرآن ان لجملة تشتمل على بلاغة ،،
منفردة والاسلوب يختص بمعنى اخر من الشرف
ثم القوافى والخواتم والمبادى والمثانى والطوالع ،
والمقاطع والفواصل ثم الكلام فى نظم السور والايات
ثم فى تفاصيل التفاصيل ثم فى الكثير والقليل ثم
الكلام الموشح والمرصع والمفصل والمصرع والمجنس
والموشح والمحلى والمكلل والمطوق والمتوج والموزون
والخارج عن الوزن والمعتدل فى النظم والمتشابه فيه
ثم الخروج من فصل الى فصل ووصل الى وصل ومعنى
الى معنى ومعنى فى معنى والجمع بين المتالف والمختلف
والمتفق والمتسق وكثرة التصرف وسلامة العقل

في ذلك كله من التعسف وخروجه عن التعمق
والتشدق وبعده عن التعمل والتكلف والالفاظ
المقرده والابداع في الحروف والادوات كالابداع
في المعاني والكلمات والبسط والقبض والبناء
والنقض والاختصار والشرح والتشبيه والوصف
والمثال وتمييز الابتداع عن الاتيان كتمير المطبوع
عن المصنوع والقول الواقع عن غير تكلف ولا تعمل وانت
تتبينه في كل ما تصرف فيه من الانواع انه على سمت
شريف ومرقب منيف يبهرا ذا اخذ في النوع الديني
والامر الشرعي والكلام الالهي الدال على انه يصدر عن
عزة الملكوت وشرف الجبروت وما لا يبلغ الوهم
مواقعه من حكمة واحكام واحتجاج وتقرير واستشهاد
وتقريع واعذار وانذار وتبشير وتحذير وتنبيه
وتلويح واشباع وتصريح واشارة ودلالة وتعليم
اخلاق زكيه واسباب رضيه وسياسات جامعة
ومواعظ نافعه وامر صادعه وقصص مفيدة
وثناء على الله عز وجل بما هو اهله واوصاف
كما يستحقه وتحميد كما يستوجبه واخبار عن
كليات في الثاني صدقت واحاديث عن الموتنف

تحققت

تحققت ونواه زاجرة عن القبايح والفواحش واباحة
الطيبات وتحريم المضار والخبايث وحث على الجميل
والاحسان تجد فيه لكمة وفصل لخطاب مجلوة
عليك في منظر بهيج ونظم انيق ومعرض رشيق
غير معتاص على الاسراع ولا مستلوع على الافهام ولا
مستكره في اللفظ ولا متوحش في المنظر غريب
في الحسن غير غريب في القبيل ممتلى ماء نضارة
ولطفا وغضارة يسرى في القلب كما يسرى السرور
ويمر الى مواقعه كما يمر السهم ويضئ كما يضئ
الفجر ويزخر كما يزخر البحر طموح العباب جموع
على المتناول المنتاب كالروح في البدن والنور
المستطير في الافق والغيث الشامل والضيا
الباهر بايته الباطل من بين يديه ولا من خلفه
تنزيل من حكيم حميد من توهم ان الشعر يلحظ
شاوه بان ضلاله ووضح جهله اذا الشعر سمت
قد تناولته الالسن وتداولته القلوب ونشالت
عليه الهواجس وضرب الشيطان فيه بسهمه
واضر منه بخطه وماد ونه من كلا سهم فهو ادنى
محلا واقرب ماخذا واسهل مطلبا ولذلك

قالوا فلان مفحم فاخرجوه مخرج العيب كما قالوا
فلان عي قاوردوه مورد النقص والقران كتاب
دال على صدق متحمله ورسالة دلت على صحة قول
المرسل بها وبرهان شهد له براهين الانبيا المتقدمين
وبينه على طريق ما سلف الى الاولين حيرهم به اذا
كان من جنس القول الذى زعموا انهم ادركوا فيه
النهاية وبلغوا فيه الغاية تعرفوا عجزهم كما عرف
قوم عيسى نقصانهم فيما قدروا من بلوغ اقصى
الممكن فى العلاج والوصول الى اعلا مراتب الطب
فجاهم بما بهرهم من احيا الموتى وابرا الاكمه والابرص
وكما اتى موسى بالعصا التى تلقفت ما دقوا فيه
من سحرهم وانت على ما اجمعوا عليه من امرهم
وكما سخر لسليمان الريح والطير والجن حين كانوا
يولعون بدقايق الحكمه وبدايع من اللطف ثم كانت
هذه المعجزه مما يقف عليه الاول والاخر وقوفا
واحدا ويبقى حكمها الى يوم القيامه انظر وفقك
الله الى ما هديناك اليه وفكر فى الذى دللناك
عليه فالحق منهج واضح والدين ميزان براجح وكفى
لا يزيد الاعمى ولا يورث الا ندما قال الله عز وجل

قل

قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون
انما يتذكر اولوا الالباب وقال وكذلك اوحينا
اليك روحا من امرنا ما كنت تدرى ما الكتاب
ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهتدى به من نشا
من عبادنا وقال يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا
على حسب ما اتى من الفضل واعطى من الكمال والعقل
تقع الهداية والتبين فان الامور تتم باسبابها
وتحصل بالتها ومن سلبه التوفيق وحرمه
الارشاد والتسديد فكانما خر من السما فتخطفه
الطير او تهوى به الى الريح فى مكان سحيق لا
يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فاحمد
الله على ما رزقك من الفهم ان فهمت وقل رب
زدنى علما وقل رب اعوذ بك من همزات الشيطين
واعوذ بك رب ان يحضرون وان ارتبت فيما
بيناه فاذدد فى تعلم الصنعة وتقدم فى المعرفة
فسيقع بك على الطريق الارشد وسيقف بك
على الوجه الاحمد فانك اذا فعلت ذلك احطت
علما وتيقنت فهما ولا يوسوس اليك الشيطان
بانه قد كان من هو اعلم منك بالعربيه وارجح

منك في الفصاحه اقوام واي اقوام ورجال واي
رجال فكذبوا وارتابوا الان القوم لم يذهبوا
عن الاعجاز ولكن اختلفت احوالهم فكانوا بين
جاهل وجاحد وبين كافر نعمة وحاسد وبين
ذاهب عن طريق الاستدلال بالمعجزات وحايد
عن النظر في الدلالات وناقص في باب البحث
ومختل الالة في وجه الفحص ومستهين بامر
الاديان وغاو تحت حبالة الشيطان ومقذوف
بخذلان الرحمن واسباب الخذلان والجهالة كثيرة
ودرجات كلهم ان مختلفه وهلا جعلت بازاء
الكمئرة مثل لبيد بن ربيعه العامري في حسن
اسلامه وكعب بن زهير في صدق ايمانه ״
وحسان بن ثابت وغيرهم من الشعراء والخطبا
الذين اسلموا على ان الصدر الاول ما فيهم الا نجم
زاهر وبحر زاخر وقد بينا ان الاعتصام الا ״
بهداية الله ولا توفيق الا بنصرة الله وذلك
فضل الله يؤتيه من يشا فتامل ما عرفناك
في كتابنا وفرغ له قلبك واجمع عليه لبك
ثم اعتصم بالله يهديك وتوكل عليه
يغنيك

يغنيك ويحزك واستنشده
يرشدك وهو حسبي
وحسيك ونعم الوكيل
تم الاعجاز في القران
العظيم

بقلم

كاتبه الفقير الى مولاه تعالى محمود صالح بن
صالح يونس الحكيم في شهر جمادى الاولى سنة ١٢٤٦ له
الف وثلثماية واثنى عشر من هجرة من له العز
والشرف

م